



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

أشعة من عظمة

الأمام الحسين



تأليف الشيخ محمد باقر المجلسي

الشيخ طه الدين الطباطبائي الكركلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أشعة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام

كاتب:

آيت الله العظمي لطف الله صافي گلپايگاني^ه

نشرت في الطباعة:

دفتر آيت الله لطف الله صافي گلپايگاني

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
11	أشعة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام
11	إشارة
11	إشارة
19	المقدمة
19	يوم الحسين عليه السلام
23	دواعي اهتمام الكتّاب و الخطباء
25	جهات ما كتب في الحسين عليه السلام
29	البحث الأول: شخصية الحسين عليه السلام وفضائله
29	إشارة
31	شخصية سيد الشهداء عليه السلام
32	سمات الحسين عليه السلام اللامعة في كتاب الله
32	1 - آية المودة:
33	2 - آية التطهير:
36	3 - آية المباهلة:
38	سيمات الحسين عليه السلام في احاديث النبي الاكرم صلي الله عليه وآله
38	1 - الحسين عليه السلام سيد شباب اهل الجنة
39	2 - الحسين حبيب رسول الله صلي الله عليه وآله
43	3 - الحسين ريحانة النبي صلي الله عليه وآله
45	4 - الحسين عليه السلام أشبه أهل البيت بالنبي صلي الله عليه وآله
45	5 - النبي صلي الله عليه وآله يُقبّل الحسين عليه السلام
51	6 - النبي الاكرم صلي الله عليه وآله يحمل الحسين عليه السلام علي كتفه
52	7 - حبّ الحسين عليه السلام فرض

- 8 - فضلُ حُبِّ الحسين عليه السلام و عقابُ من أبغضَهُ 53
- 9 - النَّظَرُ الي سيد شباب اهل الجنة 54
- 10 - محبِّو الحسين عليه السلام في الجنة 55
- 11 - دَرَجَةُ الوَسِيلَةِ 55
- 12 - الحسين عليه السلام مع النبي في دَرَجَتِهِ 56
- 13 - وُجُوبُ نُصْرَةِ الحسين عليه السلام 56
- 14 - أوَّلُ من يَدْخُلُ الجَنَّةَ 58
- 15 - القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف من وُلدِ الحَسَنِ عليه السلام 59
- 16 - القائم عليه السلام هو التاسع من وُلدِ الحسين عليه السلام 59
- 17 - ثمرةُ شجرة النبوة 60
- 18 - وديعة الرسول صلي الله عليه وآله 61
- 19 - دعاء رسول الله صلي الله عليه وآله في حق الحسين عليه السلام 62
- 20 - اشتقاق اسم الحسين عليه السلام من اسم الله تعالى 62
- 21 - إرث الحسين عليهما السلام من النبي صلي الله عليه وآله 64
- الإخبار باستشهاد الحسين عليه السلام 67
- معاجز الإمام الحسين عليه السلام 83
- اشارة 83
- الفَضْلُ ما شَهِدَتْ به الاعداء 100
- انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام 112
- مكانة الحسين عليه السلام عند الصحابة و التابعين 124
- اخلاقية الإمام الحسين عليه السلام 130
- مكارم اخلاق سيد الشهداء عليه السلام 136
- اشارة 136
- 1 - علَمُ الإمام الحسين عليه السلام 141
- 2 - عبادة سيد الشهداء عليه السلام 149

- 3 - سخاء الحسين عليه السلام 151
- 4 - أدب الحسين عليه السلام وأفته: 153
- 5 - طلب الحق: 155
- 6 - زهد الإمام الحسين عليه السلام: 158
- 7 - تواضع الحسين عليه السلام: 160
- 8 - خلوص الايمان و الثبات 163
- 9 - شجاعة الحسين عليه السلام 167
- 10 - تجليات عظمة الحسين عليه السلام 174
- اشارة 174
- عظمة المضاء 174
- عظمة الاباء 176
- عظمة البطولة: 177
- 11 - صبر الحسين عليه السلام 179
- اشارة 179
- الصبر علي الجهاد: 181
- الصبر علي فقدان الأحبّة 183
- ضبط النفس 184
- الصبر علي العطش 186
- الصبر علي الطاعة 187
- البحث الثاني: بني هاشم و بني أميّة 188
- اشارة 188
- بني أميّة و بني هاشم 190
- اشارة 190
- بني اميّة 197
- بني اميّة في ميزان الخلق 197

197	نسب بني امية
198	بني امية في القرآن والحديث
201	بني الحكم
205	آل ابي سفيان
208	هند آكلة الأكباد
209	معاوية أبو يزيد
211	نسب معاوية
212	معاوية في ميزان السنة والحديث
214	معاوية والخمرة
215	نفاق معاوية
218	وصمة عار علي جبين التاريخ
220	المستشارون المسيحيون
221	تجاهر معاوية بالفسق
223	اهداف معاوية
227	من هو يزيد؟
227	نشأة يزيد
228	ميسون:
229	يزيد في أحضان بني كلب
231	أخلاق يزيد
234	جنايات يزيد
239	كفر يزيد
241	الحالة الاجتماعية في عصر يزيد
247	البحث الثالث: دواعي ثورة الحسين عليه السلام
247	إشارة
249	دواعي الثورة

249	1 - امتثال التكليف الالهي
249	اشارة
257	ألف: التنبوء بالقتل
261	باء: الاخيار باستشهاده
264	جيم: الهجرة من مكة
267	دال: حُلُّ البيعة
270	2 - الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر
285	3 - دواعي الثورة من لسان قائدها
293	4 - فسادُ أجهزة الحكم
309	5 - حَطُّ التقهُّر
314	6 - الدفاع عن النفس
314	اشارة
322	بين الحكومة و السياسة
331	دفعُ توهُم
340	بَيِّنَ الفداء و الانتحار
347	لماذا سكت الإمام الحسن عليه السلام
347	دواعي سكوت الإمام الحسن عليه السلام
357	البحث الرابع: نتائج الثورة الحسينية
357	اشارة
359	نتائج الثورة الحسينية
359	اشارة
363	1 - التقرب و الارتقاء
364	2 - نجاة الإسلام
372	3 - إيقاظ الشعور الديني
373	4 - ازدياد محبة اهل البيت عليهم السلام و بقية السيف

- 377 5 - مدرسة عاشوراء
- 387 6 - إدانة بني أمية
- 389 7 - توالي الثورات علي بني أمية
- 392 8 - التحور الفكري
- 396 9 - الاثر الخالد
- 401 مصادر الكتاب من كتب العامة
- 407 تعريف مركز

أشعة من عظمة الإمام الحسين عليه السلام

إشارة

أشعة من عظمة الإمام الحسين (عليه السلام)

صافي، لطف الله

مكتبة آية الله العظمي الصافي الكلبايكاني. وحدة النشر العالمية

ص: 1

إشارة

أشعة من عظمة الإمام الحسين (عليه السلام)

صافي، لطف الله

مكتبة آية الله العظمي الصافي الكلبايكاني. وحدة النشر العالمية

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

اَللّٰهُمَّ كُنْ لَوْلِيَّكَ الْحُجَّةَ بْنَ الْحَسَنِ صَلَواتِكَ عَلَيْهِ وَعَلِي اَبائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقائِدًا وَنَاصِرًا رَأً وَدَلِيلاً وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ اَرْضَكَ طَوْعاً وَتُمَتِّعَهُ فِيها طَويلاً.

ص: 4

صورة

□

ص: 5

الحمد لله رب العالمين وصلي الله علي سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين ولا سيما بقية الله في الأرضين عليهم آلاف التحية والتسليم.

وما عساني أن أقول في عظيم أولت به سور وآيات وكثرت وهي تتحدث عن فضله السير والروايات ، وأحبه أهل الأرض والسموات وتزينت به الفردوس والجنات، فالحسين هو سيد شبابها ، وسيد الشهداء سيد مرائها ، وأحب أهل الأرض إلي أهل السموات .

ومن أين لنا أن نجد له مثيلا في الأرض او السماء بل ومن له كجده وأبيه وأمه وأخيه وذرية كبنيه ، وحاشا أن يكون لأحد تربة كترته ، وقبة كقبته ، وذرية كذريته ، فهو وتر الله الموتور في السموات والأرض ، وهو النور في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، قد ختم الله له بالشهادة ، وجعله سيدة من السادة ، وقائدة من القادة ، وأكرمه بطيب الولادة ، وأعطاه مواريث الأنبياء .

فما أعظم الحسين بين العظام، وما أكبر الحسين بين الكبار ، بل هو شخصية فريدة جعلت فيها صفات ، ومنحت لها سمات ، ما جعلت وما منحت لكثير العظام والكبار، ولقد رضي الله تعالي ونحن في أجل حالات الصلاة ، أن تكون جباهنا في سجدنا علي تراب الحسين علي ، وان نكون دائما عليه مسلمين في كل وقت وحين « عليك مني سلام الله أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار ، ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم» . .

وهكذا الحسين قربان الله وفخر التاريخ ومجد الإنسانية وسعادة البشرية ورمز ديني وإنساني في الفضيلة والدين نكتسب منه رفعة وعزة و عظمة وسمو وعلو وتجلي به بين أهل الأرض وتجلي به عند أهل السماء

وإن هذا السفر هو شعاع من ذلك المصباح الذي أنبأ عنه النبي الأعظم صلي الله عليه وآله وهو في مسير إسرائه بقوله : « إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، لستصبح به في كل الأزمنة الحالكة ونهتدي به في كل الأمكنة المظلمة.

فيا أبا عبد الله هذه بضاعتي مع عجزتي وفقري وصعوبة يومي وأمسي وفقد نبوي وغيبة ولي فتفضل علي بالقبول فإنك أهل الفضل والمرجو لكل خير .

لطف الله الصافي

الحمد لله رب العالمين وصلي الله علي محمد نبيه وآله وسلم تسليما

وبعد، فان هذا الكتاب هو واحد من الكتب التي عالجت في موضوعها عظمة شخصية الإمام الحسين عليه السلام وفضائلها وأتت علي بيان مقصد وأهداف ثورته ودراسة تطلعاتها وأبعادها والتدقيق في عللها والتحقيق في نتائجها وفوائدها، والتشريح لقضاياها ووقائعها، وكل ذلك بدراية فائقة ودراسة عالية معتمدة علي منابع تاريخية ومصادر اسلامية وتحليل إنسانية.

ولقد أفاد مؤلفه فأفاض به علم و معرفة وأجلي الإمام الحسين عليه السلام حقيقة انسانية ورمزا دينية في الفضيلة والشريعة، وقدمه معين تستفيد منه شعوب الأرض علي أصنافها لما كان قد ذهب - المصنف - في مصنفه بأساليب البيان والبرهان ومن هنا صار لهذا الكتاب الزواج والإقبال ورغبت فيه الفضلاء والأعلام وليس ببديع القول ما ذكره العلامة الشهير الشيخ محمد تقي الجعفري في بعض كتبه (1) الذي قال فيه : من أجل التحقيق والمطالعة في عظمة الإمام الحسين عليه السلام من نظر المنابع الإسلامية والتاريخية المعتبرة تفضلوا بالاستفادة من كتاب (پرتويي از عظمت امام حسين عليه السلام) تأليف الأستاذ المعظم اقا لطف الله الصافي من الصفحة 20 إلي صفحة 109، ففي نظري (القول للعلامة المذكور) فإن الكتاب المذكور هو من الكتب الأفضل تحقيق وجمعة في عظمة الإمام الحسين عليه السلام .

وقد رأينا أن نتشرف بعد طبعاته المتكررة باللغة الفارسية تعظيما للدين وتعميما للفائدة في ترجمة وطبع هذا الكتاب باللغة العربية راجين من المولي عز وجل أن يتقبل منا، وسائلين منه أن يديم ظل مؤلفه ويوفقنا لنشر بقية مؤلفاته. والله ولي التوفيق إنه سميع مجيب.

دائرة التوجيه والارشاد الديني

قسم النشر العالمي

ص: 8

يوم الحسين عليه السلام

ما من حادثة من أحداث التاريخ وقائعه المهمة والمحزنة تشبه واقعة كربلاء الأليمة حيث تحيي ذكراها كل عام بجلال وعظمة وافرة، و يشترك في مراسمها كافة الطبقات الاجتماعية، نساءً ورجالاً، شباناً وشيوخاً و تعمُر مجالس شعائرها في المنازل والمساجد والمدارس والتكايا والحسينيات والاسواق والشوارع والمحافل، ويتحدث الخطباء عنها، ويكتب الكتاب والكتب والمقالات، ويعجز مرور الازمنة و عن أن يُدرَسَها ويُبلِغها أو أن يقلل من اعتبارها وأهميتها، بل علي العكس، كلما مرّت الدهور إزدادت عظمة وعمق هذه الواقعة الحزينة و تمّ استنباط معانٍ سامية واهداف رفيعة لفلسفتها تتناسب مع كل عصر من العصور، وحين من الأحيان.

إنّ يوم الحسين عليه السلام، يومٌ يستحيل نسيانه علي مرّ الازمنة و الدهور و حادثة عاشوراء انحنت لها قلوب أهل الايمان وعشاق الفضيلة و الحقيقة، تعظيماً لمعناها، و عاشوراء مشعل مُشعّ كان و لازال في القرون و اطوار الدهر مصباح هداية العظماء وقادة الاصلاح و مُنجيهم من ظلمات الحيرة والضياء.

إنّ ما قام به الحسين عليه السلام لم يكن أمراً عابراً كحوادث التاريخ، بل كان عملاً جبّاراً لم يسبق له مثيل ونظير.

إن ما قام به ابو عبد الله الحسين عليه السلام أمرٌ الهيّ اعتبره أهل عالم الجبروت و

سكان صوامع الملكوت و المملأ الأعلي، اكبر تجليات الكمال في مقام الانسانية، و إن رواد الفضيلة البشرية و اصحاب العقول الكاملة، و واصلي الحقائق العالية، و الانبياء أولي العزم، و الأولياء العظام، و شهداء طريق الاصلاح و الهداية، اعتبروا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً ممتازاً و فريداً لتجلي قدرة الإرادة، و قوة العزم و الثبات و كمال الدين و الصبر و الايثار و الشجاعة، فخلوص الايمان، الرجولة، الصراحة، الوفاء، علو الهمة، الثبات، الاستقامة، و مقاومة الظلم و التعدي واضحة و جلية في كل ملامح هذه الحادثة المؤلمة.

و عظمة المقاصد، و اباء النفس و احتقار زخارف الدنيا و الماديات، و اختيار الموت بعز و شرف علي العيش بالذلّ و العار، لهي رتوش ظاهرة في صورة كربلاء.

و لشرح هذه القصة، شرح لكمال روح الانسان و تحقير لكل مظاهر المادة و لذائد الدنيا، و ادانة للشرك و الكفر و الظلم و الجور.

و إن تاريخ هذه الحادثة المؤثرة في الارواح هو تاريخ الفداء الفريد في سبيل المبادئ و العقيدة، و احترام لشرف و كرامة الحق، و محاولة لتحرير و خلاص المجتمعات المحرومة.

و من ثمّ، فلا دهشة من تأثير صداها في كل العالم و وصول صوتها الي الاسماع كوصول صوت الأذان أبدياً خالداً، و بقاء وقعها في القلوب بعد مرور اكثر من الف و ثلاثمائة عام عليها و الخطباء و الكتّاب يقولون و يكتبون فيها، و لازالت الصلوات و التحيات تُهدى الي اولئك الرجال الأفذاذ الذين استقاموا في طريق الإيمان باللّه و اجراء احكامه، و فازوا بحسني الشهادة و شربوا كأسها حتي الثمالة.

إنهم رجال لم تلههم الدنيا و لم يُضعف عزمهم شبح الموت المهيب تحت وقع

السيوف و الرماح في ساحة مقاومة طغيان أهل الباطل و تخلّوا عن كلّ ما من شأنه إضعاف الارادة و الهمة من الجاه و المقام و الذهب و الفضة و النساء و الأولاد، فتملكوا أعلي مراتب حرية الروح و سموها.

و في المعسكر المقابل تجد شردمةً من ضعاف النفوس، و حقراء الغايات، عبيد شرك الدنيا و لذائذها، من ذوي الضمائر الميتة و الارواح الخبيثة الذين لا يتوانون عن قتل الأخيار من عباد الله و تمزيق أجساد الاطفال و الرضع بسهامهم المسمومة.

و الغلبة في هذه المعركة و إن كانت بحسب المقاييس الدنيوية الظاهرية عند عامة الناس هي لهذه الطائفة الشريرة من أعداء الدين، و إنّ ايمان و عقيدة الحسين و أصحابه التي جعلتهم مظهرًا للاستقامة و الفداء المنقطع النظير، و ان لم تكن ذا قيمة بحسابات اهل الدنيا و الماديات و صحيح أنّ نهاية هذه الحادثة كانت بانتهاء يوم عاشوراء من شهر محرم سنة 61 هـ، إلاّ انه في الواقع و بحساب تاريخ الفضيلة و كمالات الروح الإنسانية و بالقياسات القرآنية و الإسلامية فإنّ النصر الخالد كان من نصيب الحسين عليه السلام و أصحابه، ذلك أنّ ميزان اصحاب الحقيقة لا يري أنّ قيمة الانسان و حجمه منحصران في المنافع الفانية و اللذائذ العابرة، و أنّ ربح و خسارة و انتصار و انكسار الرجال العظام لا يكون بهذه المقاييس.

في ميزان الحقيقة، تكون قيمة و اعتبار الاشخاص بمقدار قوة ايمانهم و ارادتهم، و إنّ الانتصار الحقيقي هو انتصار الباطن علي الظاهر و انتصار الروح علي الجسد و الحقيقة علي المجاز، و أنّ النصر الواقعي هو الثبات في طريق المقاصد و الأهداف السامية و تسخير عوامل ضعف الروح و تلاشي الايمان و عدم التسليم لها.

نعم، كل الناس يموتون، وكم من الناس قضى نحبه في سبيل الدفاع عن العقيدة والايمان و الحق ولكنهم مع ذلك لم يخلدوا كما خُلد شهداء كربلاء، ذلك انّ تضحيات و استقامة و ايثار و فضائل شهداء كربلاء لم تتجسد في غيرهم، في سائر ميادين المواجهة بين الحق و الباطل.

انهم أبطال استقبلوا الموت و الشهادة بكل عزم و استبشار و قد كان بمقدورهم حفظ ارواحهم بمجرد التنحي عن ذلك الموقف الخطر الحاد.

الحق، أنّ هؤلاء لو كانوا قد تراجعوا عن وقتهم تلك و خضعوا لهيمنة حبّ النفس و المال و المقام، و استسلموا لرهبة السيوف و الموت، لكانوا قد اضرّوا بمقام الانسانية و الموازين الإسلامية السامية ضرراً يفوق حدّ التصور.

إنّ حادثة عاشوراء لم تكن تلك المعركة التي وقعت علي ارض كربلاء، و ان المواجهة التي حصلت يوم عاشوراء بين اولئك الاشخاص الذين تقابلوا ليست هي المواجهة الحقيقية، و انما الحرب الحقيقية هي الحرب بين الحق و الباطل، بين الأسلام و الكفر، فلو أنّ اهل الحق كانوا قد تراجعوا يومئذ، لم يكن لينتهي تراجعهم في ذلك اليوم و في ذلك المكان الجغرافي، بل كانت آثاره السيئة و الخطرة ستظهر علي مستقبل الإسلام و علي الاجيال اللاحقة من المسلمين، اذ أنّ مراقبي ساحة تلك المعركة الدامية لم ينحصروا في المعاصرين لها، و انما مراقبو تلك المعركة هم كل الشعوب الإسلامية و كل الشرائح و الطبقات المظلومة و المحرومة علي مرّ الدهور و الازمنة، و من هنا كان علي الحسين عليه السلام و اصحابه ان يرسموا صورة الاستقامة كاملة الرتوش و قد فعلوا ذلك بأروع صورته حتي حيروا العقول بصمودهم في ميدان الابتلاء، و مع أنّ العدو اللئيم قام بتقطيع أجسادهم الطاهرة ارباً ارباً ولكنه لم يستطع النيل من ذرة من ذرات ارواحهم الطاهرة و ارادتهم الحرّة و تيّاتهم

قد غيّر الطعنُ منهم كلَّ جارحةٍ إلا المكارم في أمنٍ من الغيِّرِ

دواعي اهتمام الكتاب و الخطباء

إنَّ من أهم دواعي اهتمام الخطباء و الكتاب بحادثة كربلاء هو الأهمية الدينية و المذهبية لهذه الواقعة، و قيمتها المعنوية و الواقعية للإنسانية و المجتمع البشري عامة.

فكلُّ الدروس المستخلصة من هذه الواقعة، ساميةٌ و مربيةٌ و مفيدةٌ و إنَّ مدرسة عاشوراء مدرسة عامة شاملة تعدُّ هاديةً بدروسها لأهل كل بقاع الأرض، تدعو سكان المدن و القرى و الأرياف و البوادي و ناطحات السحاب، الي الفضائل و الكمالات الانسانية.

و من البديهي أنَّ مثل هذه الاطروحة لا يمكن أن يعترها البلاء، و ستبقي جديدة جذابة و محطَّ اهتمام الجميع.

و من جهة الثواب الاخروي و طبقاً للاحاديث الصحيحة المعتبرة عمَّدَ الكتاب و المتحدثون و الخطباء حول قضية الإمام الحسين عليه السلام، من أوائل المتقربين الي الله تعالى و الي الرسول صلي الله عليه و آله و من ذوي المراتب العليا و النائلين للثواب الجزيل.

أضف الي كلِّ ذلك، و لما كانت واقعة كربلاء، ملحمة الصراع بين الحق و الباطل و العدالة و الظلم، و المواجهة بين الفضيلة و الرذيلة، صارت جذابة بمبادئها لكلَّ المنصفين من الرساليين و رواد العدالة و الحرية و التحرر، كما إنَّ الاحاسيس الإنسانية الصادقة و يقظة الضمير و الشعور الباطني تجذب الجميع و تشدُّهم الي الأبطال من عشاق الحق الذين سَطَّروا ملحمة عاشوراء.

و من هنا وجدنا آلاف الكتب قد كتبت في الموضوع وأنّ مئات الآلاف من الأبيات الشعرية قد انشدت، وأنّ الكتاب والشعراء لم ينسوا الحسين عليه السلام حتي في احلك ادوار الاضطهاد والتكيد التي كان يمارسها عمال الحكومات الجائرة لبني امية وبني العباس امثال «المتوكل» وان خطر القتل والإهانة ومصادرة الاموال والحرمان من العطاء والحقوق الإجتماعية والاقتصادية لم تكن هؤلاء عن نشر مبادئ كربلاء، وسيدوم هذا الأمر الي زمن انتهاء أجل الدنيا ولن يُنسى الحسين عليه السلام.

إنّ موجبات بقاء هذه الحادثة الأليمة هي التي حفظتها من الضياع والاندثار ما دامت الإنسانية باقية، وستبقي هذه الواقعة دليلاً لعشاق العدالة والفضيلة وأعداء الظلم والجور، والمنفذين علي الحكومات الفاسدة.

نعم، لا يمكن ان يفترّ انجذاب الناس الي الانصات الي صوت اولئك الابطال من عشاق الحق في كربلاء والذين جاهدوا غاية الجهاد و الفداء في سبيل الدفاع عن الحق و ضد الباطل(1).

وستبقي قصة ايثار وفداء نخبة الخليقة وشهداء الفضيلة والحقيقة يوم عاشوراء، زينةً خالدة لصفحات التاريخ، ولن تملّ الأذان من سماعها ولا العيون والألسن من مطالعتها وقراءتها مهما طال الزمن.

فالكتاب اعتبروها منتقى مواضيع مقالات كتبهم، فالكل يطمح ان يسجل اسمه في قائمة من ترك أثراً في قضية الحسين عليه السلام.

فشعراء العرب والعجم ترجموا مبادئ وقيم واهداف الحسين عليه السلام واصحابهم.

ص: 14

1- الأ من جهل وقائع ذلك اليوم او كان من المتخلفين باخلاق الجبارين والظلمة و من حجبت الرذائل فطرتهم و وجدانهم.

بأبيات شعرية وقصائد بليغة غرّاء مفعمة بالحماس والشوق، كل بلحنه ولسانه الخاص وصوروا لنا جانباً من جوانب تلك الملحمة الرائعة لرجال الله والحقيقة ضد اهل الباطل والضلال.

ومع كل ذلك، فما يكتب لاحقاً لا يخلوا من حلاوةٍ ووقعٍ جديدين في نفوس عشاق ورواد الفضيلة والحق ولم تؤثر تلك الوفرة الأدبية في شدة استقبال الناس وانشدادهم وانجذابهم لعاشوراء.

ولما كان الموضوع وبالتناسب مع المقاصد والاهداف المنظورة له، واسعاً وعريضاً جداً، ولما كان كلُّ كاتب أو أديب عاجزاً عن الإلمام بكل تفاصيل ودقائق الحقائق المرتبطة بعاشوراء الحسين عليه السلام، وجدنا أنّ كل اصدار جديد حول القضية لا يخلوا من جديد ولا يُعدم الفائدة المستقلة عمّا سبق من الفوائد ولا تنقصه البواكر من الافكار والرؤى، ويحق لنا أن نقول إنّ لطفاً من الطاف الإمام الحسين عليه السلام يشمل كل واحد ممن يتناول قضيته عليه السلام لكي لا يُحرم أحدٌ من أن يستقي جرعة من بحر الحسين المواجه الزاخر.

ومن ثمّ، تجد الكتاب وكبار العلماء والمفكرين قد سطروا آلاف المقالات والتصانيف في هذا الموضوع، وأنّ كل كاتب له المأم يسير باهداف الحسين عليه السلام، رغب في الجلوس علي هذه المائدة المباركة طمعاً في تسويد اسمه في ديوان عشاق الحقيقة، لبيتاع لطف و عناية يوسف مُلك الشهادة.

جهات ما كتب في الحسين عليه السلام

إنّ الكتب التي كتبت في تاريخ الإسلام وفضائل اهل البيت عليهم السلام والصحابة، تناولت قضية الحسين عليه السلام ضمن طياتها و الكتب التي صنّفت في خصوص

هذه الواقعة كثيرة جداً، و أكثرها تناول القضية من جهة وقائعها الزمانية و المكانية و الحالية فحسب، دون التطرق الي فلسفتها.

و أمّا في زمننا المعاصر فإنَّ أغلب الافكار تنصبُّ علي تحليل الأحداث و علي علل و نتائج القضية و بذلك تقيس و تزن تلك الأحداث علي اساس فلسفتها و نتائجها، و مثل هذه التآليفات تستهوي شباب و مثقفي العصر الحاضر اكثر من غيرهم.

و لذلك فان الكتب التي تناولت قضية سيد الشهداء عليه السلام و استشهاده من جهة مبادئها و فلسفتها و أسرارها و اسبابها الواقعية و تأثيراتها في المجتمعات الإسلامية و الفكر الإسلامي، لها جمهورٌ كبير من القراء و المهتمين، و ذلك انَّ هؤلاء يرغبون في التعرف علي:

سبب نهضة الحسين عليه السلام؟

و لماذا لم يقبل الصلح و المهادنة مع يزيد؟

و لماذا هاجر من المدينة الي مكة و منها الي العراق؟

و ما هي مقاصد الحسين عليه السلام من النهضة و ما هي نتائجها؟

و ما هي الفوائد التي تجنيها الامة الإسلامية من إقامة مراسم عزاء الحسين عليه السلام و احياء ذكرى عاشوراء خاصة عند الشيعة؟

و مئات الاستفسارات و التساؤلات الاخرى، التي تدور في خلد عشاق ساحة الإمامة و الولاية.

و من ثمَّ انصبَّ جهدُ الكتاب و المؤلفين في قضية كربلاء، علي كتابة الاجابات اللازمة لتلك التساؤلات، و صمّموا علي خوض مضمار التحليل و التحقيق في الواقعة و تنبيه الناس الي فلسفة هذه النهضة المباركة و شرائطها و بيان اوضاع و

احوال و ظروف هذا القيام و الفداء الكبيرين.

و لا يخفي أن ذلك لا يعني اهمال القدماء و السابقين من الكتاب لهذه الجهة كلياً و عدم تعرضهم لفلسفة و اسرار الشهادة، بل إن أول من كشف عن تلك الاسرار و الاهداف السامية للنهضة الحسينية هو نفس سيد الشهداء عليه السلام و اهل بيته، بل قد سبقه الي ذلك نفس رسول الله صلي الله عليه و آله و من ثم الأئمة المعصومون الطاهرون عليهم السلام، حيث وضحو هذه الجهة بشكل جلي في أحاديثهم و رواياتهم و حتي في عبارات زياراتهم للحسين عليه السلام، ثم تبعهم علماء الإسلام و مفكره سنه و شيعة، و الشعراء الكبار ضمن قصائدهم، حيث عرفوا الناس بتلك الحقائق.

بيد انه لم يعهد وجود كتاب مستقل يتناول تلك الأمور و فلسفتها علي النحو المتعارف هذه الأيام.

و لذلك فان الكتب التي تناولت التحليل التاريخي لحوادث كربلاء قليلة جداً بالقياس الي تلك التي أرخت أحداث الواقعة مع الاحتفاظ بتقديرنا لهذه المصنّفات التي حفظت لنا تاريخ تلك الواقعة و تفاصيل مجرياتها، ذلك أن مثل هذه الكتب تشكل اللبنة الاولى للتحليل و التحقيق و هي اساس الفحص و التدقيق عند المفكرين و المحققين، و كذلك فان نقل صور ما جري في كربلاء يوم عاشوراء و علي الرغم من إختصارها و عدم احاطتها بكل الواقعة، حاكية عن حقيقة مظلومية الإمام عليه السلام و عاكسة لأسرار و فلسفة شهادته، كما أنها المرجع للمؤمنين الراغبين في نيل ثواب و اجر ذكر مصائب الحسين عليه السلام و البكاء و العزاء عليه و التقرب الي الله بإقامة شعائره.

جزا الله خير الجزاء كل الكتاب و الخطباء و كل الذين ساهموا بنحو من الأنحاء في اعلاء و تجليل ذكر سيد الشهداء عليه السلام سابقاً و لاحقاً.

و هذا الكتاب الذي بين يدي القراء الكرام و المتضمن لمختصر من فضائل حضرة سيد الشهداء عليه السلام غيُض من فيض علل و نتائج واقعة كربلاء، فهو بضاعة مزجاة و فخذ جرادة يقدمها هذا العبد العاصي بكل خجل و خضوع، هديةً لساحة سيده نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها و الي ملجأ الدين الابن التاسع لسيد الشهداء الحسين عليه السلام بقية الله في الارضين مولانا قائم آل محمد ارواح العالمين له الفداء راجيا من الأم و الابن العزيز القبول آملاً الفوز في الدنيا و الآخرة ببركة التوسل بساحة قدس اهل بيت العصمة و الرسالة، و أن أعد في زمرة مُحبيهم، بحق محمد و آله الطاهرين صلوات الله تعالى عليهم اجمعين.

أقلّ خدمة ساحة محبّي أهل بيت النبوة

لطف الله الصافي الكلبايگاني

ص: 18

البحث الأول: شخصيّة الحسين عليه السلام وفضائله

إشارة

ص: 19

لا يمكن الحكم علي قيم واهداف وعلل نهضة و حركة ما لم يتم التعرف علي شخصية قائد تلك النهضة و الوقوف علي أخلاقه و فضائله و علمه و معارفه و سوابقه الفكرية و المحيط الذي نشأ فيه، و في غير هذه الصورة لا يكون الحكم تحقيقاً معتمداً.

فمثلاً للتعرف علي حقيقة الدعوة الإسلامية، يجب الاعتماد (مضافاً الي القرآن المجيد و التعاليم و المناهج الإسلامية) علي دراسة تاريخ النبي الاكرم صلي الله عليه و آله و حياته و أخلاقه و سلوكه و علاقاته و طريقة تعامله في الحروب و الغزوات و سائر حالاته و حالات أهل بيته الأطهار عليهم السلام.

و للتعرف علي قيمة و حقيقة و علل و نتائج الثورة الحسينية المباركة لابد من المرور علي سيرة الإمام الحسين عليه السلام و فضائله و مناقبه و معجزاته و كراماته و مكارم اخلاقه و محامد أوصافه و محبوبيته و مكانته الاجتماعية و شهادة أعدائه بمقامه، و غير ذلك مما يرتبط بشخصيته، لكي نحصل علي ثواب ذكر فضائله مضافاً الي التعرف علي حقيقة إمام الاحرار بقدر استعدادنا لتلقي الحقائق.

1 - آية المودة:

سمات الحسين عليه السلام اللامعة في كتاب الله (1)

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» (2)

روي أحمد بن حنبل في «المسند» و ابو نعيم الحافظ، الثعلبي، الطبراني، الحاكم النيشابوري، الرازي، الشراوي، ابن حجر، الزمخشري، ابن منذر، ابن ابي حاتم، ابن مردويه، السيوطي و جمع آخر من علماء اهل السنة باسانيدهم عن ابن عباس، قال: «لما نزلت هذه الآية، قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

فقال لهم: «علي و فاطمة و ابناهما» (3)

وقد نظم في هذا المعنى الشيخ شمس الدين ابن العربي:

رأيت ولائي آل طه فريضة علي رغم اهل البعد يورثني القربا

ص: 22

1- لا يخفي ان الآيات النازلة في شأن أهل البيت و الشاملة للإمام الحسين عليه السلام كثيرة و لكننا و رعاية للاختصار نتعرض الي ثلاث آيات فقط، و من أراد مزيد الإطلاع فليراجع كتب التفسير و الحديث و من جملة تلك الآيات الأخرى آية 35، 37 من سورة البقرة و الآية 22 سورة الرحمن، و الآية 27 سورة الفجر، و سورة هل أتى و آيات أخرى.

2- سورة الشوري، الآية 23.

3- احياء الموات ج 2، الاتحاف ص 5، الصواعق ص 168، الاكليل ص 191، الغدير ج 2 ص 307، خصائص الوحي المبين ف 5 ص 55-52، ابن بطريق ف 9 ص 25-23.

فما طَلَبَ المبعوثُ أجراً علي الهدي بتبليغه إلا المودّة في القُربي (1)

وقال الشافعي في هذا الشأن:

يا أهل بيْتِ رسولِ الله حُبُّكُمْ (2)

2 - آية التطهير:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (3)

وردت احاديث متواترة ومشهورة عند الفريقين - السنة والشيعة - في ان آية التطهير نزلت في مورد اجتماع أشرف شخصيات عالم التكوين، أي الخمسة أصحاب الكساء والذين صلّي ودعا لهم الرسول صلي الله عليه وآله مرات متكررة في بيته وفي بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وفي حجرة أم سلمة وبعض الاماكن الاخرى، فهذه الآية الشريفة والأحاديث الواردة في تفسيرها تدلُّ بوضوح علي عصمة و جلالة شأن الإمام الحسين عليه السلام.

وفيما يتعلق بهذه الآية الشريفة واحاديث الكساء و متونها، أُلِّفَت كتب كثيرة، وقد نقل قسماً منها بعض الرواة مثل صبيح (4) ونقل مسلم و البغوي و الواحدي و الاوزاعي و المحب الطبري، و الترمذي و ابن الاثير و ابن عبد البر و

ص: 23

1- الصواعق المحرقة ص 170. اسعاف الراغبين ص 119.

2- نظم درر السحطين ص 18. اسعاف الراغبين ص 121. الاتحاف ص 29. الصواعق ص 148.

3- سورة الأحزاب آية 33.

4- اسد الغابة ج 13 ص 11. الاصابة ج 2 ص 175-33-4.

احمد و الحموي و الزيني الدحلان و البيهقي و اخرون عن عائشة و ام سلمة و انس و وائلة و صبيح و عمر بن ابي سلمة و معقل بن يسار و ابي الحمراء و عطية و ابي سعيد و ام سليم، روايات عديدة في هذه الواقعة الجليلة و المنقبة العظيمة.

عن عائشة قالت:

خرج النبي صلي الله عليه و آله ذات غداة و عليه مرط مرجل من شعر فجاء الحسن بن علي فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم جاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»

و روي الأوزاعي عن شداد بن عبد الله قال: سمعت وائلة بن الاسقع و قد جيء برأس الحسين عليه السلام فلعنه رجل من اهل الشام و لعن أباه فقام وائلة و قال:

و الله لا أزال أحب عليا و الحسن و الحسين و فاطمة بعد أن سمعت رسول الله صلي الله عليه و آله يقول فيهم ما قال، لقد رأيتني ذات يوم و قد جئت النبي صلي الله عليه و آله في بيت ام سلمة فجاء الحسن فأجلسه علي فخذة اليمنى و قبله ثم جاء الحسين فأجلسه علي فخذة اليسرى و قبله ثم جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه ثم دعيت بعلي ثم قال «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»⁽¹⁾

و روي «الدولابي» في «الذرية الطاهرة» عن أم سلمة ان رسول الله صلي الله عليه و آله قال لفاطمة: اثنتي بزوجك و ابنيك. فجاءت بهم و أكفأ عليهم كساءً فذكرت ذلك لهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك و بركاتك علي آل محمد انك حميد مجيد.0.

ص: 24

قالت أم سلمة: فرفعتُ الكساء لأدخل معهم ف جذبهُ رسولُ الله صلي الله عليه وآله وقال:

«إِنَّكَ عَلِيٌّ خَيْرٌ»(1)

وروي، الحموي نظير هذه الرواية عن وائلة(2) وروي الواحدي في اسباب النزول و أحمد في المناقب و الطبراني عن ابي سعيد الخدري أن آية «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ» نزلت في حق خمسة اشخاص وهم: رسول الله صلي الله عليه وآله و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام.(3)

وروي احمد عن أم سلمة مثله.(4) وروي مثله الواحدي(5) بسنده عن أم سليم.

وهذه الاحاديث الكثيرة تدل علي عصمة سيد الشهداء عليه السلام و أن كل عمل و نهضة تصدر عنه، إنما هي مطابقة للصواب و الحقيقة و قد استدلل السيوطي بهذه الآية و قال: الكلّ يعتبر أن اجماع اهل البيت عليهم السلام، حجّة، لان الخطأ رجس و قد نفاه الله عنهم.(6)».

ص: 25

-
- 1- ذخائر العقبى ص 24. العمدة ف 9 ص 25. و نقل في الفصل 8 صفحة 22-15 و فصول اخري احاديث كثيرة عن اهل السنة في اجتماع هؤلاء الخمسة المصطفين.
 - 2- فرائد السمطين ج 1 ص 24.
 - 3- ذخائر العقبى ص 24. و ذكر فيه طرق هذا الحديث في الصفحات 24-21. اسباب النزول ص 267.
 - 4- السيرة النبوية ج 3 ص 366.
 - 5- اسباب النزول ص 267.
 - 6- الأكليل ص 178؛ و لا يخفي ان أسانيد هذا الحديث في الكتب الشيعية كثيرة جداً، و قد روي متن بعض هذه الأحاديث بنحو مفصل مثل حديث الكساء».

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَانَنَا وَأَبْنَاكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (1)

من جملة الآيات الدالة على فضيلة وعلو مقام ورتبة سيّد الشهداء عليه السلام وباتفاق المسلمين هي آية المباهلة الشريفة.

وتعد قضية المباهلة بين النبي صلي الله عليه وآله ونصاري نجران من أوضح مظاهر ودلائل قوة ايمان النبي الأكرم صلي الله عليه وآله و تمسكه واعتقاده برسالته، إذ أنّ الدعوة الي المباهلة من قبله عليه السلام اذا لم تكن مقرونة بايمانه الراسخ بدعوته، لكانت انتحاراً حقيقياً و سنداً مهماً بيد أعدائه لإبطال رسالته.

إذ إنّ الأمر لم يكن ليخلو من احدي نتيجتين، إمّا ان يستجاب دعاء النصاري بانزال اللعنة الإلهية على جانب النبي الاكرم صلي الله عليه وآله و إمّا ان لا- يستجاب دعاء كلا الجانبين، وفي كلتا الحالتين تبطل دعوي الرسول الكريم صلي الله عليه وآله، و لم نعهد عاقلاً إدعي النبوة قد اقترح مثل هذا الاقتراح و التحدي الا اذا كان علي يقين و اطمئنان تامين من استجابته دعائه في هلاك أعدائه، وقد كان النبي محمد صلي الله عليه وآله حاملاً لمثل هذا اليقين، و لذا قام بكل جرأة و شجاعة بمثل هذا الاقتراح، و هذا الثبات و الطمأنينة هو الذي أجبر خصمه علي الانسحاب.

كما ان إشراك الإمام عليّ و الحسن و الحسين و فاطمة الزهراء عليهم السلام في المباهلة بامرٍ من الله تعالى، لخير دليل علي أنّ هؤلاء النفر الأربعة هم خير خلق

ص: 26

اللّٰه تعالي و أعزّ الناس علي قلب رسول اللّٰه صلي الله عليه و آله.

أجل، لقد كانت آية المباهلة اعلان جلاله و مقام هؤلاء الأطهار و قربهم من اللّٰه تعالي و من ثمّ كانت هذه الفضيلة واحدةً من أهمّ فضائل الإمام الحسين حيث إنتخب من بين كلّ الامة الإسلامية، اطفالها و شبّانها و شيوخها رجالاً و نساءً، ليكون أحد دعائم هذه القضية التاريخية و المنعطف العقائدي الخطير، بمعية أمّه و أبيه و أخيه.

و في الوقت الذي نجد أنفسنا في غنيّ عن ذكر المصادر و المراجع التي نقلت هذه الحادثة لكبار مفسري و محدثي و مورخي المسلمين الّا أنّنا سنذكر طرفاً منها ليراجعها من أراد الوقوف علي المزيد من حقائقها: تفسير الطبري، البيضاوي، النيشابوري، الكشاف، الدر المنثور، اسباب النزول للواحيدي، الاكليل للسيوطي، مصابيح السنّة، سنن الترمذي و كتب اخرى.

ص: 27

سِمَاتُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَحَادِيثِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

1 - الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

روي أحمد بن حنبل في مسنده، البيهقي في سننه، الطبراني في الاوسط وفي الكبير، ابن ماجه في السنن، السيوطي في الجامع الصغير و الحاوي و الخصائص الكبرى، الترمذي في سننه، الحاكم في المستدرک، ابن حجر في الصواعق، ابن عساکر في تاريخ دمشق، ابن حجر العسقلاني في الإصابة، ابن عبد الله في الاستيعاب، البغوي في مصابيح السنة، ابن الاثير في أسد الغابة، الحموي في الشافعي في فرائد السمطين، أبو سعيد في شرف النبوة، و المحب الطبري في ذخائر العقبى، ابن السمان في الموافقة، النسائي في خصائص امير المؤمنين، ابو نعيم في الحلية، الخوارزمي في المقتل، ابن عدي في الكامل، المناوي في كنوز الحقائق، و اخرون عن النبي الأعظم صلي الله عليه و آله انه قال: «الحسن و الحسين سيّدا شباب اهل الجنة».

و هذا الحديث روي باسانيد عديدة عن جمع من كبار الصحابة كعلي بن ابي طالب عليه السلام، ابن مسعود، حذيفة، جابر، ابوبكر، عمر، عبد الله بن عمر، قُرّة، مالك بن الحويرث، بريده، ابي سعيد الخدري، ابي هريرة، اسامه، براء، و أنس و غيرهم.

و يستفاد من مجموع ذلك أنّ النبي صلي الله عليه و آله قد عرّف الحسن و الحسين عليهما السلام بهذه الصفة مرات متكررة، و ان صدور هذا اللفظ «الحسن و الحسين سيّدا شباب اهل الجنة» عن رسول الله صلي الله عليه و آله متواترٌ و مسلّمٌ و مشهورٌ و معروفٌ عند المسلمين، كما أنّ

متن اكثر الاحاديث هو هذا اللفظ. وورد في بعضها: «إنَّ ملكاً من الملائكة هبط عليّ ولم يكن قد هبط قبل ذلك وبشرني بأن ابنتي فاطمة سيدة نساء امتي وان حسناً و حسيناً سيداً شباب اهل الجنة»

وفي بعضها اضافة: «وأبوهما خيرٌ منها»

وفي بعض طرق هذا الحديث ذكرت فضائل اخري لأهل البيت عليهم السلام. (1)

2 - الحسين حبيب رسول الله صلي الله عليه وآله

«حسينٌ مني وأنا من حسين»

كان حبُّ رسول الله للحسن والحسين عليهما السلام حباً مميزاً، وكان صلوات الله وسلامه عليه يظهر ذلك الحب ويفصح عنه في مناسبات عديدة.

وقد اتفقت الروايات والتاريخ علي أنّ حبَّ النبي لهؤلاء الاطهار لم يكن حبَّ الابِّ لأبنائه فحسب بل كان حبه يتعدى ذلك فجزور هذا الحب تمتد الي وحدة سنخية أرواحهم واتصالهم المعنوي الراسخ وتوافقهم الفكري العميق، الذي يعبر عنه النبي صلي الله عليه وآله:

ص: 29

1- سنن ابن ماجه ج 1 باب فضل اصحاب رسول الله صلي الله عليه وآله - ص 56. الجامع الصغير ج 1 ص 7 و ص 152. الصواعق ص 185 و ص 189. الاصابة ص 330. الترمذي ج 13 ص 191 و ص 192 و ص 198. مصابيح السنة ج 2 ص 280. الحاوي ج 2 ص 457. فرائد السمطين ص 35. درر السمطين ص 205. ذخائر العقبى ص 93 و ص 139. خصائص النسائي ص 48 و ص 49 و ص 53 و حلية الأولياء ج 5 ص 71. مقتل الخوارزمي ف 6 ص 92. الخصائص الكبرى ج 2 ص 265. مطالب السؤل ص 65. تاريخ ابي الفداء ج 2 ص 97.

«إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»

او كما جاء في حديث زيد بن ارقم:

«أنا سِلْمٌ لِمَنْ سَأَلْتَهُمْ وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتَهُمْ»⁽¹⁾. و تعابير اخري كلها تدل علي تفسير و ترجمة هذا الحَبِّ و العلقه الثابته بينهم، البعيده عن المجاملات و المبالغات.

إنَّه اتصال واقعي روحي و وحدة فكرية و أخلاقية و عقائدية تدعو النبي الاكرم صلي الله عليه و آله الي ان يعبرَ بهذا التعبير «أنا سلمٌ لمن سالمتم و حرب لمن حاربتم» فالجمله صريحه في وحدة التفكير و السلوك و الاساليب بينهم و بين النبي الاكرم صلوات الله عليهم اجمعين، و انه لا اختلاف و لا تفاوت بينهما في هذه الجهات ابدأً و بذلك فقط يصير سلمهم و حربهم، سلم و حرب رسول الله صلي الله عليه و آله.

و نحن اذ نطالع هذه الاخبار و الاحاديث التي تحكي لنا شدة ارتباط النبي بالحسين عليهم السلام، يجب ان لا نغفل عن ان هذه الكلمات تصدر عن خير انبياء الله و سيدهم، و عن رجل قضى حياته ماقناً للمجاملات الكاذبة و الإطراءات الخادعة و التملُّقات الرخيصة، بل كانت خطاباته و سلوكه و افعاله كلُّها حجّة للبشرية، و قوانين و شرائع للإنسانية، فكان كل ما يقوله ترجمةً للحقيقة.

لقد كان لرسول الله صلي الله عليه و آله بنات غير فاطمة عليها السلام و كان له ابناء عمومة غير علي عليه السلام، فلماذا خص حنانه و محبته المتميزة لهاذين و ابناهما دون سائر اقربائه؟

و لماذا اختار هؤلاء من دون سائر اصحابه؟

كل ذلك بسبب أن هؤلاء الاربعة كانوا يُجسّدون صفاته و اخلاقه و كمالاته الروحية.8.

ص: 30

1- سنن ابن ماجه ج 1 باب: فضل اصحاب رسول الله صلي الله عليه و آله ص 65. سنن الترمذي ج 13 ص 248.

اذن، فافضل معرّفٍ ودليل للفرد المؤمن علي عظمة الإمام الحسين عليه السلام وفضله هو نفس هذا الخطاب النبوي الشريف.

ومن جملة الأحاديث الحاكية عن هذا الارتباط و التعلق الشديد لرسول الله صلى الله عليه وآله بالحسين عليه السلام هو حديث يعلي بن مرّة إنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله الي طعام دعي اليه فإذا حسين عليه السلام يلعب مع الغلمان في طريق فاستثقل رسول الله صلى الله عليه وآله أمام القوم ثم بسط يده وجعل الصَّبِيَّ يفرُّ هاهنا و هاهنا فأخذه فقال: «اللهم إني أحبُّه حسين بسط من الاسباط.»(1)

ورواه البخاري و الترمذي و ابن ماجه و الحاكم بهذا النص:

«حُسين مَنِّي و أنا مِنْهُ أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسيناً. الحسن و الحسين سِبْطانِ مِنَ الاسباط.»(2)

وروي الشرباصي حديث النبي صلى الله عليه وآله:

«حُسين سِبْطٌ مِنَ الاسباط و أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ»

ثم قال نقلاً عن القاموس: معني السبَط، الجماعة و القبيلة، وقد يُريد النبي بذلك ان الحسين في مرتبته و رفعته أُمَّةٌ كاملة، أو أن أجر الحُسين و ثوابه كأجر امة كاملة لعظمة فضيلته و عظمة ما قام به عليه السلام.(3)

ص: 31

1- سنن ابن ماجه ج 1 ص 65. مصابيح السنة ج 2 ص 281. الترمذي ج 13 ص 195 و ص 196. اسد الغابة ج 5 ص 130 و ص 574 و ج 2 ص 19. كنز العمال ج 6 ص 233 و ج 3 ص 395. مطالب السنول ص 71.

2- الجامع الصغير ج 1 ص 148. كنز العمال ج 6 ص 223 ح 3953. امالي الشريف المرتضي ج 1 ص 219.

3- راجع حفيده الرسول ص 40.

وروي الشبلنجي و ابن عبد البر و مُسلم عن ابي هريرة، عن النبي صلى الله عليه و آله قال في حق الحسن و الحسين عليهما السلام عليهما السلام:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»(1)

وروي البغوي و الترمذي و سيد احمد الزيني و ابن الاثير و النسائي عن أسامة قال: ان رسول الله صلى الله عليه و آله قال في الحسن و الحسين عليهما السلام:

«هذان إبناي و إبنائتي اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا»

وروي الترمذي أن النبي صلى الله عليه و آله قال:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»(2)

وروي الترمذي و البغوي عن أنس ان النبي صلى الله عليه و آله سئل عن احب أهل بيته اليه فقال: الحسن و الحسين.

و نقل السيوطي و المناوي ان النبي صلى الله عليه و آله قال:

«أَحَبُّ أَهْلِ بَيْتِي إِلَيَّ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ»(3)

وروي الترمذي و البغوي عن انس ان النبي صلى الله عليه و آله كان يقول لفاطمة عليها السلام:

«أَدْعُ إِلَيَّ ابْنِي فَيَسْتَمُّهُمَا وَيَضُمَّهُمَا إِلَيْهِ»(4)

وروي أحمد بن حنبل ان النبي صلى الله عليه و آله كان يقول:4.

ص: 32

1- الاستيعاب ج 1 ص 376. نور الابصار ص 104. السيرة النبوية ج 3 ص 368.

2- مصابيح السنة ج 2 ص 280. الترمذي ج 13 ص 192 و ص 193 و ص 198. اسد الغابة ج 2 ص 11. خصائص النسائي ص 53-52.

3- مصابيح السنة ج 2 ص 281. الترمذي ج 13 ص 194. الجامع الصغير ج 1 ص 11. كنوز الحقايق ج 1 ص 11.

4- ذخائر العقبى ص 143. نور الابصار ص 114.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّ حُسَيْنًا فَأَحِبَّهُ وَأَحِبُّ مِنْ يُحِبُّهُ»(1)

وروي ابنُ أبي شيبه ان النبي صلي الله عليه وآله كان يقول في حق الحسن والحسين:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا وَابْغُضْ مِنْ يُبْغِضُهُمَا»(2)

وروي الصَّبَّان عن أبي هريرة قال:

«رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَمْتَصُّ لِعَابِ الْحُسَيْنِ كَمَا يَمْتَصُّ الرَّجُلُ الثَّمَرَةَ»(3)

وروي المحب الطبري عن ابن بنت منيع وهو عن يزيد بن أبي زياد انه قال:

خرج النبي من بيت عائشة فمرَّ بدار فاطمة وسمع الحسين يبكي فقال:

«أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ بَكَاءَهُ يُؤْذِينِي»(4)

ونكتفي بما نقلناه عن سرد أمثال هذه الاحاديث وهي كثيرة، وسيظهر لنا مما سنرويه في الفصول اللاحقة مدي عمق وشدة حبِّ النبي صلي الله عليه وآله للإمام الحسين عليه السلام.

3 - الحُسَيْن رِيحَانَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

روي ثلثة من كبار محدثي اهل السنَّة عن علي عليه السلام وإبن عمر وأبي هريرة وسعيد بن راشد وأبي بكر، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«الحسن والحسين عليهما السلام ريحانتاي مِنَ الدُّنْيَا»

وفي لفظ آخر:

«الْوَلَدُ رِيحَانَةٌ وَرِيحَانَتِي الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ»

ص: 33

1- كنوز الحقائق ج 1 ص 44.

2- كنوز الحقائق ج 1 ص 44.

3- اسعاف الراغبين ص 182.

4- ذخائر العقبى ص 143. نور الأبصار ص 114.

وفي لفظ آخر:

«إِنَّ ابْنَ هَذَيْنِ رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»

وفي آخر:

«هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»

و من اختلاف الألفاظ يظهر لنا جلياً صدور هذا المضمون مراراً وتكراراً من النبي صلي الله عليه وآله (1) و روي سعيد بن راشد ان الحسن والحسين اقبلا الي النبي صلي الله عليه وآله فضمّهما اليه وقال:

«هذان ریحانتاي من الدنيا من أحبّتي فليُحبّهما» (2)

و روي المناوي عن الديلمي في فردوس الاخبار ان النبي صلي الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام:

«سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا أَبَا الرِيحَانَتَيْنِ» (3)

اضف الي هذه الاحاديث ما ورد عنه عليه السلام مثل قوله:

«أوصيك بریحانتَيَّ خيراً» (4)

و لكننا عرضنا عن ذكرها رعاية للاختصار.

ص: 34

-
- 1- صحيح البخاري ج 2 ص 188. الترمذي ج 13 ص 193. اسد الغابة ج 2 ص 19. الإصابة ج 1 ص 332. مصابيح السنة ج 2 ص 280-279. كنوز الحقائق ج 1 ص 63 و ص 67 و ج 2 ص 151. خصائص النسائي ص 54. كنز العمال ج 6 ص 220 ح 3874 و ص 221 ح 3912. نظم درر السمطين ص 212. مطالب السؤل ص 56. الصواعق ص 191.
 - 2- ذخائر العقبي ص 124.
 - 3- كنوز الحقائق ج 1 ص 145.
 - 4- تاج العروس ج 2 ص 145. نهاية ابن الأثير.

4 - الحُسين عليه السلام أشبه أهل البيت بالنبي صلي الله عليه وآله

روي البخاري وابن الاثير أنه عندما جي براس الحسين عليه السلام لابن زياد لعنه الله و وضع بين يديه في طست، اخذ ابن زياد يضرب الرأس الشريف بعمود خيزران ويقول: اسرع اليك الشيب يا ابا عبد الله. فقال له أنس: انه اشبه اهل بيته برسول الله صلي الله عليه وآله (1) ونقل في «البدء والتاريخ» ان عبيد الله بين زياد كان يضرب الرأس الشريف ويقول: لم أرَ وجهاً أجملَ منه» فقال له انس بن مالك: إعلم انه شبيه رسول الله صلي الله عليه وآله (2)

5 - النبي صلي الله عليه وآله يقبل الحسين عليه السلام

ان تقبيل الأولاد هو احد مظاهر المحبة و ترجمة العاطفة الجياشة للوالدين تجاه أولادهم.

لقد كانت امثال هذه التعابير عن العاطفة و الاحاسيس الشفافة معدومة في الجاهلية عند العرب قبل شروق شمس الإسلام و الهداية، حيث كان العرب يعتبرون الرأفة و الشفقة و المحبة و العطف لوناً من الوان الضعف، بينما كانوا يتفاخرون بقساوة القلب. و من اوضح مظاهر قساوة القلب عندهم هي ظاهرة وأد البنات حيث كان الاب يدفن ابنته و هي حيّة.

ص: 35

1- صحيح البخاري ج 2 ص 188. اسد الغابة ج 2 ص 20.

2- البدء والتاريخ ج 6 ص 11.

وكان تقييل الولد وخاصة البنت يُعدّ عاراً عندهم، كما ان حَمَل الولد امام الانظار يُعدُّ عندهم ضِعَّةً و كسراً للهيبة و خرقاً للحشمة الكاذبة المصطنعة التي كان المتكبرون منهم يصفونها علي أنفسهم.

ولمّا كان النبي الأكرم صلي الله عليه وآله رحمة للعالمين و مبرءاً و منزهاً عن الرياء و النفاق، و كان ساعياً لبسط الرحمة و الرأفة و الإحسان و المحبة بين الناس و داعياً للايثار و نشر الفضائل و تقوية العواطف الخيرة، لذا نجد انه كما كان مظهرًا لتمام و كمال العواطف الإنسانية لسائر المسلمين، فكذلك كان في اهل بيته، فقد وصلت احساسه و عواطفه النبيلة تجاه ابنته فاطمة عليها السلام و أبنائها حدّ الكمال، و كان يري ان وجود الحسن و الحسين عليهما السلام امتداداً لوجوده الكريم، و ان بقاءهم و حياتهم بقاءه و حياته.

تقول «بنت الشاطي» الدكتورة المصرية و الاستاذة في جامعة عين شمس موضحة جانباً من جوانب حبّ و عاطفة النبي صلي الله عليه وآله تجاه ابنا ابنته العزيزة فاطمة عليها السلام في فصل مستقل من كتابها بنات النبي صلي الله عليه وآله:

و احتفلت مدينة الرسول صلي الله عليه وآله بمولد «الحسن عليه السلام» و تصدق جده صلي الله عليه وآله علي الفقراء من أهلها بزنة شعره فضة. ثم راح يرقب تفتح الحياة في هذه الفلذة الغالية منه، فما بلغ الوليد من العمر عاماً و بعض عام، حتي أردفته أمه الزهراء عليها السلام بشقيقه «الحسين عليه السلام» في شهر شعبان، سنة أربع من الهجرة.

و تفتح قلب النبي صلي الله عليه وآله لهذين الحفيدين الغاليين يملآن حُسن أم أبيها «الزهراء عليها السلام»، و رأي فيهما امتداداً لحياته الخاصة علي هذه الأرض، و متنفساً لما يفيض به قلبه الكبير من عاطفة الأبوة التي يئست من الولد منذ ماتت خديجة عليها السلام.

و بدا أن قدانقطع خلف محمد بن عبد الله، إلا ان يكون عن طريق ابنته

«الزهراء عليها السلام».

فلا عجب أن أقبل الرسول علي سبطيه «الحسن و الحسين عليهما السلام» يغمرهما بكل ما امتلأ به قلبه الكبير من حب و حنان، و يفيض عليهما من عاطفة الأيوة ما شاء له الحرمان من الولد، علي كثرة من تزوج من النساء. بل لا عجب ان دعاهما ابنيه، فعن أنس بن مالك أنه صلي الله عليه و آله «كان يقول لفاطمة عليها السلام:

«ادع لي ابني. فاذا ما جاء اليه شتمهما و ضمّهما».

و نقل الترمذي في سننه عن «أسامة بن زيد» أنه قال:

طرقت باب النبي صلي الله عليه و آله في بعض الحاجة، فخرج رسول الله و هو مشتمل علي شيء لا أدري ما هو، فلما فرغت عن حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه يا رسول الله؟

فكشفه، فاذا الحسن و الحسين عليهما السلام، و قال:

«هذان ابناي و ابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبّهما، و أحبّ من يحبّهما.»

و كان اسماهما عليهما السلام نعمة حلوة في فم أبي الزهراء عليهما السلام، يستعذبها و لا يمل من ترديدها، و فيهما كان يجد أنسه و سلوته عن فقد من الأبناء!

لقد آثر الله الزهراء بالنعمة الكبرى، فحصر في ولدها ذرية نبيه المصطفي صلي الله عليه و آله، و حفظ بها أشرف سلالة عرفتها العرب منذ كانت.

كما كرم الله وجه «علي عليه السلام»، فجعل في صلبه نسل خاتم الأنبياء، فكان له من هذا الشرف مجد الدهر و عزة الأبد.

و لعل محمداً صلي الله عليه و آله لو خير أي بناته تكون وعاء لنسله الطهور، و أي أصهاره يكون أبا لأهل البيت الشريف، لأختار ما اختاره الله له!

فعلي أقرب أصهاره اليه مكانا و أمسهم رحماً، في عروقه يجري الدم الهاشمي

الأصيل، وعند عبدالمطلب يلتقي نسبه بنسب الرسول، فكلاهما له حفيد!

وليس بمستغرب بعد هذا، أن يعي الزمن من آيات حب الرسول صلي الله عليه وآله للزهراء عليها السلام وعلي عليه السلام وبنيهما عليهما السلام، ما نستطيع معه أن نتمثله صلي الله عليه وآله وهو يرنو الي بيت صهره «علي عليه السلام» كلما مرَّ به، وقلبه الكريم يخفق حباً وحنواً، فاذا وجد من وقته سعة، عرج علي دار الأحبة، فأسعد أهلها بعطفه، وأسبغ علي حفيديه فيضاً من حنانه الغامر!

وعاشت له فاطمة عليها السلام، كما عاش بنوها يملئون دنيا الرسول بهجة وأنسا، ويرضون فيه عاطفة الأبوة التي آدها تكل البنين والبنات، ولم يبق لها إلا هذه البنت الحبيبة، تعوض أباهما عن فقد، وتعزيه عن غاب. (1) وروي ابن عبد البر القرطبي عن ابي هريرة قال: قال ابو هريرة:

أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ هَاتَانِ وَسَمِعْتُ أُذُنَايَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ آخِذٌ بِكَفِّي حُسَيْنٍ وَقَدَمَاهُ عَلَيَّ قَدِمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ يَقُولُ: تَرَقَّى عَيْنَ بَقَّةٍ، قَالَ: فَرَقِيَ الْغُلَامُ حَتَّى وَضَعَ قَدَمَيْهِ عَلَيَّ صَدْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ رَسُولَ اللَّهِ: «إِفْتَحْ فَالْكَ». ثُمَّ قَبَّلَهُ ثُمَّ قَالَ:

«اللَّهُمَّ أَحِبَّهُ فَاتِي أَحِبُّهُ» (2)م.

ص: 38

1- بنات النبي ص 253-244 - بنت الشاطئ.

2- الاستيعاب ج 1 ص 182 وص 383. السيوطي في الجامع الصغير ج 3 ص 184 نقلاً عن الخطيب عن وكيع في الغرر و ابن سني في عمل اليوم والليلة، وكذلك عن ابي عساكر عن ابي هريرة ونقل الحديث بهذا اللفظ: «حُرْفَةٌ حُرْفَةٌ مَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ» ورواه ابن منظور في لسان العرب بهذا اللفظ أيضاً ومن كلامه يستفاد ان النبي صلي الله عليه وآله كان يلاطف الحسنين مراراً بهذا النحو. و «الحُرْفَةُ» بفتح الحاء و ضمّ الزاء أو بضمهما معاً، كلمة تقال للشخص الضعيف الصغير قصير القدمين، و تَرَقَّى بمعني إصعد، و عَيْنَ بَقَّةٍ كناية عن الصغر كما ذكر ذلك العلايلي، وهذه الجملة تقولها العرب لملاعبة الاطفال و ملاطفتهم.

روي العلايلي هذا الحديث وقال: إنَّ «عَيْن بَقَّة» كلمة تؤثر في روح الطفل و تدخل عليه البهجة و الطراوة.

ثم يقول: و لقد كان النبي صلي الله عليه و آله يمدُّه من رواء العاطفة كما يمدّه من رواء النبوة، و يغمره بالحب و يسقيه من نَبْعة الشعور، حتى يجيء حُفًا قدسياً لمعني قدسي، يقدّم فيه المُمثاليَّة العظمي التي يَنشُدُها الانسان بالجدِّ، فلا يخوض منها إلا في السَّراب و الآل، و فيما يقص أبو هريرة شكل من أشكال تَخْلِيْق النبي صلي الله عليه و آله للحسين عليه السلام تخليقاً مثالياً، قال في حديث له «أبصرت عيناى هاتان و سمعت أذناى رسول الله صلي الله عليه و آله، و هو آخذ بكفي حسين صلي الله عليه و آله و قدماه علي قدم رسول الله صلي الله عليه و آله و هو يقول ترق ترق عين بقّة، فرق الغلام حتى وضع قدميه علي صدر رسول الله صلي الله عليه و آله، ثم قال رسول الله صلي الله عليه و آله افتح فاك ثم قبله، ثم قال:

«اللهم أَحِبِّه فإني أَحِبُّه.»

فالنبي صلي الله عليه و آله خَتَمَ في نفس الغلام، علي ما استودع من معاني نفسه الكبيرة بقبلة ناعمة، ثم قال يدعو اللهم أحبه فإني أحبه، كأنه قال للناس مشيراً إلي غلامه، أنا هنا.

و الحب لا يكون حباً إلا إذا صاحبه الاصطفاء و الاستخلاص، و أمّا إذا جاء دونهما فانما هو شيء من طَفْح العاطفة، فلا تبالي أني وقعت. فالنبي صلي الله عليه و آله يحب حسيناً حقيقة الحب لأنه مصطفاه، و الله يحبه لأن النبوة تركت به شَفَقاً يعترض الأفق في مفرق الغروب. (1)ي.

ص: 39

و نقل ابن الاثير و السبط ابن الجوزي و الطبري قال ابو مخنف:

«حدثني سليمان بن ابي راشد، عن حميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلي اهله لأبشرهم بفتح الله عليه و بعافيته، فأقبلت حتي أتيت أهله، فاعلمتهم ذلك، ثم أقبلت حتي أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس و أجد الوفد قد قدموا عليه؛ فأدخلهم. و أذن للناس، فدخلتُ فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، و إذا هو ينكت بقضيب بين ثناييه ساعةً، فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجم عن نكته بالقضيب، قال له: «أعلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين، فوالذي لا إله غيره لقد رأيتُ شَفَتي رسولِ الله صلي الله عليه و آله علي هاتين الشفتين يقبلهما» ثم انفضح الشيخُ يبكي؛ فقال له ابن زياد: أبكي الله عينك! فوالله لولا أنك شيخ قد خرفتَ و ذهب عقلك لضربتُ عنقك. قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعتُ الناس يقولون:

و الله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله. قال: فقلت: ما قال؟ قالوا:

مرّ بنا و هو يقول: ملكٌ عبدٌ عبداً، فاتخذهم تُلداً. أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، و أمرتم ابن مُرجانة فهو يقتل خياركم، و يستعبد شراركم، فرضيتم بالذلّ، فبعداً لمن رضي بالذلّ! [\(1\)](#) و نقل في «البدء و التاريخ» ان يزيداً أمر ان يوقفوا نساء الحسين عليه السلام و بنات الرسالة بباب المسجد حيث يحبس الأساري كي يتفرج الناس عليهم و وضع رأس الحسين بين يديه و أخذ يضربه بعمود الخيزران أو بالسيف و يقول:

ليت أشياخي بيدرٍ شهدوا جزع الخرزج من وقع الأسلّ 7.

ص: 40

1- اسد الغابة ج 2 ص 21. تاريخ الطبري ج 4 ص 349. الكامل ج 3 ص 298. تاريخ ابي الفداء ج 2 ص 106. تذكرة الخواص ص 267.

لأهلّوا واستهّلّوا فرحاً و لقالوا يا يزيد لا تشل (1)

روي ابن الاثير و الترمذي و الطبري عن ابي برزه و هو من أصحاب رسول الله صلي الله عليه و آله انه قال ليزيد:

«أنتك بقضيبك في ثغر الحسين عليه السلام؟! أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً، لربّما رأيت رسول الله يرشفه، أما انك يا يزيد تجيء يوم القيامة و ابن زياد شفيحك، و يجيء هذا يوم القيامة و محمد صلي الله عليه و آله شفيعه. ثم قام فوّلّي. (2)

6 - النبي الاكرم صلي الله عليه و آله يحمل الحسين عليه السلام علي كتفه

وردت روايات كثيرة في أن النبي محمد صلي الله عليه و آله كان يحمل الحسين عليه السلام علي كتفه و علي صدره، و قد روي اهل السنة ذلك أمثال ابن حجر العسقلاني عن ابي هريرة، و عبد الله البغوي عن شداد و ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود، و ابو حاتم عن عبد الله و جابر و ابن ابي الغزّاء عن انس، و روا هذا المعني من تعلق النبي العاطفي و الروحي بولديه الحسن و الحسين عليهما السلام. (3) و يُستفاد من جملة الاحاديث تكرر حمل النبي صلي الله عليه و آله الحسن و الحسين علي كتفه، و كذلك ارتقاءهما ظهر رسول الله حال الصلاة و هما صبيّين. و عُرِفَ أنّ النبي صلي الله عليه و آله كان يؤخر رفع رأسه من السجود حتي ينزل الحسن أو الحسين عن كتفه،

ص: 41

1- البدء و التاريخ ج 6 ص 12.

2- الكامل ج 2 ص 299. اسد الغابة ج 5 ص 20. الترمذي ج 13 ص 197. الطبري ج 4 ص 356.

3- الاصابة ج 1 ص 330 الحديث 1719. الجامع الصغير ج 2 ص 118. ذخائر العقبى ص 123 و ص 132.

بل ويستفاد من بعضها توبيخ النبي صلي الله عليه وآله لمن لا يعرف قدر الحسن والحسين عليهما السلام.

وفي هذا السياق روي ابو سعيد في «شرف النبوة» عن عبد العزيز باسناده عن النبي صلي الله عليه وآله قال:

كان رسول الله صلي الله عليه وآله جالساً فاقبل الحسن والحسين فلما رأهما صلي الله عليه وآله قام لهما واستبظاً بلوغهما اليه فاستقبلهما وحملهما علي كتفيه وقال: «نعم المطيُّ مطيُّكما ونعم الراكبان أنتما» (1)

وروي الشبلنجي ان النبي صلي الله عليه وآله مرَّ بالحسن والحسين عليهما السلام وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال: نعم المطيَّة مطيتهما، ونعم الراكبان هما. (2)

وروي جمال الدين الحنفي والترمذي وابن حجر عن ابن عباس قال:

«أقبل النبي صلي الله عليه وآله وقد حمل الحسن علي رقبته، فلقيه رجل، فقال: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله: «و نعم الراكب هو»» (3).

وروي الزرندي عن عمر و جابر وسعد وأنس روايات اخري في هذا المعني (4).

7 - حبُّ الحسين عليه السلام فرض

إنَّ الاحاديث التي وردت في وجود حُبِّ الحسين عليه السلام بلغت حدَّ التواتر فقد روي ابن عبد البر و ابو حاتم و المحب الطبري عن عبد الله بن عمر ان النبي صلي الله عليه وآله قال:

ص: 42

1- ذخائر العقبى ص 130.

2- نور الأبصار ص 109.

3- الترمذي ج 13 ص 199-198. نظم درر السمطين ص 212. الصواعق ص 135.

4- نظم درر السمطين ص 212-211.

«من أحببني فليُحِبَّ هاذين» يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

وقال ابن عبد البر: وروي مثل هذا الحديث في المعجم البغوي عن شداد بن الهاد. (1) وروي الدولابي واحمد بن حنبل عن يعلي بن مرة قال: جاء الحسن والحسين يستبقان الي رسول الله صلي الله عليه وآله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده في عنقه فضمّه الي بطنه صلي الله عليه وآله وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال:

«إني أُحِبُّهُمَا فَاحِبُّوهُمَا» (2)

8 - فضل حُبِّ الحسين عليه السلام و عقاب من أبغضه

روي ابن ماجه، ابن حجر، الديلمي، المناوي، احمد، الحاكم، السيوطي، ابن حجر الهيثمي، هارون الرشيد عن أبائه عن ابن عباس، المحب الطبري، ابو سعيد ابن حرب الطائي، السلفي، ابو طاهر البالسي، ابن السري و ابن الجوزي عن النبي الاكرم صلي الله عليه وآله قال:

«مَنْ أَحَبَّ الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي»

وهذا الحديث مشهور و معروف بين المحدثين، وبعض طرقه تنتهي الي ابي هريرة و مضمونه ان النبي خرج ذات يوم و معه الحسن و الحسين علي كتفه يقبل مرّة هذا و مرّة هذا حتي وصل عندنا فقال: من أحبّ هذين فقد أحببني و من أبغضهما فقد أبغضني»

ص: 43

1- الاصابة ج 1 ص 330 ح 1719. ذخائر العقبي ص 123.

2- ذخائر العقبي ص 123.

وقد نقل بعض الرواة المقطع الاول فقط، ونقله بعضهم الآخر هكذا:

«هذان إبناي مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي»

وفي أحد الحديثين الذين رواهما هارون الرشيد في هذا الموضوع جاء:

«الحَسَنَ والحَسِينَ مَنْ أَحَبَّهُمَا فِي الْجَنَّةِ وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فِي النَّارِ»⁽¹⁾

وروي الترمذي و احمد، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَذَ بِيَدِ حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ فَقَالَ: مَنْ أَحَبَّنِي وَحَبَّبَ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.»⁽²⁾

وروي الطبراني عن سلمان ان النبي صلي الله عليه وآله قال:

«مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَدْخَلَهُ النَّعِيمَ وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا أَوْ بَغِيَ عَلَيْهِمَا أَبْغَضْتُهُ وَمَنْ أَبْغَضْتُهُ أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَأَدْخَلَهُ جَهَنَّمَ وَلَهُ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»⁽³⁾

9 - النَّظَرُ إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

روي ابن حبان، ابو يعلى، ابن عساکر، ابن سعيد، المحب الطبري، الشبلنجي و الصبان عن جابر بن عبد الله الانصاري قال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ (أَوْ مَنْ سَرَّ) أَنْ يَنْظُرَ إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ

ص: 44

1- سنن ابن ماجه ج 1 ص 56. الاصابة ج 1 ص 330 حديث 1719. كنوز الحقائق ج 2 ص 94. الجامع الصغير ج 2 ص 160. الصواعق ص 90. تاريخ الخلفاء ص 194. مسند أحمد ج 2 ص 228. ذخائر العقبى ص 123-124. نظم درر السمطين ص 210. مطالب السؤل ص 71.

2- سنن الترمذي ج 13 ص 176. الصواعق ص 187. السيرة النبوية ج 3 ص 368. كنز العمال ج 6 ص 216 حديث 3782.

3- كنز العمال ج 6 ص 222 ح 3916.

أهل الجنة فليُنظر الي هذا»

وروي أيضاً عن جابر بهذا اللفظ:

«مَنْ سَرَّهَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ - وَفِي لَفْظِ الْيَسِيدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ» (1)

10 - محبوب الحسين عليه السلام في الجنة

روي في «سيرة الملاء» عن ابن عباس حديثاً طويلاً عن النبي صلي الله عليه وآله في فضائل الحسنين عليهما السلام يقول في آخره «أن الحسن والحسين عليهما السلام وعمهما وعمتهما في الجنة، ومن أحبهما ففي الجنة ومن عاداهما ففي النار»

ورواه في «نظم درر السمطين» عن هارون الرشيد وذكر ان هارون كلما ذكر هذا الحديث جرت دموعه وخنقته العبرة» (2) وروي نظيره صاحب كتاب «السنة» عن حذيفة. (3)

11 - دَرَجَةُ الْوَسِيلَةِ

روي ابن مردويه عن علي عليه السلام أَنَّ النبي الاكرم صلي الله عليه وآله قال:

«فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةٌ تُدْعَى الْوَسِيلَةَ فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَأَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ سَكَنَ مَعَكَ فِيهَا؟ قَالَ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ» (4)

ص: 45

1- نور الابصار ص 114. ذخائر العقبي ص 130. اسعاف الراغبين ص 182.

2- هذا اعتراف صريح من اهل الباطل علي حقانية اهل الحق.

3- ذخائر العقبي ص 131. نظم درر السمطين ص 207 وص 213.

4- كنز العمال ج 6 ص 217 ح 3816. أسد الغابة ج 5 ص 523.

12 - الحسين عليه السلام مع النبي في درجته

روي احمد و الطبراني و ابن الاثير عن عليّ عليه السلام و الحاكم في مستدركه عن ابي سعيد إنّ النبي صلي الله عليه و آله قال لفاطمة عليها السلام:

«يا فاطمةُ اُنِّي و اِيَّاكَ و هذا الراقد (يعني علياً) و الحسنُ و الحسينُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَفِي مَكَانٍ واحِدٍ»(1)

و روي الطبراني عن ابي موسى ان النبي صلي الله عليه و آله قال:

«أنا و عليّ و فاطمةُ و الحسنُ و الحسينُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي قُبَّةٍ تَحْتَ العَرْشِ»(2)

و روي عمر بن الخطاب عن رسول الله صلي الله عليه و آله قال:

«أنا و عليّ و فاطمةُ و الحسنُ و الحسينُ فِي حَظِيْرَةِ القُدْسِ فِي قُبَّةٍ بِيضَاءَ و سَقْفُهَا عَرْشُ الرحمن»

و مثله عن ابي هريرة (3)

13 - وُجُوبُ نُصْرَةِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام

ان هذه المفردة مستفادة بوضوح من الاحاديث السابقة و كذا فيما سيأتي منها، و لو أنّ امثال عبد الله بن عمر و عبد الله ابن الزبير و غيرهم ممّن تيقنوا عدم شرعية حكومة يزيد، كانوا قد نصروا الحسين عليه السلام، لكان وضع الامة الإسلامية اليوم غير الذي هي عليه و هذه من اكبر الاشكاليات علي اولئك النفر من المسلمين.

ص: 46

1- كنز العمال ج 6 ص 216 ح 3793.

2- كنز العمال ج 6 ص 217 ح 3798. فرائد السمطين ج 1 ص 36.

3- فرائد السمطين ج 1 ص 36.

وقد روي أنس بن الحارث بن نبيه - وهو احد شهداء كربلاء مع الحسين عليه السلام - عن ابيه وهو من صحابة النبي صلي الله عليه وآله و من أهل الصَّفَّة قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول مشيراً الي الحسين الذي كان في حجره:

«إِنَّ ابْنِي هَذَا يُقْتَلُ فِي أَرْضِ يُقَالُ لَهَا الْعِرَاقُ فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَنْصُرْهُ»(1)

ورواه السيوطي عن البغوي، ابن عساكر و الباوردي و ابن منده و ابن السكن عن انس بن الحارث بهذا اللفظ:

«إِنَّ ابْنِي هَذَا يُقْتَلُ بَارِضٍ مِنَ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهَا كَرْبَلَاءَ فَمَنْ شَهِدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَلْيَنْصُرْهُ»(2)

وروي الخوارزمي في خبر طويل ان الحسين عليه السلام قال لابن عباس: أتعلّم أني ابن بنت رسول الله؟ فقال اللهم نعم، لا نعرف في الدنيا أحداً هو ابن بنت رسول الله غيرك و إن نصرتك لفرض علي هذه الأمة كفريضة الصيام و الزكاة التي لا تقبل احديهما دون الاخرى فقال الحسين عليه السلام يا ابن عباس، فما تقول في قولم أخرجوا ابن بنت رسول الله من وطنه و داره و موضع قراره و مولده و حرم رسوله و مجاورته قبره و مسجده و موضع مهاجرته و تركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار و لا يأوي الي وطن يريدون بذلك قتله و سفك دمه و هو لم يشرك بالله شيئاً و لا اتخذ دون الله ولياً و لم يتغير عما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وآله و خلفائه من بعده. فقال ابن عباس ما أقول فيهم إلا أنهم كفروا بالله و رسوله (لا يأتون الصلاة الا و هم كسالي يراؤن الناس و لا يذكرون الله الا قليلاً؛ مذبذبين بين ذلك لا الي هؤلاء و لا الي 9.

ص: 47

1- أسد الغابة ج 1 ص 349. الاصابة ج 1 ص 68 و ص 266.

2- كنز العمال ج 6 ص 223 ح 3939.

هؤلاء) الآية فعلي مثل هؤلاء تنزل الطبشة الكبرى؛ و اما انت ابا عبد الله فانك رأس الفخار، ابن رسول الله، وابن وصيه، وفرخ الزهراء نظيرة البتول، فلا تظن بابن رسول الله بان الله غافل عما يعمل الظالمون، و انا اشهد ان من رغب عن مجاورتك و مجاورة بنيك، فما له في الآخرة من خلاق، فقال الحسين اللهم اشهد، فقال ابن عباس جعلت فداك يا ابن رسول الله كانك تنعي الي نفسك؛ و تريد مني ان انصرك؛ فوالله الذي لا اله الا هو لو ضربت بين يديك بسيفي، حتي ينقطع و تنخلع يداي جميعاً لما كنت ابلغ من حقتك عشر العشير؛ وها انا بين يديك فمرني بامرك.

و هذا الخبر طويل و سننقل بغض مقاطعه في الصفحات اللاحقة و في أول هذا الخبر أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه و آله يقول: حسين مقتول فلئن خذلوه و لم ينصروه ليخذلنهم الله الي يوم القيامة. (1)

14 - أول من يدخل الجنة

روي الحاكم و ابن سعد عن علي عليه السلام ان النبي صلي الله عليه و آله قال:

«إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَنَا وَأَنْتَ وَفَاطِمَةُ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ» قال علي عليه السلام: فقلتُ: فمحبّونا؟ قال صلي الله عليه و آله: من ورائكم» (2)

و رواه الطبراني و أحمد بن حنبل في المناقب ايضاً (3)

ص: 48

1- مقتل الحسين - الخوارزمي - ف 10 ص 191 وص 192.

2- الصواعق ص 151. ذخائر العقبى ص 123. كنز العمال ج 6 ص 216 ج 3787.

3- الصواعق ص 159. ذخائر العقبى ص 123. كنز العمال ج 6 ص 218 ح 3787.

15 - القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف من وُلدِ الحَسين عليه السلام

روي حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:

«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ رَجُلًا مِنْ وُلْدِي اسْمُهُ كَاسِمِي. فَقَالَ سَلْمَانُ: مِنْ أَيِّ وُلْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مِنْ وُلْدِي هَذَا وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلِيَّ الْحُسَيْنِ»⁽¹⁾

16 - القائم عليه السلام هو التاسع من وُلدِ الحَسين عليه السلام

رُوي عن سلمان قال: دخلت عن النبي صلى الله عليه وآله و إذا الحسين علي فخذوه و هو يقبل عينيه و يلثم فاه و يقول: «إنك سيد ابن سيد أبو سادة، انك امام ابن امام ابو ائمة، انك حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم»⁽²⁾

روي الحموي في خبر طويل عن النبي صلى الله عليه وآله قال: الحسن و الحسين إماما امتي بعد أبيهما و سيّدا شباب أهل الجنة، و أمّهما سيّدة نساء العالمين، و أبوهما سيد الوصيين. و من ولد الحسين عليه السلام تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي طاعتهم طاعتي و معصيتهم معصيتي إلي الله اشكو المنكرين لفضلهم و المضيّعين لحرمتهم بعدي و كفي بالله ولياً و ناصراً لعترتي و ائمة امتي و منتقماً من الجاحدين حقهم «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»⁽³⁾

ص: 49

1- ذخائر العقبى ص 137-136. و هناك اكثر من 180 حديثاً تدل علي هذا المضمون راجع كتاب منتخب الأثر للمؤلف باب 8 ف 2.

2- مقتل الخوارزمي ص 146 ف 7. ينابيع المودة ص 445. مودة القربي - المودة العاشرة.

3- فرائد السمطين ج 1 ص 43-42. و الاحاديث في هذا الموضوع متواترة فراجع منتخب الأثر للمؤلف باب 10 ف 2.

روي الحموي، السمعاني، القندوزي و الخوارزمي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفات و علي عليه السلام تجاهه فأومي إلي علي عليه السلام فأتاه. قال:

ادن مني يا علي. فدنا علي منه فقال: اطرح خمسك في خمسي (يعني كفك في كفي) يا علي أنا و أنت من شجرة أنا أصلها و أنت فرعها و الحسن و الحسين أغصانها فمن تعلق بغصنٍ من أغصانها أدخله الله تعالى الجنة.

يا علي لو أن أمّتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا و صلوا حتى يكونوا كالأوتار ثم أبغضوك لأكتبهم الله تعالى في النار. (1)

و روي الكنجي الشافعي عن تاريخ بغداد للخطيب عن علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا أصلها و علي فرعها و الحسن و الحسين ثمرتها و الشيعة ورقها فهل يخرج من الطيب إلا الطيب و انا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها. (2)

و الاخبار بهذا المضمون كثيرة.

وقد نظم بعض الشعراء في ذلك فقال:

يا حبذا دوحه في الخلد نابته

ص: 50

1- فرائد السمطين ص 39. مقتل الخوارزمي ص 108 ف 6. ينابيع المودة ص 91.

2- كفاية الطالب ص 98 و ص 178.

18 - ودیعة الرسول صلی الله علیه و آله

نقل الشبراوي و السبط بن الجوزي ان زيد بن ارقم اعترض علي ابن زياد عندما رآه يضرب ثنايا ابي عبد الله الحسين عليه السلام وقال: ارفع قضيبك، فوالله ل طالما رأيت رسول الله يقبل ما بين هاتين الشفتين. و بكى زيد فاغلظ عليه ابن زياد و هدده بالقتل وقال: لولا انك شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فنهض زيد بن ارقم من مجلس ابن زياد و هو يقول: ايها الناس انتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة و وليتم ابن مرجانة و الله ليقتلن ا خياركم و ليستعبدن سراتكم فبعداً لمن رضي بالذل و العار ثم التفت راجعاً لابن زياد و قال:

لاحدثك بما هو اغيظ عليك من هذا، رايت رسول الله اقعد حسناً علي فخذه اليمني و حسيناً علي فخذه اليسري، ثم وضع يده علي يافوخهما ثم قال:

«اللهم اني استودعتك اياهما و صالح المؤمنين.» فكيف كانت ودیعة النبي عندك يا ابن زياد. قال: فغضب ابن زياد و همّ بقتله.

و روي هذا الدعاء السيوطي و المناوي نقلاً عن الطبراني عن رسول الله صلي الله عليه و آله(1).

ص: 51

1- الاتحاف ص 17. تذكرة الخواص ص 267. كنوز الحقائق ج 1 ص 43. كنز العمال ج 6 ص 221 ح 3906.

19 - دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله في حق الحسين عليه السلام

روي الطبراني عن وائلة أن النبي صلى الله عليه وآله دعا في حق علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام فقال:

اللَّهُمَّ إِنَّكَ جَعَلْتَ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَمَغْفِرَتَكَ عَلَيَّ وَإِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ فَاجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ وَمَغْفِرَتَكَ وَرِضْوَانَكَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ (يعني علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً) (1)

20 - اشتقاق اسم الحسين عليه السلام من اسم الله تعالى

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال:

لما خلق الله تعالى آدم أبو البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمينة العرش فاذا في النور خمسة اشباح سجداً ركعاً. قال آدم: يا رب هل خلقت أحداً من طين قبلي؟ قال: لا يا آدم. قال: فمن هؤلاء الخمسة الاشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتني؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولا هم ما خلقتك. هؤلاء شققت لهم خمسة اسماء من اسمائي. لولا هم ما خلقت الجنة والنار، ولا العرش ولا الكرسي ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الانس ولا الجن، فانا المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الاحسان وهذا الحسن وأنا المحسن وهذا الحسين، آليت بعزتي انه لا ياتيني أحدٌ بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم إلا أدخلته ناري ولا ابالي. يا آدم هؤلاء صفوتي من خلقي بهم انجيهم وبهم

ص: 52

أهلكهم، فاذا كان لك اليّ حاجة فبهؤلاء توسل.

فقال النبي صلي الله عليه وآله نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجا و من حاد عنها هلك فمن كان له الي الله حاجة فليسال بنا أهل البيت. (1)

وروي سلمان الفارسي قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله قال:

أنا و علي بن أبي طالب من نور الله عن يمين العرش نسيح الله و تقدسه من قبل أن يخلق الله عزوجل آدم باربعة عشر ألف سنة، فلما خلق الله آدم نقلنا إلي أصلاب الرجال و أرحام النساء الطاهرات، ثم نقلنا إلي صلب عبد المطلب و قسمنا نصفين فجعل نصفاً في صلب أبي عبد الله، و جعل النصف الآخر في صلب ابي طالب، و اشتق الله تعالي لنا من أسمائه أسماءً فالله عزوجل محمود و أنا محمد، و الله الأعلي و أخي علي، و الله الفاطر و ابنتي فاطمة، و الله محسن و ابناي الحسن و الحسين، و كان اسمي في الرسالة و النبوة، و كان اسمه في الخلافة و الشجاعة، و أنا رسول الله و علي ولي الله». (2) ب.

ص: 53

1- فرائد السمطين ص 26-25.

2- فرائد السمطين ص 30. ان امتال هذه الأحاديث تعدُّ اشارة الي مقام هؤلاء الخمسة الاطهار و انهم متأدبون بالادب الالهي و ان تربيتهم تربية الهية و ان اخلاقهم هي اخلاق الهية، و كما ان الاسم يدُلُّ علي المسمي فكذلك اسمائهم المشتقة من الحق جلّ و علا تدلُّنا عليه سبحانه و تعالي، كما ان ذلك يدل علي ارتباطهم الوثيق بعالم الغيب و قد ورد في الخبر عنهم عليهم السلام: «نحن و الله الاسماء الحُسنِي»، و الموجودات و إن كانت كلها اسماء الحق تعالي لكن هذه الانوار الخمسة المقدسة تمتاز بمقام شامخ و ان دلالتها علي المسمي دلالة أظهر و أوضح من سائرهما، و اما سبب تعدد اسماءهم فشرحه خارج عن اطار هذا الكتاب.

ورث الحسنُ والحسينُ عليهما السلام كمالات النبي صلي الله عليه وآله العلمية و الروحية و الاخلاقية و الجسدية. ولقد كان المسلمون يرون في الحسين عليه السلام التجسيد الحقيقي لرسول الله صلي الله عليه وآله في سماته و سلوكه و اخلاقه و روحانيته.

ولا-عجب في ذلك بعد أن تبين لنا ان النبي الاكرم صلي الله عليه وآله كان للحسن والحسين عليهما السلام الحجر الشفيق الرؤوف العطوف و المعلم المخلص و الاب الرحيم. كان يُحِبُّهُمَا و يَشْمَهُمَا و يَقْبَلُهُمَا و يَمْصُ لسانَهُمَا و يحملُهُمَا علي كفته المبارك و يقول: إِنَّهُمَا ريحانتاي.

و كان صلوات الله عليه يحتضنُهُمَا كَوْلده و يتأذي لبكائِهِمَا و يضعُهُمَا الي جنبه الشريف و علي صدره، و يلتذ من سماع إسمِهِمَا، و يصطحبُهُمَا معه الي السوق و المسجد و الدار. و كان يهتَمُّ لامرِهِمَا حتي و هو في حال الصلوة أو الخطبة.

و الاخبار المروية في كتب اهل السُنَّة المعتمدة، كلها حاكية عن هذا اللطف و الرعاية النبوية و لاعواطف الابوية.

و هذه الاحاسيس و العواطف النبوية و ان كانت تُعَدُّ نموذجاً لتواضع النبي صلي الله عليه وآله و بساطته في العيش، الا أنها في نفس الوقت تحكي عن تمركز العواطف الابوية الشديدة و الجياشة تجاه الحسن و الحسين و فاطمة عليهم السلام. لانها عواطف صادرة عن رسول الله الذي هو في غاية الاعتدال و الاستقامة في كل الكمالات، و الحب و الرضا لا يجعلانه يبالغ في وصف الآخرين و لو بكلمة واحدة، بل ان ليافة الحسينين و علو شأنِهِمَا و صلاحيتِهِمَا هي التي دعت النبي صلي الله عليه وآله الي وصفِهِمَا بتلك الاوصاف و الي صبِّ محبَّتِهِ و لطفه فيهِمَا، فلم تكن المسألة مجرد احاسيس

أبوية عارية عن الحقيقة والمصادقية، بل كان النبي صلي الله عليه وآله يري في سيمائهم سرّاً إلهياً كشف عنه النبي صلي الله عليه وآله بوصفه آياهم بتلك الكلمات.

وبحسب ما جاء في احاديث الثقلين الشريفة، و احاديث «إمامان قاما أو قعدا» و احاديث «السفينة» وغيرها و هو كثير و قد اوردناها في كتابنا الذي ألفناه في إثبات حجية فقه الشيعة و دلالتها الواضحة و الصريحة، بحسب كل ذلك يثبت ان الحسن و الحسين عليهما السلام هما وارثا علوم النبي صلي الله عليه وآله و كلٌ منهما هو الإمام و القائد الحقيقي للامة و وصي النبي هو ان يكون ميزاناً لتعادل و اعتدال الامور، اي ان يكون مركزاً و محوراً لطلاب الحقيقة و الهدي و دليلاً للسائرين في قافلة النجاة كي لا يتخلف عن القافلة احدٌ فيفضل و لا يتقدم عنها احدٌ فيضيع، و الي هذا المعني اشار رسول الله صلي الله عليه وآله في قوله في ذيل بعض نقولات حديث الثقلين الصحيحة:

«فلا تقدموهم فتهلكوا و لا تقصروا عنهم فتهلكوا و لا تعلموهم فانهم اعلم منكم»⁽¹⁾

اذن فالإمام الحسين عليه السلام هو وارث علم و كمال رسول الله صلي الله عليه وآله بلا شك، و أن جميع الناس فقراء الي علمه و معرفته افتقارهم لعلم و معرفة رسول الله صلي الله عليه وآله.

هذا و قد جاء في روايات متعددة ذكرتها الكتب المعتبرة أن فاطمة الزهراء عليها السلام جاءت بالحسن و الحسين الي رسول الله في مرضه الذي توفي فيه و طلبت منه ان يورثهما، فقال:

أما الحسنُ فله هيبتي و سُوددي. و أما الحسين فله جراتي و جودي.⁽²⁾7.

ص: 55

1- الصواعق المحرقة ص 148.

2- نظم درر السمطين ص 212. الاصابة ج 4 ص 316 و ص 481. ذخائر العقبى ص 129. الصواعق ص 189. كفاية الطالب ص 277.

و هذه الاحاديث انما تكشف عن جانب صغير من الكمالات الاخلاقية و الروحية التي ورثها الإمام الحسن و الإمام الحسين عليهما السلام من جدّهما.

و السرُّ في هذا الاختلاف في التعابير هو اختلاف الظروف الخاصة بكل واحد من الحسنين في قيادة الامة و جاءت احاديث النبي الاكرم مصدّقةً لسلوكهما مع الامة، كلُّ بحسب عصره و ليعلم الناس أنّ مصدر هذين السلوبين في القيادة واحدٌ و هو التكليف الديني و الارشاد النبوي المتلقي من الوحي و الذي امرهما به النبي الاكرم، و لا يتخلف سلوكهما أيّاً كان عن سلوك رسول الله صلي الله عليه و آله لان الحسن و الحسين عليهما السلام كلاهما جامعٌ لكمالات المصطفى و وارث لاخلاقه و كلاهما حافظ للدين و القرآن المبين.

ص: 56

من جملة معجزات النبي المصطفى المهمة هي اخباراته و تنبؤاته عن المستقبل و احداثه، و التي حفظتها لنا الاسناد و الوثائق التاريخية المعتمدة، و ان من له إطلاع علي تاريخ الإسلام سوف لن يتردد أو يشكك في تلك الاخبارات، ذلك أنها قد تحققت بحذافيرها. و في زمننا المعاصر، و بسبب سيطرة الافكار المادية علي الناس، و ضعف الارتباط بعوالم الغيب، و التشكيك بعالم الحقائق و كثرة الاهتمام بالظواهر و التجملات و الانغماس بالملذات في الماكل و الملبس و المشرب، قلّ التأمل و التفكير في هذه العوالم و الحقائق، و ان اكبر ما يشغل بال البشرية الماديّة هو الاكل و الشرب و اللباس و الالتذاذ الجنسي، و من أجل هذه التوافه تراهم يُشعلون الحروب و يُجسّسون الجيوش، و يرتكبون المجازر الجماعية و يقترفون آلاف المظالم و الجنايات للوصول الي غايتهم تلك.

فالبشرية اليوم تعتبر كل الامور مقدمات لهذه المتطلبات المادية الثلاث، و اذا نادت - كذبا او صدقا بالحريات و الاستقلال و السياسة و العدالة و القانون و

ص: 57

1- بعد كتابة هذا الفصل وصلني مقال عن عالم الفيزياء المسمي «روبرت موريس بيچ» تحت عنوان «امتحان ناجح» في كتاب «اثبات الله» في الصفحة 25، يحاول المؤلف فيه اثبات وجود الله عن طريق صحة و تحقق تنبؤات الانبياء. و لو ان هذا العالم الذي سجل لنفسه 37 اختراعاً و وفق لنيل جوائز كبيرة، كان قد اطلع علي تاريخ الإسلام و تنبؤات و اخبارات النبي الاكرم المستقبلية، لكان ايمانه بالله اقوي و أكد.

المساواة ورعاية الحقوق وحبّ الوطن ونشر العلم والثقافة وتأسيس الجامعات والكليات والمعاهد والمصانع والشركات ومكافحة الرجعية والدعوة الي التقدمية... الخ فكل ذلك انما هو للوصول الي تلك المطالب الثلاثة، المأكل والملبس والجنس وسدّ حاجتها منها. و من هنا نجد أن الانسان لن يصل الي الاستغناء أبداً، بل تزداد رغباته واحتياجاته يوماً بعد آخر.

إن الاكل والشرب والالتذاذ الجنسي امرٌ مشترك بين كل البشر وكل الحيوانات ولكنه ليس قادراً مشتركاً جامعاً للبشرية حول محور واحد يمنعها من التجاوز علي بعضها البعض، ولا يمكنه ان يُخمد نيران الحرص والطمع التي تسعرواها في نفس البشرية. وهذا القدر المشترك لا يثني احداً من الناس عن التفكير بالاكثار من الاسترباح باي وسيلة كانت حتي بغصب حقوق الآخرين ونهب اموالهم.

ولسنا في هذا المقام بصدد بيان مضار وعواقب المدنيّة المجرّدة عن الإنسانيّة وأنها لا تتناسب مع شأن ومقام الإنسان والهدف من خلقه، وأنها عاجزة عن حلّ مشاكل البشرية، فان كل ذلك يحتاج الي بحث مفصل، وانما غرضنا الحالي هو أن نبيّن ان البشر اليوم قد غرق في مستنقع الماديات، يسبح من اجل التمتع بالحظوظ الحيوانية، وانه يتخبط في الظلمات الي درجة الغفلة عن انوار الحقائق ومصايح عوالم ماوراء المادة، وإذا كان بعض الناس يرون بصيصاً ضعيفاً لتلك الانوار والحقائق فان انشغالهم بامور الدنيا يؤدي بهم الي نسيان مصدر ذلك النور وجهته فيبقون تائهين في ظلماتٍ وظلمات.

إن إدراك وفهم الانسان المعاصر، راقٍ الي درجة أنه وعلي الرغم من إنغماسه بالمادة والامور الدنيوية وعلي الرغم من إن زخارف الدنيا تبهر نظره،

تترشح منه أحياناً حقائق كبيرة، إلا أنّ الماديات وقواه الحيوانية ونزعاته الهامشية تغطي عليه فتغطي تلك الافرازات الفكرية و تحجبها فلا تُعدُّ مؤثرة في حياته ولا تقدر علي تمزيق تلك الستائر السميكة التي نسجتها دوافعه المادية.

فاذا لم تكن تلك الحُجُب والستائر الغليظة، وإذا كان الناس اليوم يستغلّون تلك الملكات الاخلاقية العالية، وإذا كان هناك منهج و اطروحة اخلاقية صحيحة، لتعاضدت النهضة الصناعية مع المنهج الاخلاقي المعنوي الصحيح و تمكنا من صناعة دنيا آمنة سعيدة مستقرة هادئة.

و لكي يقبل الإنسان المعاصر مناهج الانبياء الاصلاحية فكراً و مادياً عليه أن يطالع بدقّة حياة الانبياء و سيرتهم ليقف علي بعض المواقف التي تعتبر أدلة إطمئنان معقولة للهداية و الفلاح.

و تاريخ الأنبياء الماضين و إنّ لم تكن جزئياته بل و حتي بعض الخطوط العامة له، مضبوطة و مدونة و محفوظة و إنّ بقي منها شي فإنه قابل للنقاش، و لكن تاريخ نبينا الاكرم محمد صلي الله عليه و آله و ائمة الهدى أوصياؤه و تلامذته، بقي واضحاً محفوظاً مسنداً بالوثائق و المدارك المعتمدة الصادقة، مما يُمكنُ المحققين و العلماء من الوصول الي حقائق قيمة فيما يرتبط بالنبوة و الوحي و فلسفة بعث الانبياء.

فاحوال و اخلاق النبي الاكرم محمد صلي الله عليه و آله و حروبه و صدّ لحه و سائر ملامح حياته الشريفة، و تاريخ حياة والديه و اجداده و جدّاته و اقاربه و قومه و قبيلته و أصحابه، كلها محفوظة مدونة و معلومة مسندة، و إنّ بعضها يُعدُّ فوق المعتبر من جهة القيمة السندية، إذ أنّه مقترنٌ بشواهد و قرائن توجب اليقين عندنا الي درجة الاحساس بمعاصرة ذلك الزمن و العيش فيه، و بعضها قد وصل الينا عن طريق أسانيد متواترة كثيرة جداً الي حدّ الاطمئنان.

و من جملة الامور التي تفرض علينا القبول و الاطمئنان هو ما يرتبط بموضوعنا و هو الاخبار عن المستقبل و التنبؤ باحداثٍ تحققت بلا زيادة و لا نقصان، و هو ما يسمى بالإخبارات الغيبية.

فكل من طالع تاريخ الإسلام، لن يشكّ أبداً بأنّ الرسول الاعظم صلي الله عليه و آله قد أخبر عن احداث و وقائع مستقبلية، قد حدث قسم منها في فترة حياته و تحقق قسم منها بعد التحافه بالرفيق الاعلي كما أخبر، و إنّ مثل هذه الموارد تتعدى العشرات بل المئات من القضايا، و إنّ هذه الاخبارات تورث اليقين خاصة بضم القرائن و الشواهد اليها بعد أن ثبت صدورها عنه صلوات الله عليه و آله بالقطع و التواتر.

و من جملة تلك الإخبارات، مقتل عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) علي يد الفئة الباغية، فمهما كان الإنسان مشككاً الا انه سيدعن بقبول خبر مقتل عمّار الذي صرح ابن حجر وغيره بتواتره، مضافاً الي وجود القرائن و الشواهد الباعثة علي الاطمئنان له. فكتب السيرة و الحديث و تراجم الصحابة وغيرها، ذكرت و روت عن رسول الله صلي الله عليه و آله انه قال لعمّار: «تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»

و قد تكرر ذلك القول من النبي صلي الله عليه و آله حين بناء المسجد النبوي الشريف في المدينة، و في وقت حفر الخندق فيما كان عمّار سباقاً في العمل، و في مواضع اخري، و قد روي ذلك الخبر في بعض اسانيده بهذا النحو:

«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ تَدْعُوهُمْ الي الْجَنَّةِ و يدعوك الي النار»

و في بعضها:

«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ و قَاتُلُكَ فِي النار»

و في بعضها الأخر:

ص: 60

إنَّ هذا الخبر كان معروفاً عند المسلمين عامةً بل وحتي عند المنافقين، و من هنا فان عمر بن العاص اضطرب كثيراً عندما سمع بمقتل عمّار الذي يقاتل الي صف سيد الولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فجاء (اي عمرو) الي معاوية قائلاً: لقد قُتِلَ عمّار!!

فقال معاوية: ثمّ ماذا؟

فقال عمرو: سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول: «تَقْتُلُ عَمَّارَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَّةُ». فاضطرّ معاوية الي الاحتيال للتخلص من تبعة دم عمار أمام جيشه و تضليلهم فقال: إنّما قتل عمّار من أخرجه من داره!!

و عندما وصل هذا التضليل الي اسماع علي عليه السلام قال:

علي هذا يكون رسول الله صلي الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة(2)

و عندما استشهد عمّار نزل خزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين) الي ساحة المعركة و كان في جيش علي عليه السلام لكنه الي ذلك الوقت لم يقاتل، و قد كان مقتل عمار علي يد الفئة الباغية دليلاً قاطعاً لخزيمة علي حقانية علي عليه السلام و كان خزيمة يقول:

سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله يقول:8.

ص: 61

1- السيرة الحلبية ج 2 ص 76. سيرة ابن هشام ج 2 ص 114. أسد الغابة ج 4 ص 47 و ج 2 ص 114. الاصابة ج 1 ص 426 و ج 2 ص 512 5704. الاستيعاب ج 1 ص 418 و ج 2 ص 4481. كنوز الحقائق ج 1 ص 108 و ج 2 ص 17. الجامع الصغير ج 2 ص 66. و في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 8 طبعة مصر ص 2711. و قد نقل بن مزاحم حكاية في هذا المجال يتعسر علينا ذكرها هنا لتحاشي التطويل، و لكننا نوصي القراء الاعزاء بالرجوع اليها للوقوف علي صحة هذا الحديث و ثبوته، و لكي يتضح كيف ان معاوية وقف ضد الإمام الحق مع انه كان يعلم و كذا المحيطين به انهم علي الباطل.

2- راجع السيرة الحلبية ج 2 ص 78.

وكان «ذو الكلاع» أحد قادة جيش معاوية، و اميراً علي اربعة آلاف فارس، فقال يوماً لمعاوية: كيف تقاتل علياً و معه عمار؟

فقال معاوية: سيعود عمار الينا و يقتلُ معنا.

و صادف ان قتل «ذو الكلاع» قبل استشهاد عمار، فقال معاوية: لو كان ذو الكلاع حيّاً لآخذ نصف العسكر معه الي علي (2) عندما تراجع كتب التاريخ، فكما اننا لا نشك بأصل وجود عمار وياسر و سميّة، فكذلك لا نشك باخبار النبي صلي الله عليه و آله بقتل عمار، و كما اننا علي يقين من قتل عمار في صفين بيد جيش معاوية كذلك نحن علي يقين من أنّ النبي صلي الله عليه و آله قد اخبر بشهادته كذلك، و قد اعترف عمرو بن العاص و معاوية بهذه الحقيقة أيضاً. (3) و نظير هذا الخبر، اخبارات غيبية اخري وردت عن النبي صلي الله عليه و آله و هي مشهورة و مسلمة كاخباره - صلوات الله عليه و آله إن أول الناس لحوقاً به من اهل بيته هي ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام و كذلك اخباره بخروج عائشة و نباح كلاب الحوآب عليها، و إخباره بقتال أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام للناكثين وه.

ص: 62

1- السيرة الحلبية ج 2 ص 78. اسد الغابة ج 4 ص 47 و ج 2 ص 114. الاصابة ج 1 ص 2251-426. و ذكر هذه الأبيات لخزيمة: إذا نحنُ بايعنا علياً فحسبنا أبو حسنٍ ممّا نخافُ مِنَ الْفِتْنَةِ فِيهِ الَّذِي فِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِمْ مَا فِيهِمْ بَعْضُ الَّذِي فِيهِ مِنْ حَسَنِ الْاِسْتِيعَابِ ج 1 ص 418.

2- السيرة الحلبية ج 2 ص 78.

3- يقول ابن عبد البر في الاستيعاب: تواتر عن النبي صلي الله عليه و آله: «نَقْتُلُ عَمَّارَ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةَ» و هذا الحديث من اصحّ الأحاديث و من الاخبار الغيبية الدالة علي نبوة رسول الله صلي الله عليه و آله.

القاسطين و المارقين و إخباره باستشهاد علي عليه السلام و اخباره بارتداد بعض الصحابة و اخباره بفتوحات المسلمين و غير ذلك من الاخبار، نكتفي بما نقلناه مراعاةً للإختصار، و نضيف ان هذا دليلٌ و برهان علي صحة ادعاء النبوة من رجل لم يدرس عند أحد و يُخبر عن الغيب و تتحقق اخباراته بعد ثلاثين أو اربعين او ستين سنة؛ بل و حتي بعد الف سنة و اكثر و اقل. و هذا لوحده كافٍ لذوي الايمان و البصيرة لاثبات نبوة الرسول الاكرم محمد صلي الله عليه و آله و اثبات نبوات الانبياء و ارتباطهم بالسماء.

و من جملة اخبارات النبي محمد صلي الله عليه و آله بالمغيبات هو اخباره باستشهاد ولده الإمام الحسين عليه السلام و الذي وردت فيه روايات متعددة بطرق اهل السنة في تواريخهم و كتبهم الحديثية و تراجمهم فضلاً عن ورودها بطرق الشيعة و علمائهم، و هذا يدعم صحة تلك الاخبارات و يثبتها، مضافاً الي انه يجعلها متواترة بالمعني.

و قد ذكّرنا ببعض تلك الروايات فيما مضى، و نضيف هنا بعض الروايات الواردة في مصادر معتبرة جداً عند السنة:

1 - روي ابن سعد و الطبراني عن عائشة أنّ النبي صلي الله عليه و آله قال:

«أخبرني جبرئيل أنّ الحسين يُقتل بعدي بارضِ الطفّ و جاءني بهذه التربة فاخبرني أنّ فيها مضجعه»

و في الملاحم روي هذا الحديث بتفصيل زائد، و رواه الخليلي في الارشاد عن عائشة و ام سلمة بهذا اللفظ:

«إنّ جبرئيل أخبرني أنّ إني الحسين يُقتل و هذه تربة تلك الارض»

و في سند آخر عن عائشة، قال رسول الله صلي الله عليه و آله:

«إنّ جبرئيل أراني التربة التي يُقتل عليها الحسين فاشتدّ غضبُ الله علي من

2 - روي ابو داود و الحاكم عن امّ الفضل بنت الحارث أنّ النبي صلي الله عليه و آله قال:

«أتاني جبرئيل فأخبرني أنّ أمّتي ستقتلُ إبنِي هذا «يعني الحسين» و أتاني تربةً من تربة حمراء»(2)

3 - روي الطبراني و ابو يعلي عن زينب بنت جحش عن رسول الله صلي الله عليه و آله انه قال:

«إنّ جبرئيل أتاني و أخبرني أنّ إبنِي هذا تقتله أمّتي قلتُ: فأرني تربته، فاتاني بتربة حمراء»(3)

4 - روي أحمد ابن حنبل ان النبي الاكرم صلي الله عليه و آله قال:

«لقد دخل عليّ البيت ملك لم يدخل عليّ قبلها فقال لي: ان إبنك هذا حسيناً مقتولاً و ان شئت أريتك من تربة الارض التي يقتل بها قال: فأخرج تربة حمراء»(4)

5 - وروي ابن سعد عن ام سلمة ان النبي صلي الله عليه و آله قال:

«أخبرني جبرئيل بأنّ إبنِي الحسين عليه السلام يقتل...».

و روي ابن عساكر عن ام سلمة الحديث بهذا اللفظ:

«إنّ جبرئيل أخبرني أنّ إبنِي هذا يقتلُ فاشتدّ غضبُ الله علي من يقتله»(5)1.

ص: 64

1- الصواعق ص 190 و ص 191. كنز العمال ج 6 ص 223 حديث 294.

2- الصواعق ص 190. مقتل الخوارزمي ص 156 ف 7.

3- كنز العمال ج 6 ص 223 حديث 3944.

4- الصواعق ص 190.

5- كنز العمال ج 6 ص 223 حديث 3936 و حديث 3941.

و عن عبد الله ابن يحيى عن أبيه إنه سافر مع علي عليه السلام و كان علي مطهرته فلما حادي بيوتنا و هو منطلق الي صفين فنادي علي عليه السلام:

«صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ صَبْرًا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ»

فقلت له: ماذا أبا عبد الله؟ فقال: دخلت علي رسول الله صلي الله عليه و آله و عيناه تفيضان.

قال: قام من عندي جبرئيل عليه السلام قبل و حدّثني أنّ الحسين يُقتل بشط الفرات. قال:

فقال: هل لك الي ان أشمّك من تربته؟ فقلت: نعم. فمدّ يده فقبض قبضةً من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتاً. (1)

و رواه أحمد بن حنبل و ابن الضحاك عن علي عليه السلام كما رواه عبد الله بن يحيى عن أبيه عن علي عليه السلام.

7 - روي الخوارزمي ان البيهقي نقل في تاريخه ان النبي صلي الله عليه و آله قال للحسين عليه السلام:

«إِنَّ لَكَ فِي الْجَنَّةِ دَرَجَةً لَا تَنَالُهَا إِلَّا بِالشَّهَادَةِ»

قال ابو علي السلامي: و من هنا كان الحسين عليه السلام و حينما اجتمعت عليه I الجيوش علم انه سيقتل و لذا فانه صبر علي ذلك و لم يجزع الي ان استشهد عليه افضل السلام. (2) 8 - روي السبط ابن الجوزي: لما وصل الحسين عليه السلام أرض كربلاء قال:

«ما يقال لهذه الأرض فقالوا كربلاء و يقال لها أرض نينوي قرية بها فبكي و قال: كرب و بلاء أخبرتني أم سلمة قالت: كان جبرئيل عند رسول الله صلي الله عليه و آله و أنت 8.

ص: 65

1- الصواعق ص 191. ذخائر العقبي ص 148. تذكرة الخواص ص 260.

2- مقتل الخوارزمي ص 170 ف 8.

معي فبكيت فقال رسول الله: دعي ابني فتركك فأخذك ووضعك في حجرة فقال جبرئيل أتجبه؟ قال نعم. قال فان أمتك ستقتله. قال وإن شئت أن أريك تربة أرضه التي يقتل فيها. قال نعم. قالت فبسط جبرئيل جناحه علي أرض كربلاء فأراه إياها.

فلما قيل للحسين عليه السلام هذه أرض كربلاء شمها وقال هذه والله هي الأرض التي أخبر بها جبرئيل رسول الله صلي الله عليه وآله و إنني أقتل فيها.

وفي رواية قبض منها قبضة فشمها وقد ذكر ابن سعد في الطبقات عن الواقدي بمعناه. (1) وروي ابن بنت منيع حديثين في هذا الباب عن ام سلمة (2) 9 - ذكر ابن الاثير والطبري وآخرون عن رجل من بني فزاره قال:

لما كان زمن الحجاج بن يوسف كنا في دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمارين، التي أقطعت بعد زهير بن القين، من بني عمرو بن يشكر من بجيلة، وكان اهل الشام لا يدخلونها، فكنا مُحْتَبِينَ فيها، قال: فقلت للفزاري: حدثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي؛ قال: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتي نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينما نحن جلوس نتغدي من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين حتي سلم، ثم دخل فقال: 7.

ص: 66

1- تذكرة الخواص ص 260-259.

2- ذخائر العقبى ص 148-147.

يا زهير بن القَيْن، إنَّ أبا عبد الله الحسين بن عليّ بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كلَّ إنسان ما في يده حتي كأننا علي رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدَّثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القَيْن، قالت: فقلت له: أبعث إليك ابن رسول الله ثمَّ لا تأتيه! سبحان الله! لو أتيتَه فسمعتَ من كلامه! ثم انصرفت؛ قالت: فأتاه زهير بن القَيْن، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه؛ قالت: فأمر بفسطاطه و ثقله و متاعه فُقدَّم، و حُمل إلي الحسين، ثم قال لأصحابه:

مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي وَإِلَّا- فَإِنَّهُ آخِرُ الْعَهْدِ، إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا، عَزَوْنَا بِلَنْجَرٍ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَأَصَبْنَا غَنَائِمَ، فَقَالَ لَنَا سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ: أفرِحتم بما فتح الله عليكم، و أصبتم من الغنائم! فقلنا: نعم، فقال لنا: «إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشدَّ فرحاً بقتالكم معهم مما أصبتم من الغنائم»، فأما أنا فإنِّي أستودعكم الله. قال: ثم و الله ما زال في أول القوم حتَّى قُتل.

و عبارة ابن الاثير هي:

«إذا أدركتم سيّد شباب آل محمد فكونوا أشدَّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم».

و ذكر الطبري «سلمان الباهلي» بدلاً من سلمان الفارسي و هو الاصح اذ ان سلمان الباهلي هو الذي قُتل في بلنجر. (1) 10 - روي ابن الاثير عن غرفة الأزدي و كان من اصحاب رسول الله صلي الله عليه و آله من اهل الصفة قال:

دخلني شك من شأن علي عليه السلام فخرجنا مع علي عليه السلام إلي شاطئ الفرات فعدل 9.

ص: 67

1- سموّ المعني ص 141. الكامل ج 3 ص 278-277. الطبري ج 4 ص 299.

عن الطريق ووقف وقفنا حوله فقال و أوماً بيده: هذا موضع رواحلهم و مناخ ركابهم و مهراق دمائهم بأبي من لا ناصر له في الأرض و لا في السماء إلا الله فلما قتل الحسين عليه السلام خرجت حتي اتيت المكان الذي قتلوا فيه فاذا هو كما قال ما أخطأ شيئاً. قال: فاستغفرت الله مما كان مني من الشك و علمت أن عليا عليه السلام لم يقدم إلا بما عهد اليه فيه. (1) 11 - روي عن سويد بن غفلة حديث أن رجلاً أتى أمير المؤمنين عليه السلام و قال:

عبرت وادي القري و قيل لي أن خالد بن عرفطة قد مات فاستغفرت له و قال له علي أمير المؤمنين عليه السلام لا يموت حتي يقود جيشاً ضالاً و صاحب رايته حبيب ابن حمار.

فقام رجل إليه و قال: يا أمير المؤمنين أنا أحبك و أنا حبيب بن حمار. فقال له علي عليه السلام إنك ستكون حامل رايته و ستدخل برايتك من هذا الباب و أشار إلي الباب الذي كان أمامه.

و ما أن مرت الأيام حتي أرسل ابن زياد عمر بن سعد لحرب الحسين عليه السلام و كان خالد بن عرفطة أحد قادة الجيش و حبيب بن حمار صاحب لوائه و وردا من نفس الباب الي مسجد الكوفة و صح بذلك إخبار أمير المؤمنين عليه السلام. (2) 12 - روي «الملا» إن علياً عليه السلام لما مرَّ بمكان قبر الحسين عليه السلام قال:

«هيهنا مناخ ركابهم و هيهنا موضع رحالهم و هيهنا مهراق دمائهم فتية منر.

ص: 68

1- اسد الغابة ج 4 ص 169.

2- الاصابة ج 1 ص 410-2182. و هذا الحديث نقله صاحب الاصابة عن ارشاد الشيخ المفيد و لما لم يُعلّق عليه ظهر لنا أنه معتبر عنده. و في الارشاد (حبيب ابن حماد) بدل حمار.

آل مُحَمَّدٍ يُقْتَلُونَ بِهَذِهِ الْعَرَصَةِ تَبْكِي عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ»(1)

وروي هذا الحديث، الحافظ عبد العزيز الجنازدي في «معالم العترة الطاهرة» عن الاصمغ بن نباته عن علي عليه السلام باختلاف طفيف في الالفاظ.(2) 13 - قال ابو حنيفة الدينوري لَمَّا ورد الحسين عليه السلام واصحابه الي كربلاء فوقف الحر واصحابه امام الحسين و منعوهم من المسير وقال انزل بهذا المكان فالفرات منك قريب. قال الحسين عليه السلام و ما اسم هذا المكان؟ قالوا له كربلاء. قال ذات كرب و بلاء و لقد مرَّ ابي بهذا المكان عند مسيره الي صفين و أنا معه فوقف فسأل عنه فاخبر باسمه فقال ههنا محط ركابهم و ههنا مهراق دمائهم فسئل عن ذلك فقال «ثَقُلْ لِآلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُونَ هَهُنَا»(3)

ورواه الدميري ولكنه ذكر كلمة «نفرًا» بدل «ثقلًا»

14 - روي الحسن ابن كثير و عبد خير أنَّ علياً عليه السلام لَمَّا وصل الي كربلاء وقف و بكى و قال:

«بأبي أغيلمة يُقتلون هيهنا، هذا مناخُ ركابهم و هذا موضعُ رحالهم، هذا مصرعُ الرَّجُلِ»(4)

15 - روي الديلمي عن معاذ أنَّ رسول الله صلي الله عليه و آله قال:

«نُعِي إِلَيَّ الْحُسَيْنُ وَ أُتِيَتْ بِتُرْبَتِهِ وَ أُخْبِرَتْ بِقَاتِلِهِ»(5)2.

ص: 69

1- الصواعق ص 191.

2- نور الابصار للشبلنجي ص 115.

3- الاخبار الطوال ص 226. حياة الحيوان ج 1 ص 60.

4- تذكرة الخواص ص 260.

5- كنز العمال ج 6 ص 223 حديث 3952.

16 - روي ابن عساكر عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«لا- بَارَكَ اللهُ فِي يَزِيدَ الطَّعَانِ اللَّعَانِ أَمَا إِنَّهُ نُعِيَّ الْيَّ حَبِيبِي وَسَخِيلِي حُسَيْنٌ أُتِيَتْ بِتَرْبَتِهِ وَرَأَيْتُ قَاتِلَهُ أَمَا إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٌ فَلَا يَنْصُرُوهُ إِلَّا عِمَّتَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ» (1)

17 - روي ابن عساكر عن علي عليه السلام انه قال لعمر بن سعد:

كَيْفَ أَنْتَ إِذَا أَقَمْتَ مَقَاماً تُخَيِّرُ فِيهِ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالنَّارِ فَتَخْتَارُ النَّارَ» (2)

18 - وروي البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وآله اخبر بقتل الحسين في الطف وهو مكان قريب من الكوفة يعرف بكربلاء. (3) 19 - روي ابن ابي الحديد في ضمن خبر عن امير المؤمنين انه قال لتميم بن اسامة بن زهير التميمي و كان ابنه الحصين طفلاً رضيعاً و أخبره بأن ابنه الحصين هذا سيشارك في قتل ولده الحسين عليه السلام.

وهذا ما حصل فلم يزل الحصين حتي عيَّنه ابن زياد علي الشرطة و أرسله يوم التاسع من المحرم إلي كربلاء ليبلغ عمر بن سعد بقتال الحسين و يحذره من امهاله. (4) 20 - و كذلك ذكر ابن ابي الحديد ضمن إخبار امير المؤمنين بالمغيبات انه قال للبداء ابن عازب:

«أَيُقْتَلُ الْحُسَيْنُ وَأَنْتَ حَيٌّ فَلَا تَنْصُرُهُ» 8.

ص: 70

1- كنز العمال ج 6 ص 223 حديث 3949.

2- كنز العمال ج 7 ص 111 ح 960.

3- السيرة النبوية ج 3 ص 220.

4- شرح نهج البلاغة ج 2 ص 509-508.

«لا كان ذلك يا أمير المؤمنين»

وكان البراء حينما قُتل الحسين عليه السلام يتذكر هذا الحديث و يبكي حسرةً علي عدم نصرته للحسين عليه السلام. (1) 21 - نقل الخوارزمي عن شيخ الإسلام الحاكم الجشمي أن أمير المؤمنين لما سار إلي صفين نزل بكرباء وقال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا.

قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاءً شديداً، ثم قال: ما لي ولآل أبي سفيان. ثم التفت الي الحسين وقال: صبراً يا بني فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقي بعده. (2)

22 - يقول اليعقوبي في تاريخه: وكان اول صارخة صرخت في المدينة ام سلمة زوج رسول الله صلي الله عليه وآله، كان دفع اليها قارورة فيها تربة، وقال لها: إن جبرئيل أعلمني ان أمّتي تقتل الحسين عليه السلام، وأعطاني، هذه التربة وقال لي: إذا صارت دمماً عبيطاً فاعلمي أن الحسين عليه السلام قد قتل. وكانت عندها، فلما حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلي القارورة في كل ساعة، فلما رأتها قد صارت دمماً صاحت: وا حسينا! وابن رسول الله صلي الله عليه وآله! وتصارخت النساء من كل ناحية، حتي ارتفعت المدينة بالرجة التي ما سمع بمثله قط. (3) وروي ابن حجر هذا الحديث عن «الملا» وابن أحمد في زيادة المُسند، 8.

ص: 71

1- شرح نهج البلاغة ج 2 ص 509.

2- فضل الخوارزمي ص 162 ف 8.

3- تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 218-219.

بتفاوت بسيط و روي أنّ تلك التربة هي تربة مكان قتل الحسين عليه السلام. (1) و مثل هذه الاخبار المروية عن رسول الله صلي الله عليه و آله و عن أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة، و منها يُعلم أنّ الشهادة قد كتبت علي الحسين عليه السلام و قد كانت شهادته من اكبر مناقبه و فضائله و من جملة مقاماته صلوات الله عليه و آله اجمعين. 1.

ص: 72

1- الصواعق المحرقة ص 191.

معاجز الإمام الحسين عليه السلام (1)

تعد المعجزات من جملة ادلة اثبات النبوت و الارتباط بالسماء و واحدة من اسس صحة الرسالات السماوية.

و تاريخ النبوت، يثبت اصل صدور المعجزات عنهم، كما ان الكتب السماوية و منها القرآن الكريم، يُصرِّح بذكر عدد من معاجز الانبياء الكرام صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد جرت السنن الاجتماعية علي طلب المعجزات من ادعياء النبوة، و من هنا كان الحق تعالي يظهر بعض المعاجز علي أيديهم لكي تكون حُجَّة علي البشر.

وفي زمننا المعاصر قلَّ تصديقُ بعض الناس بمثل تلك المعجزات كشفاء المرضى و احياء الاموات و انقلاب العصا الي ثعبان و نزول مائدة من السماء. و بعض أتباع الديانات السماوية و بعض المؤمنين بالانبياء أخذوا يفلسفون تلك الامور الخارقة للعادة علي اساس العلل و الاسباب الظاهرية و يطبقونها علي السنن

ص: 73

1- المعجزة امرٌ خارق للعادة يتحقق علي يد النبي للتدليل علي صدق دعواه و قد ذكرت في الكتب الكلامية عدة تعاريف يظهر منها ان ما كان يصدر عن الائمة عليهم السلام و خواص اصحابهم من الامور الخارقة لا يطلق عليها اسم معجزة الا من باب المسامحة في التعبير، و الا-كثر يعبرون عن غير ما يصدر عن النبي من الامور الخارقة اسم «كرامة» كما يعبرون عن خوارق العادة الصادرة عن النبي قبل نبوته بالارهاصات، و لكن و لوجود وجه اشتراك بين الجميع يعبر عنها احياناً بالمعجزة.

و النواميس و القواعد العلمية الحاكمة علي الطبيعة و ازداد ايمانهم بالمعجزات العلمية التي يذكرها القرآن الكريم، و ازداد تقبلهم و يقينهم بتلك المعجزات.

و الحق أنه ينبغي التسليم و قبول كل المعجزات و الايمان بها، ذلك لان المعجزة تعبير عن القدرة الغيبية و القوة المطلقة لله سبحانه و تعالي، و المؤمن بالله و قدرته و علمه و خلقه و ايجاده لهذا العالم، لا يمكنه ان يُشكك بصدور المعجزة، أوليس هذا العالم الكبير المترامي بكل كراته و مجراته و مخلوقاته الكبيرة و الصغيرة، و كل هذا الروعة في الخلق، معجزة؟

أنَّ المعجزة، هي الامر الذي يعجز البشر عن ايجاده بنفسه بدون الاستعانة بمقدماته و وسائله. و علي هذا فنفس العالم، معجزة، و هذه الجبال و البحار و الاشجار و المحيطات و الشمس و المنظومات السماوية، كلها معاجز.

و نزول المائدة من السماء، و احضار الشجرة و احياء الأموات و تكلم الحصاء و نظائر ذلك كلها معاجز، فكما إنَّ تلك معجزة فهذه أيضاً معجزة مع فارقٍ و هو أنَّ هذه المنظومات الشمسية و الجبال و البحار و الخ مرئية لنا، و تلك مسموعة فلذا لا تتعجب من الاولي لاننا نراها يوماً، أمَّا معجزات الانبياء و لانها لم تكن مستمرة أبدية - أغلبها و لم تتمكن من لمسها و النظر اليها و انما نسمعها فقط، صارت عجيبةً عندنا و لذا يستعدها بعض الناس.

اذن، فمن جملة السنن الالهية ان من يُنتخب و يُصطفى من قبل الله للنبوة، لابد ان يكون له معجزة، ليكون ذلك دليلاً علي تكذيب ادعاء النبوة المزيفين.

و لقد كان كبار الفلاسفة كابن سينا و الفارابي و ابن مسكويه يؤمنون بمعجزات الأنبياء.

يقول فريد وجدي في دائرة المعارف بعد ان يذكر شرحاً في معجزات الانبياء

و خاصة نبينا الاكرم محمد صلي الله عليه و آله:

«لا يوجد اليوم من يستطيع أن ينكر امكان حدوث المعجزات غير جماعة الماديين الذين وقفوا من العلم الطبيعي مع ما وصل اليه منذ مائة سنة و لو كان هؤلاء الماديون يستعرضون أمامهم ما هدي اليه ألوف من العلماء الباحثين في المباحث النفسية في مشارق الارض و مغاربها أمثال الاساتذة «ويليم كروكش» و «روبل ولاس» و «اللورد أفيري واكسون» و «تندل» و «باركس» و «لودج» و «مورغان» و... من الانجليز و «كاميل فلاريون» و «الدكتور داريكس» و «الدكتورة جيبى» و «الاستاذ شارل ريشه» من الفرنسيين و عدد لا يحصي من العلماء الايطاليين و الالمانيين و الروس و سواهم لرأوا أنّ كل هؤلاء قد هدوا بالتجارب التي أجروها علي القوي النفسية الي نواميس ارقى من النواميس الحاكمة علي المادة و في استطاعتها في شروط المخصوصة ابطال عمل تلك النواميس و احداث ظواهر جديدة خارقة للنظام الطبيعي المادي فأصبحت المعجزات في نظر العالم من الممكنات و علم أنها تابعة لنواميس خاصة بها.⁽¹⁾ و من البديهي فان من يؤمن بمعجز الانبياء اليوم، انما يؤمنون بها سماعاً و بالاعتماد فقط علي النقولات الموثقة الي درجة كبيرة توجب الاطمئنان القريب من الحس.

قد يظن البعض ان دعوي المعجزة غير مقبول عقلاً و انه مخالفٌ للاصول و المقاييس العلمية، أو ان اثبات وقوعها صعب جداً.

لكنّ هؤلاء علي خطأ، ذلك ان المعجزة لا تتنافى ابداً مع العقل، بل إنّ العقل².

ص: 75

1- دائرة المعارف ج 1 ص 202.

يؤيد و يُصدّق وقوعها، عن طريق المشاهدة أو السماع القطعي و النقل اليقيني و المتواتر.

و هؤلاء الذين لا يُخطون خطوة واحدة في طريق قبول و تعقل المعجزة و يعدونها مخالفة للمقاييس العلمية الطبيعية، إن كان مقصودهم من المخالفة، مخالفة العلوم المادية الحديثة التي توصلوا اليها و التي صارت طريقهم الوحيد لمعرفة اسرار الكون، فاننا نقول لهم في معرض الاجابة: إننا لا نحتاج الي هذه الموازين لاثبات صحة دعوي وقوع المعجزات، اذ ان تلك القوانين ليست السبيل الوحيد لإدراك كل الحقائق الكونية، إذ إننا اليوم نواجه مجهولات كثيرة جداً تفوق معلوماتنا، و هذه القوانين العلمية لا تهدينا الي تلك المجهولات و اكتشافها فهي قاصرة و لكننا نقبل تلك المجهولات و لا يمكن اثبات امتناعها الا بحكم العقل و البرهان.

اذن، فاذا لم نتعرف علي تحقق حادثة خارقة العادة، عن طريق الموازين العلمية الحسيّة و التجريبية، فهذا لا يبيح لنا انكار أصل وجودها، و سيكون مثل هذا الانكار غروراً و تعنتاً و اعتماداً علي سلسلة معلومات ناقصة و حفنة من النظريات و الفرضيات غير القطعية.

مثل هؤلاء الاشخاص مثل الكيميائي الخبير و المطلع المتخصص في التركيبات الكيميائية، الذي يحاول التعرف علي كل المسائل الطبيّة من نافذة علم الكيمياء الضيقة، فيرد بعضها و يقبل بعضها، و يبرم بعضاً و ينقضُ بعضاً، و الحال إنّ الاطباء في العالم و استناداً الي تلك القواعد الطبية التي ينكرها هذا الكيميائي، يقومون بمعالجة و مداواة آلاف البشر يومياً.

و عقيدتنا بمعاجز الانبياء و كرامات الاولياء و عللها هو أنها ظواهر كالظواهر الكونية الاخرى الموجودة في هذا العالم الكبير، و سواء سميتموها باسرار

الطبيعة و عالم الخلقه او سمّيتموها خوارق العادات، فاننا نقول إنّ هذه الامور التي اسمها معجزة قد حصلت و تحققت في هذا العالم و قد ثبت ذلك باوثق النقولات المتواترة، و اما تعليلها بالعلل الماديّة فليس بصحيح، و من حاول إضفاء صبغة علمية حسيّة مادية عليها و أنّها معلولات لعلل مادية طبيعية فهو مشتبه، اذ ان انقلاب العصا الي ثعبان و احياء الموتى علي يد عيسى المسيح، لا ارتباط له ابدأ بالعلل المادية الطبيعية.

و لو لم تكن تلك الاخبار الموثقة الاّ حول امرٍ عادي بسيط لقبها الناس ب 1% من تلك الاخبار و النقولات، و لكن لما كانت تلك الاخبار الموثقة حول امور خارقة للعادة و معجزات غير مأنوسة للبشر فاننا نضطر الي مزيد من التحقق منها و التأمل ثم قبولها.

و في زمننا الحالي، تنقل أحيانا مراكز الانواء الجويّة و بعض الجرائد بعض الظواهر الجوية الغريبة و التي يصعب التصديق بها، و مع ذلك فنحن نصدق تلك المراكز و الجرائد، مع اننا لو سمعنا ذلك الخبر من شخص عادي من افراد المجتمع ممن ليس له خبرة في هذا المجال لاستهزئنا به و اتهمناه بالسطحية و السذاجة، فنحن نقبل من محطات التلفزة و الراديو و وكالات الأنباء العالمية المعتمدة كلاسوشيتيدبرس و غيرها، لان تكذيب هذه المراكز يعني اضطراب النظام الاقتصادي و السياسي العالمي القائم علي اساس هذه الاخبار.

و لكننا نقول إنّ ذلك خطأ، فان الراي الصادر من انسانٍ عادي محترمٍ أيضاً و لا يمكن ردّه بلا دليل اذ قد يكون مطابقاً للواقع، و إنّ الخبر الذي تنقله وكالة الانباء العالمية الفلانية و الذي لم يقم اي دليل أو قرينة أو شاهد علي صحته، لا يمكن قبوله ببساطة كما لا يمكن انكاره و ردّه ببساطة، بل يبقى في حيز الامكان و الرد و

و اليوم، نجد ان اكثر الناس يقبلون الاخبار التي ينقلها صحفي او مراسل مركز اعلامي، ويرتبون كل الآثار عليها، وكذلك لو سمعوا عن فلكي مجهول الهوية أنّ النجم المذنب الكذائي سيرتطم بالارض في اليوم الفلاني وان الارض ستتلاشي، فانهم سيقبلون ذلك دون تردد و سيُسيطر عليهم الخوف و الهلع، يقبلون ذلك و ينكرون كل هذه الاخبار التي تدلُّ علي حصول المعاجز علي يد الانبياء خاصة معاجز نبينا الاكرم محمد صلي الله عليه و آله و الائمة الطاهرين من عترته عليهم السلام، و التي نُقلت في اوثق المصادر التاريخية و الكتب الروائية المعتمدة، و التي رواها اوثق الرواة و المتتبعين، ما يجعلنا نقطع بتحقق تلك المعاجز في الزمن السابق.

واني لا أظن انّ متتبعاً للكتب تتبّع احاطة بالوثائق و المدارك التاريخية، يقف علي تواتر أخبار المعاجز يُمكنه ان ينكرها، وأن اولئك الذين ينكرون المعاجز انما ينكرونها بسبب عدم اطلاعهم و عدم مراجعتهم للكتب التاريخية و الحديثية الروائية، و يندر أن ينكر ذلك احدٌ عن تعصبٍ أو لاغراض اخري، فان وجود قوة التعقل و استقامة الفكر تمنع الإنسان من ردّ هذه الاخبار، فانّ إنكارها يحكي عدم اعتدال القوة الفكرية و شذوذ العقل و انحرافه.

و علي كل حال، فأننا نعتقد أن أهم دواعي المنكرين للمعاجز هو الاستبعاد المحض، و مجرد الاستبعاد لم يكن ابداً دليلاً عند العقلاء و لا يُعدّ دليلاً عقلياً قطعياً للاحكام الجزمية.

و في هذا المبحث - معجزات الإمام الحسين عليه السلام - لا اريد الخوض في هذا الموضوع اكثر مما ذكرت، خاصة و إنّ اكثر قراءنا الكرام هم من المؤمنين و المعتقدين بالمعاجز و خوارق العادة، و بناءً علي ذلك لا نحتاج الي ذكر مقدمات و

توضيحات اكثر في مقام ذكر بعض معجزات الإمام الحسين عليه السلام.

وصدور المعجزات عن الإمام الحسين عليه السلام سواءً في حال حياته أو بعد شهادته عليه السلام من المسلمات والمتواترات، وإنَّ صدور تلك المعجزات عن الشَّعاع الحق لنور النبوة والامتداد الطبيعي لوجود شخص الرسول محمد صلي الله عليه وآله، و من صاحب مقام الولاية والإمامة، غير مستبعدٍ ولا منكر من أيِّ مسلم، فانه اذا لم يكن الحسين عليه السلام له مثل هذه المعجزات، فلمن يكون أذن؟

و اذا لم يكن الحسين عليه السلام مشمولاً للرعاية الالهية الخاصة، فمن ذا الذي يكون كذلك إذن؟

ولما كان غرضنا في هذا المبحث هو إظهار سعة دائرة فضائل و مناقب و مقام الإمام الحسين عليه السلام بين عامة المسلمين و في كل نواحي شخصيته العظيمة فاننا لن ننقل ذلك من كتب الشيعة مع قوة اسانيدها و اعتبارها و صحتها، بل سنقتصر علي ذكر نماذج مما ورد في كتب كبار علماء اهل السنة و محدثهم و بعبارة اخري سنكتفي بغيضٍ من فيضٍ ما جاء عنهم في هذا المضمار.

1 - نقل الطبري: بعد ان كتب عبيد الله ابن زياد الي عمر ابن سعد: أما بعد فحل بين الحسين و أصحابه و بين الماء، و لا يذوقوا منه قطرة، كما صَّنع بالتقيِّ الزكيِّ المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان. فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج علي خمسمائة فارس، فنزلوا علي الشريعة، و حالوا بين حسين و أصحابه و بين الماء أن يُسقوا منه قطرة، و ذلك قبل قتل الحسين بثلاث. قال: و نازَّله عبد الله بن أبي حُسين الأزدي فقال: يا حسين، ألا تنظر الماء كأنه كبد السماء! و الله لا تذوق منه قطرة حتي تموت عطشاً، فقال حسين: اللهم اقتله عطشاً، و لا تغفر له أبداً.

قال حميد بن مسلم: و الله لُعدته بعد ذلك في مرضه، فوالله الذي لا إله إلا هو

لقد رأيتُه يشرب حتى يبغر، ثم يقئ، ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروي، فما زال ذلك دأبه حتى لفظ عصبه. (1) 2 - وكذلك نقل الطبري: روي هشام عن أبيه محمد بن سائب عن القاسم بن اصبح بن نباته قال: حدّثني من شهد الحسين عليه السلام في عسكره، أنّ حسيناً حين غلب علي عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات، قال: فقال رجل من بني أبان بن درام، ويَلِكُم! حولوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين: اللهم أظمه، قال: وانتزع الأباقي بسهم، فأثبتته في حنك الحسين، قال: فانتزع الحسين السهم، ثم بسط كفيه فامتأّت دماً، ثم قال الحسين: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك؛ قال: فوالله إن مكث الرجل إلا يسيراً حتى صبّ الله عليه الظماً، فجعل لا يروي. قال القاسم بن الأصبح: لقد رأيتني فيمن يروح عنه والماء يبرد له في السكر وعساس فيها اللبن، وقلال فيها الماء، وإنه يقول: ويَلِكُم! اسقوني قتلني الظماً، فيعطي القلّة أو العسّ فيشربه، فإذا نزع من فيه اضطجع الهنيهة ثم يقول: ويَلِكُم! اسقوني قتلني الظماً؛ قال: فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقذ بطنه انقذاد بطن البعير. (2) 3 - روي الامام أحمد بن حنبل في مناقبه عن ابي رجاء انه كان يقول:

«لا تسبوا عليّاً ولا أهل هذا البيت» إنّ جاراً لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة فقال: ألم تروا هذا الفاسق ابن الفاسق ان الله قتله (يعني الحسين عليه السلام). فرماه الله بكوكبين في عينيه وطمس الله بصره. (3) 5.

ص: 80

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 313. تذكرة الخواص ص 257. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 68.

2- تاريخ الطبري ج 4 ص 344. الكامل لابن الاثير ص 294. ذخائر العقبى ص 144.

3- ذخائر العقبى ص 145.

4- روي ابن الجراح عن السدي قال: أتيت كربلاء لأبيع التمر بها فعمل لنا شيخ من طي طعاماً فتعشينا عنده فذكرنا قتل الحسين عليه السلام فقلت: ما شرك احد في قتل الحسين إلا مات بأسوأ موته وآيات ظهرت لمقتله. قال: ما اكذبكم يا اهل العراق انا ممن شرك في ذلك. فلم يبرح حتي دنا من المصباح و هو متقد بنفط فذهب يخرج الفتيلة باصبعه فاخذت النار فيها فذهب يُطفئها بريقة فأخذت النار في لحيته فغدا فالقي نفسه في الماء فرأيتُه كأنه جمجمة. (1) و ذكره في «كفاية الطالب» و «المحاسن و المساوي» و البيهقي و الصواعق، و ورد فيها حممة بدلاً عن جمجمة، يعني مثل الفحم. (2) 5- روي السبط بن الجوزي عن الواقدي أن شيخا حضر قتله فقط «أي الحسين» فعمي، فسئل عن سببه فقال: إنه رأي النبي صلي الله عليه و آله حاسراً عن ذراعيه و بيده سيف و بين يديه نطع، و رأي عشرة قاتلي الحسين مذبحين بين يديه، ثم لعنه و سبّه لتكثير سوادهم ثم أكحله بمروود من دم الحسين فأصبح أعمى. (3) 6- روي ابن الاثير في ضمن وقائع كربلاء: و تقدم رجل اسمه عبد الله ابن حوزة و وقف أمام الحسين فقال: يا حسين، يا حسين، فقال الحسين عليه السلام: ما تشاء فقال: أبشر بالنار. قال عليه السلام: كلاً- إني أقدم علي رب رحيم و شفيع مطاع. من هذا؟ قال له اصحابه هذا ابن حوزة قال: رب حزة الي النار. فاضطرب به فرسه في جدول و وقع فيه و تعلقت رجله بالركاب و وقع رأسه في الارض و نفر الفرس 3.

ص: 81

1- ذخائر العقبى ص 145.

2- كفاية الطالب ص 289. الصواعق ص 193. المحاسن و المساوي ج 1 ص 98.

3- نور الابصار ص 121. اسعاف الراغبين ص 192. الصواعق ص 193.

فأخذ يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجر و كلّ شجرة حتي مات.(1) و روي نظير هذه المعجزة عن ابن بنت منيع عن علقمة بن وائل و وائل بن علقمة في رجب لاسم: جريره.(2) 7 - روي الطبري قال: ولما بقي الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسرّاويل مُحَقَّقَةً يلمع فيها البصر يمانيّ محقق ففزره و نكثه لكيلا يُسَلِّبَه، فقال له بعض أصحابه:

لو لبستَ تحتهُ ثَباناً (سراويل قصير) قال: ذلك ثوب مذلّة و لا ينبغي لي أن البسه.

قال: فلما قُتِلَ اقبل بحر بن كعب فَسَدَّ لِمَبِّهُ إِيَّاهُ فتركه مجرداً.(3) 8 - روي الشبراوي شيخ الازهر الاسبق: و اشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فتلقى الدم في يده و قال اللهم اقتل حصيناً عطشاً.

قال العلامة الاجهوري فابتلي بالحر في بطنه و البرد في ظهره و صار يوضع بين يديه الثلج و المراوح و يوضع خلفه الكانون و هو يصيح من الحر و العطش و صار يؤتي بسويق و ماء و لبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشرب فلا يرتوي ثم يصيح فيسقي كذلك الي ان قُدَّ بطنُه و مات بعد موت الحسين بايام.(4) 9 - روي الطبري عن ملا-كه و هو من كبار علماء السنة عن رجل من كليب قال: صاح الحسين بن علي: «إسقونا ماءً» فرمى رجلٌ بسهمٍ فسَقَّ شدقه فقال: لا ارواك الله. فعَطَشَ الرجل الي ان رمى بنفسه في الفرات فشرب حتي مات.(5) 4.

ص: 82

1- الكامل ج 3 ص 389.

2- ذخائر العقبى ص 144.

3- تاريخ الطبري ج 4 ص 345.

4- الاتحاف ص 16.

5- ذخائر العقبى ص 144.

10 - روي الترمذي حديثاً صحيحاً عن عمارة بن عُمير قال: لما جيء برأس ابن زياد ووضع في القصر رأيت الناس مجتمعين حوله وإذا بحية تأتي تدخل الي منخره وتخرج من فمه تفعل ذلك ثلاثاً. (1) 11 - روي ابن بنت منيع عن ابي معشر عن بعض مشيخته: ان قاتل الحسين عليه السلام لما جاء الي ابن زياد وحكي عليه كيفية قتله وما قال له الحسين، إسودَّ وجهه. (2) 12 - روي الطبري عن ابي مخنف قال: حدثني سليمان بن ابي راشد عن حُميد بن مسلم، قال: ... و مكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهي اليه رجل من الناس انصرف عنه وكره ان يتولي قتله وعظيم إثمه عليه، قال: و ان رجلاً من كندة يقال له مالك بن النُسير من بني بَداء، أتاه فضربه علي رأسه بالسيف و عليه بُرنس له، فقطع البرنس و اصاب السيف رأسه، فادمي رأسه، فامتلاً البرنس دماً، فقال له الحسين عليه السلام:

«لا أَكَلْتُ بِهَا و لا شَرِبْتُ و حَشَرْتُ اللّٰهَ مَعَ الظَّالِمِينَ» قال: فالقي ذلك البرنس ثم دعا بقلنسوة فلبسها، و اعتمَّ و قد أعيا و بَلَدَ. و جاء الكندي حتي أخذ البرنس - و كان من خز. - فلما قدم بعد ذلك علي امراته ام عبد الله ابنة الحر اخت الحسين بن الحر البدي، اقبل يغسل البرنس من الدم، فقالت له امرأته: أسلب ابن بنت رسول الله صلي الله عليه و آله تدخل بيتي؟ أخرجته عني. فذكر اصحابه انه لم يزل فقيراً بشر حتى مات. (3) 9.

ص: 83

1- سنن الترمذي ج 13 ص 197. أسد الغابة ج 5 ص 20. اسعاف الراغبين ص 189.

2- ذخائرالعقبى ص 144.

3- الطبري ج 4 ص 342. الحسن و الحسين عليه سبطا رسول الله ص 69.

13 - نُقل عن اليسار بن الحكم قال: إنتهب عسكر الحسين فوجد فيه طيب فما تطيبت به امرأة الأبرصت. (1) 14 - روي السيوطي: ان ما نُهب من مخيم الحسين عليه السلام من الورس قد تحول الي الرماد. (2) 15 - يقول العالم المصري محمد رضا: و من اعجب كرامات الحسين عليه السلام هو حديث الزهري في قتل الحسين و هذا هو سأل عبد الملك ابن مروان و هو قاعد في ايوانه، من كان مجتمعاً بحضرته فقال: ما أصبح بيت المقدس يوم قتل الحسين بن علي ابن ابي طالب. فلم يجبه أحد، فقال الزهري: إنه لم يرفع تلك الليلة التي قتل صبيحتها علي ابن أبي طالب و الحسين بن علي حجرٌ في بيت المقدس الا وجد تحته دمٌ عبيط.

قال عبد الملك: صدقت، حدّثني الذي حدثك و إني و إياك في هذا الحديث لغريبان. ثم أعطاه مالاً كثيراً. (3) و روي المحب الطبري عن ابن السري عن الزهري انه لما قُتل الحسين عليه السلام لم يُرفع أو لم يُقلع حجر بالشام الا عن دم. (4) 16 - روي المحب الطبري عن ابن لهيعة عن ابي قبيل قال: لما قتل الحسين ابن 5.

ص: 84

-
- 1- العقد الفريد ج 4 ص 384. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 69-70. و قال بعد نقل هذه الكرامة: ان كرامات الحسين عليه السلام لا تحصي.
 - 2- تاريخ الخلفاء ص 138. اسعاف الراغبين ص 192. الصواعق ص 192.
 - 3- الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 70. اسعاف الراغبين ص 192. تاريخ الخلفاء ص 138.
 - 4- ذخائر العقبى ص 145.

علي بعث برأسه الي يزيد فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون و يتحيون بالرأس، فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت سطرأ بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب.

فهربوا و تركوا الرأس.(1) ولا يخفي ان أخباراً كثيرة وردت في هذا الشعر، منها ما رواه السبط ابن الجوزي و ابن حجر و في درر السمطين و الشبراوي و الدميري و آخرون.(2) 17 - و رويت عنه روايات حول بعض الآيات السماوية و خوارق العادات حين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مثل مطر السماء دماً و غيرها، نقلها كبار علماء القوم مثل الحافظ ابي نعيم في دلائل النبوة، و ابن بنت منيع و المحب الطبري و الشبراوي و الشبلنجي و ابن الجوزي و الصبان.(3) 18 - روي السبط بن الجوزي أنّ شخصاً علّق رأس الحسين عليه السلام في لبّ فرسه فرؤي بعد أيام وجهه أشدّ سواداً من القارّ و مات علي أقيح حالة.(4) 19 - روي ابن خالويه عن الاعمش عن المنهال الاسدي قال:

و الله لقد رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حُمل و أنا بدمشق و بين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتي بلغ «أم حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الكَهْفِ و الرّٰقِیْمِ كانوا من 2.

ص: 85

-
- 1- ذخائر العقبى ص 145. اسعاف الراغبين ص 193.
 - 2- الاتحاف ص 12. تذكرة الخواص ص 284. نظم درر السمطين ص 219. كفاية الطالب ص 290-291. حياة الحيوان ج 1 ص 60. الصواعق ص 193-194.
 - 3- ذخائر العقبى ص 145. الاتحاف ص 24-25. نور الابصار ص 120. تاريخ الخلفاء ص 138. نظم الدرر ص 221-222. اسعاف الراغبين ص 192.
 - 4- نور الابصار ص 121. اسعاف الراغبين ص 192-193.

آيَاتِنَا عَجَبًا» فنطق الرأس وقال: «قتلي أعجب من ذلك» وقد روي الصَّبَّان هذه الكرامة الباهرة بهذه العبارة: «فنطق الرأس الشريف بلسانٍ عربيٍّ فصيح فقال جهاراً: أعجب من أصحاب الكهف قتلي و حملي»⁽¹⁾

وقال الدميري، و تكلم بعدالموت اربعة، يحيي ابن زكريا حين ذبح، و حبيب النجار حيث قال: «يا ليتَ قومي يعلمون...» و جعفر الطيار حيث قال:

«و لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...» و الحسين بن علي عليه السلام حيث قال: «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»⁽²⁾

20 - يذكر صاحب كتاب «البدء و التاريخ»: في الليلة التي قتل الحسين عليه السلام في صبيحتها سمع اهل مدينة هاتفا يقول و لا يرون شخصه:

مَسَحَ الرَّسُولُ جَبِينَهُ

21 - روي السبط ابن الجوزي عن عبد الملك ابن هشام في كتاب «السيره» قال: لما أنفذ ابن زياد رأس الحسين عليه السلام إلي يزيد بن معاوية مع الأساري موثقين في الحبال موثقين مكشفات الوجوه و الرؤوس و كلما نزلوا منزلا أخرجوا الرأس من صندوق أعدوه له فوضعه علي رمح و حرسوه طول الليل إلي وقت الرحيل، ثم يعيدوه إلي الصندوق و يرحلوا فنزلوا بعض المنازل و في ذلك المنزل دير فيه راهب فأخرجوا الرأس علي عادتهم و وضعوه علي الرمح و حرسه الحرس علي عادتهم و أسندوا الرمح إلي الدير فلما كان في نصف الليل رأي الراهب نوراً من مكان الرأس 2.

ص: 86

1- نور الابصار ص 122. اسعاف الرغبين ص 193.

2- حياة الحيوان ج 1 ص 55.

إلي عنان السماء فأشرف علي القوم وقال من أنتم؟ قالوا نحن أصحاب ابن زياد.

قال وهذا رأس من؟ قالوا رأس الحسين بن علي ابن أبي طالب بن فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وآله. قال نبيكم. قالوا نعم. قال بس القوم أنتم لو كان للمسيح ولد لأسكنناه أحدنا ثم قال هل لكم في شئ قالوا وما هو. قال عندي عشرة آلاف دينار، تأخذوها وتعطوني الرأس يكون عندي تمام الليلة وإذا رحلتم تأخذوه قالوا وما يضرنا فناولوه الرأس وناولهم الدنانير فأخذه الراهب فغسله وطيبه وتركه علي فخذه وقعد يبكي الليل كله فلما أسفر الصبح قال يا رأس لا أملك الا نفسي وأنا أشهد ان لا إله الا الله و ان جدك محمداً رسول الله و أشهد الله أنني مولاك و عبدك. ثم خرج عن الدير و ما فيه و صار يخدم أهل البيت. قال ابن هشام في السيرة ثم أنهم أخذوا الرأس و ساروا فلما قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض تعالوا حتي نقسم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منا فأخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً و علي أحد جانب الدينار مكتوب «و لا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون»⁽¹⁾ و علي الجانب الآخر «و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»⁽²⁾ فرمواها في نهر «بردا»⁽³⁾ و روي هذه المعجزة ابن حجر ايضاً⁽⁴⁾ 22 - و من جملة معاجز الحسين عليه السلام ما نقله العلامة التلمساني في شرح الشفاء، الفصل 24. و لعدم الاطالة نحيل القارئ المحترم الي الكتاب المذكور و كتاب 7.

ص: 87

1- سورة ابراهيم، الآية 42.

2- سورة الشعراء، الآية 227.

3- تذكرة الخواص ص 273-274.

4- الصواعق ص 197.

نور الأبصار للشبلنجي. (1) 23 - روي ابو الفرج الاصفهاني ان رجلاً قال للحسين عليه السلام

«ألا- تري إلي الفُراتِ يا حُسينُ كأنَّهُ بَطونَ الحَيَاتِ و اللّٰه لا تذوقَه أو تموتَ عَطشاً.» قال: فواللّٰه لقد كان هذا الرجل يطلب الماء فيسقي فيخرج الماء من فيه ثم يطلب فيسقي فيخرج الماء من فيه حتي مات عطشاً. (2) 24 - نُقل عن سلمان بن يسار قال: وجدوا حجراً كتب عليه:

لأبَدٍ أَنْ تَرَدَّ القِيَامَةَ فَاطِمٌ

25 - روي الشبراوي و الشبلنجي بجزم ان الحسين عليه السلام يردُّ سلام بعض العلماء في كل وقت في المشهد الحسيني في مصر. (3) و حكي الشبراوي أيضاً ان السلطان صلاح الدين يوسف وشي له مرة بخادم من خدمة القصر المذكور كان بيده زمام القصور و قيل له انه يعرف موضع الاموال و الدفائن التي بالقصر فأخذ و سنل فلم يذكر شيئاً و تجاهل فامر صلاح الدين بتعذيبه فاخذه متولي العقوبة و جعل علي رأسه خنافس و شد عليها قرمزية و يقالم.

ص: 88

1- شرح الشفاء. نور الابصار ص 123-124.

2- فضائل الطالبين ص 117.

3- الاتحاف ص 26. نور الابصار ص 122. لا يخفي ان احد المشاهد الشريفة المنسوبة الي راس الحسين عليه السلام مقام رأس الحسين في القاهرة و هو من المزارات المعروفة عند المسلمين، يؤمه آلاف الزائرين كل سنة، و ان اهل مصر يعتقدون كل الاعتقاد به و يحترمونه كثيراً و يجللونه، و كان كبار علماء و مشايخ الازهر، و سلاطين الدولة العثمانية و مصر و الحكام و عامة الناس يزورونه علي الدوام.

ان هذا أشد العقوبات لأنها تتقرب بالرأس فلا يطيق الإنسان الصبر عليها فعل به ذلك مرارا و الخنافس توجد ميتة و لا تؤذيه فآخبروا به صلاح الدين فاحضروه و قال له عرفني ما سبب هذا فقال ليس له سبب أعرفه غير أنه لما وصل الرأس الشريف الي هنا حملته بالديباج و الطيب علي رأسي حتي وضعته داخل الضريح فقال صلاح الدين و أي سبب أشرف من هذا و عفي عنه. (1) 27 - و من جملة كراماته عليه السلام ان رجلاً يقال له شمس الدين القعويني كان ساكنا بالقرب من المشهد و كان معلم الكسوة الشريفة، حصل له ضرر في عينيه فكف بصره و كان كل يوم اذا صلّي الصبح في مشهد الإمام الحسين عليه السلام يقف علي باب الضريح الشريف و يقول يا سيدي أنا جارك قد كف بصري و أطلب من الله بواسطتك أن يرد عليّ و لو عينا واحدة. فبينما هونائم ذات ليلة اذ رأي جماعة أتو الي المشهد الشريف فسأل عنهم فقيل له هذا النبي صلي الله عليه و آله و الصحابة معه جاؤوا لزيارة السيد الحسين عليه السلام فدخل معهم ثم قال ما كان يقوله في اليقظة فالتفت السيد الحسين الي جده صلي الله عليه و آله و ذكر له ذلك علي سبيل الشفاعة عنده في الرجل فقال النبي صلي الله عليه و آله للإمام علي عليه السلام «يا عليّ كحلّه» فقال سمعا و طاعة و أبرز من يده مكحلة و مرودا و قال له تقدم حتي أكحلك فتقدم فلوث المروود و وضعه في عينه اليمني فاحس بحرقان عظيم فصرخ صرخة عظيمة فاستيقظ منها و هو يجد حرارة الكحل في عينه ففتحت عينه اليمني فصار ينظر بها الي ان مات و هذا الذي كان يطلبه فاصطنع هذه البسط التي تفرش في مشهد الإمام الحسين عليه السلام و كتب عليها وقفا. (2) 9.

ص: 89

1- الاتحاف ص 27. نور الابصار ص 122.

2- الاتحاف ص 29-30.

28 - ونقل الشبراوي كرامة اخري للحسين عليه السلام عن الشيخ ابي الفضل نقيب الخلوتية، ملخصها ان الله تعالى عافاه ببركة التوسل و زيارة المشهد الحسيني من مرض عضال اعيبه الاطباء علاجه. (1) 29 - روي ابو الفرج الاصفهاني عن القاسم بن الاصبغ بن نباته قال:

رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود الوجه، و كنت أعرفه جميلاً، شديد البياض، فقلت له: ما كدت أعرفتك، قال: إني قتلت شاباً أمرد مع الحسين، بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلتة إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتي يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصبح، فما يبقي أحد في الحي إلا سمع صياحي.

قال: و المقتول العباس بن علي عليه السلام. (2) و لا يخفي علي القاري العزيز ان كرامات و معجزات سيد الشهداء عليه السلام في كتب الفريقين كثيرة جداً، و من اراد المزيد عمّا ذكرناه فليراجع كتاب المناقب لابن شهر آشوب و البحار للمجلسي و العوالم للبحراني و كتب اخري.

الفصل ما شهدت به الأعداء

إن في وجود كل إنسان بصيص نورٍ من عالم الغيب و مصباحٌ يسوقُه الي الحقيقة و العدالة و الامانة.

و هذا النور يصل اليه من عالم الغيب و بالامداد الالهي، و يشتدُّ و يقوي اثر

ص: 90

1- الاتحاف ص 30.

2- مقاتل الطالبين ص 118. و هذه المعجزة و ان كانت من كرامات ابي الفضل العباس عليه السلام - لكن المؤلف لم يجد بداً من تسطيرها و عدّها من معاجز الحسين عليه السلام بمناسبة الارتباط بين الاخوين و الاولوية.

الاعمال الصالحة والعلم والمعرفة والتربية المستقيمة، وتصل قوته احياناً الي الاحاطة بتمام باطنه الواسع وإضاءته الي درجة انعدام كل الظلمة في نفسه.

كما أنّ سوء التربية والانغماس بالقبائح والشهوات والاقبال علي الماديات واهمال التعلم والاطلاع علي الحقائق والمعارف و المعقولات يوجب ازدياد سمك الحجب والاغشية التي تمنع القلب عن البصيرة.

كما ان الاشتغال بالمناهي والملاهي و حبّ الدنيا والمال والجاه والمقام والشهوات يُنسي الانسان الحقائق و يُنسيه مصيره و ما يؤول اليه امره و مستقبله الذي ينتظره.

ولكن، و حتي في هذه المرحلة المظلمة، ومهما هوي الإنسان في السقوط و حتي لو صار مصداقاً لقوله تعالى: «أولئك كالانعام بل هم أضلّ»⁽¹⁾ يبقى بصيص أمل لعودته و يبقى بعض المنافذ والشبابيك مفتوحة في وجوده تُرجعه الي عالم الغيب والحقيقة، و يبقى خلاصه من متاهات السقوط والانحدار و من ظلمات الشهوات الحيوانية، ممكناً غير مستحيل.

وسواء سميت ذلك بالإدراك أو الوجدان الواقعي للانسان أو غريزة حب الحقيقة أو الفطرة أو اي اسم آخر فالمهم هو وجودها في الإنسان مهما انحدر، فهذا البصيص من النور و حتي لو كان ضعيفاً و خفيفاً، يتجلي في باطن الإنسان و يُشعره بمسئولية تجاه ربه و يُتمّ الحجّة عليه الي درجة ان الناس جميعاً يتوقعون منه القيام بتكاليفه و وظائفه و احترام شرف إنسانيته، و الا كان مستحقاً للملامة و الذمّ و التوبيخ، بل و مستحقاً للعقاب و التأديب في نظر العقلاء.9.

ص: 91

ونلاحظ أيضاً إنَّ أولئك الذين يخالفون الانبياء و المناهج السماوية الداعية الي الحق و العدالة و الحرية، و في اشدّ ساعات المواجهة بينهم، تصدر عنهم احيانا و بلا ارادة بعض عبائر المدح و الثناء للانبياء فتتصرف فيهم فطرتهم السليمة و تؤثر فيهم الحقيقة و المعنويات و الطهارة فتراهم أحيانا يكون و يتالمون للانبياء، و لكنهم يعودون الي ما يقترفون من ذنوب و معاصي و اضطهاد للاخيار و كأن هزّة باطنية تعتورهم و تبعدهم عن واقعهم المرير، ثم يلتفتوا الي حالهم فيعودوا لما نُهوا عنه و يرجعون الي الدرجة الاولى في السُّلم و الي قلعة الانانية و الانكار و التمرد.

و تاريخ الإسلام مشحون باقرارات و اعترافات اشدّ اعداء الرسول الاكرم صلي الله عليه و آله و الائمة الطاهرين باحقية هؤلاء الاطهار و صحة منهجهم و سييلهم.

نعم، إنَّ اعداء أهل البيت عليهم السلام، و الحاقدين و المتعصبين و عبدة الدنيا و المغرورين الذين اضطهدوا اهل البيت عليهم السلام، يشهدون في مواقع عديدة بفضيلة و حقانية أهل البيت و يقرّون ببطلان أنفسهم و يعترفون بان حبّ الدنيا أو العناد و اللجاجة هي التي دفعتهم الي انكار حق اهل البيت عليهم السلام.

اقراؤا قصة أبي سفيان و الاخنس و ابي جهل في سيرة حياة النبي الاكرم صلي الله عليه و آله و كيف انهم كانوا يأتون في الليالي الظلماء و بعيداً عن الانظار و في الخفاء، لكي يستمعوا الي آيات القرآن المجيد من لسان النبي صلي الله عليه و آله، و في النهار يعودون الي محاربته و انكاره و ايدائه.

و إنَّ من عزل علياً عليه السلام عن ساحة الاحداث و اجلسه الدار، كان يعترف بفضائل و مقام علي عليه السلام و كان يعترف بان علياً هو الاكفأ و الاقدر و الأنسب من بين كل المسلمين بهذا الأمر و هذا معاوية و عمرو بن العاص و في حياة أمير المؤمنين علي عليه السلام و بعد شهادته، و في مجالسهم الخاصة و العامة احياناً، يعترفون بفضائل و

مناقب علي عليه السلام و علمه و ورعه و تقواه، و تارة كان معاوية يبكي عندما يذكر مناقب أمير المؤمنين و يترحم عليه!!

و هذا مروان بن الحكم يشترك في تشييع الإمام الحسن عليه السلام و عندما يُسأل:

كنت تجرعه الغصص في حياته و اليوم تمشي في جنازته؟ فيقول: كنت افعل ذلك مع من كان حلمه يوازي الجبال.

و هذا عبد الملك بن مروان، و عندما واجه مشكلة ضرب النقود العويصة - كما يذكر ذلك البيهقي و الدميري اضطر الي التماس محمد بن علي الباقر عليهم السلام و اخذ الحلّ من علمه الجمّ، و هكذا كان فقد علمه الإمام الباقر عليه السلام حلّ تلك المعضلة.(1) و ها هو المنصور الدوانيقي الذي قتل ذراري رسول الله السادات بافجع صور القتل و أشعها، و طبقا لوثق النقولات المعتبرة أنه دسّ السّم للإمام الصادق و قتله، نفس هذا السفاح و طبقا لما يذكره اليعقوبي(2) عن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس، ان المنصور بكى علي الإمام الصادق عليه السلام حتي ابتلت لحيته من دموع عينيه و كان يقول: انه كان سيد أهل بيته و بقية الاخير منهم و انه ممّن نزل فيهم قوله تعالى:

«ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا»(3)

و هذا هارون الرشيد يعترف و يُقرّ بمقامات موسى بن جعفر عليهما السلام و ما ذكره المأمون من قصة احترام هارون الرشيد للإمام موسى بن جعفر و تبجيله، مشهورة2.

ص: 93

1- المحاسن و المساوي ج 2 ص 236-232. حياة الحيوان ج 1 ص 63.

2- تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 117.

3- سورة الفاطر، الآية 32.

وهكذا سائر الأئمة عليهم السلام يحدثنا التاريخ أنّ خلفاء زمانهم واعدائهم قد اعترفوا بفضلهم و مقامهم و علمهم و اهليتهم لحلّ المعضلات من المسائل و أنّ أولئك الخلفاء كانوا يلوذون بهم ساعات الابتلاء و الشدائد.

و لا يخفي إنّ أكثر الاعترافات و الاقرار من هؤلاء الظلمة كان من باب السياسة و خداع الرأي العام و رعاية للمصالح الشخصية و النفاق و المراء لاستغفال الناس، و لكنها مع كل ذلك كانت شهادة الاعداء بحسن قبول الناس لاهل البيت و حُسن سيرة المعصومين و اتقاق الناس علي اهليتهم و صلاحيتهم بل اسبقيتهم علي الاخرين في كل المجالات الي درجة عجز اعدائهم عن اخفائه.

و الفضلُ ما شهدت به الاعداء.

و ما ذكرناه من اعتراف الاعداء، ينسحب الي اعداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام بوضوح، يقول الاستاذ عباس محمود العقاد: و لكنّ الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد لحرب الحسين عليه السلام كان جيشاً يحارب قلبه لاجل بطنه و أو يحارب ربّه لاجل واليه اذ لم يكن فيهم رجلٌ واحد يؤمن ببطلان دعوي الحسين عليه السلام أو رجحان حقّ يزيد، و لم يكن فيهم كافر ينفح عن عقيدة غير عقيدة الإسلام إلاّ من طوي قلبه علي كفر كمين هو مخفيه و لا نخالهم كثيرين...

و لو كانوا يحاربون عقيدة بعقيدة، لما لصقت بهم وصمة النفاق و مسبة الاخلاق، فعداوتهم ما علموا أنّه الحق و شعروا أنّّه الواجب أقبح بها من عداوة المرء ما هو جاهله بعقله و معرض عنه بشعوره لأنهم يحاربون الحقّ و هم يعلمون.

و من ثمّ كانوا في موقفهم ذلك ظلماً مطبقاً، ليس فيه من شعور الواجب بصيصٌ واحدٌ من عالم النور و الفداء، فكانوا حقاً في يوم كربلاء قوة من عالم الظلام

تكافح قوة من عالم النور. (1) وروي ابن أعثم أنه لما ورد كتاب يزيد بن معاوية الي الوليد بن عقبة و الذي يأمره فيه بقتل الحسين بن علي عليه السلام و يعده بالامارة و الجائزة، اعتم الوليد لذلك و قال: «لا حول و لا قوة إلا بالله»

و الله لو ان يزيدا اعطاني الدنيا بما فيها لما اشتركت بقتل الحسين ابن رسول الله. (2)

يقول الدينوري: عندما اقترح مروان بن الحكم علي الوليد، قتل الحسين قال:

«وَيْحَكَ أَتَشِيرُ عَلَيَّ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَ اللَّهُ ان الَّذِي يُحَاسِبُ بِدَمِ الْحُسَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَخَفِيفُ الْمِيزَانِ عِنْدَ اللَّهِ» (3)

و هذا يدل علي مدي تعجب و استغراب الوليد من جراءة مروان و قلة حيائه، و لم يتوقع حتي من مثل مروان المنافق الحاقده، التفكير في قتل مثل الحسين.

يقول السبط ابن الجوزي، قال الوليد لمروان:

«وَ اللَّهُ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَ إِنِّي قَتَلْتُ حُسَيْنًا.» (4)

و روي ابن الاثير ان الوليد قال:

«وَ اللَّهُ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَ مَا غَرَبَتْ عَنْهُ مِنْ مَالِ الدُّنْيَا وَ مُلْكِهَا وَ إِنِّي قَتَلْتُ حُسَيْنًا أَنْ قَالَ لَا أُبَاعُ وَ اللَّهُ إِنِّي لِأُظَنَّ أَنْ إِمْرَةً يُحَاسِبُ بِدَمِ 7.»

ص: 95

1- ابو الشهداء ص 137.

2- تايخ ابن أعثم ص 345.

3- الاخبار الطوال ص 208.

4- تذكرة الخواص ص 247.

وروي الخوارزمي ان مروان حذر الوليد من التمرد علي امر يزيد بقتل الحسين عليه السلام فقال له الوليد:

«مَهْلًا وَيَحَاكَ دَعْنِي مِنْ كَلَامِكَ هَذَا، وَأَحْسِنِ الْقَوْلَ فِي ابْنِ فَاطِمَةَ فَإِنَّهُ بَقِيَّةُ وُلْدِ النَّبِيِّينَ.» (2)

ونقل الخوارزمي أيضاً ان الوليد لما علم بخروج الحسين عليه السلام الي العراق كتب الي ابن زياد:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى الْعِرَاقِ وَهُوَ ابْنُ فَاطِمَةَ الْبَتُولِ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاحْذَرِ يَا بَنَ زِيَادٍ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ بِسَوْءٍ فَتُهَيِّجَ عَلَيَّ نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَا لَا يَسُدُّهُ شَيْءٌ وَلَا تَنْسَاهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ أَبَدًا مَا دَامَتِ الدُّنْيَا.»

ثم يقول الخوارزمي بعد نقل ذلك: «فَلَمْ يَلْتَفِتْ عَدُوُّ اللَّهِ إِلَيَّ كِتَابِ الْوَلِيدِ.» (3)

ويقول ابن الاثير استمهل عمر بن سعد عبيد الله بن زياد يوماً حتي ينظر في امره بقتل الحسين عليه السلام، فانصرف عمر يستشير نصحاءه، فلم يكن يستشير احداً الاّ نهاه وجاء حمزة بن المغيرة بن شعبة وهو ابن اخته فقال: انشدك الله يا خال ان تسير الي الحسين عليه السلام فتأثم بربك و تقطع رَحْمَكَ! فوالله لان تخرج من دنياك و مالك و سلطان الارض كلها لو كان لك خيرٌ من ان تلقي الله بدم الحسين! (4)3.

ص: 96

1- الكالم ج 3 ص 265.

2- مقتل الخوارزمي ص 181.

3- مقتل الخوارزمي ج 1 ص 221 ف 11.

4- تاريخ الطبري ج 4 ص 610. الكامل لابن الاثير ج 3 ص 283.

قال ابو زهير العباسي: سمعت شيبث ابن ربيعي ايام امارة مصعب يقول: لا جزا لله اهل الكوفة خيراً، و منعهم الرشاد، ألا تعجب اننا قاتلنا علياً و من بعده ابنه، و نصرنا آل ابي سفيان، ثم نصرنا آل معاوية و ابن سميّة علي ابن عليّ و هو خير اهل الارض؟! «ضلال يا له من ضلال»

و روي ابن سعد في الطبقات: ان مرجانة ام عبيد الله بن زياد قالت لابنها:

يا حَبِيثَ قَتَلْتَ ابن بنت رسول الله، و الله لا تَرِي الجَنَّةَ ابداً»(1)

قال حميد بن مسلم: كان لي صحبه مع عمر بن سعد فأتيته عند منصرفه من قتال الحسين عليه السلام فسألته عن حاله فقال لا تسئل عن حالي فانه ما رجع غائب إلي منزله بشرّ مما رجعتُ به قطعُ القرابة القريبة و ارتكبت الأمر العظيم.(2) و لما قام عمر بن سعد من عند ابن زياد يريد منزله إلي أهله و هو يقول في طريقه: «ما رجع أحد مثل ما رجعت أطعت الفاسق ابن زياد الظالم ابن الفاجر و عصيت الحاكم العدل و قطعت القرابة الشريفة».

و هجره الناس و كان كلما مرّ علي ملاً من الناس أعرضوا عنه و كلما دخل المسجد خرج الناس منه و كل من رآه قد سبّه فلزم بيته الي أن قُتل.(3) و روي ابن الاثير و الطبري:

دخلوا (القوم الذين جاؤوا برأس الحسين عليه السلام من الكوفة) علي يزيد فوضعوا الرأس بين يديه و حدثوه الحديث قال: فسمعت دَوْرَ الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْرٍ - و كانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت بثوبها و خرجت فقالت:9.

ص: 97

1- تذكرة الخواص ص 269.

2- الأخبار الطوال ص 232.

3- تذكرة الخواص ص 269.

يأمر المؤمنين بأرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله قال: نعم، فأعولي عليه و حُدِّي علي ابن بنت رسول الله و صريخة قريش عَجَل عليه ابن زياد فَقتلَهُ قَتَلَهُ اللهُ. (1) و حتي ابن زياد لما رأي اعتراضات الناس و سخطهم عليه و ان نفرة المسلمين و لعنتهم لحقت به، حاول التبري من دم الحسين عليه السلام عليه السلام، حتي انه حاول اتلاف كل كتبه التي وجهها الي ابن سعد و غيره فيما يرتبط بقتل سيد شباب اهل الجنة عليه السلام، قال هشام: عن عوانة قال: قال عبيد الله بن زياد لعمر بن سعد بعددع.

ص: 98

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 58. الكامل ج 3 ص 298. لا يخفي ان مثل هذه الاقوال انما تصدر من امثال هؤلاء الارجاس كيزيد و عمر بن سعد و شيبث و غيرهم، لا تدل بحال من الاحوال علي توبتهم و ندمهم علي قتل الحسين عليه السلام بل هي دليل علي شدة اعتراض المسلمين عليهم و تنفرهم من عملهم، فارادوا بذلك تهدئة مشاعر الناس ضدهم. ان يزيداً رأي ان قتل الحسين عليه السلام قد اثر حتي في داخل بيته و نسائه فاعترضن عليه، و أحسّ بخطر الانقلاب عليه من كل طبقات المجتمع حتي المجتمع الشامي الحاقده علي اهل البيت. و كيف نحكم بندم يزيد و هو الذي اكرم عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام و كافأه و قرّبه بدلاً من توبيخه و عزله و معاقبته، فكيف يصح القول ان يزيد برئ من دم الحسين عليه السلام؟! أبداً، و كما ورد في خطبة عقيلة الهاشميين التاريخية الشريفة حين ذكرت ان يزيد كان فرحاناً مسروراً شامتاً بقتل الحسين عليه السلام انتقاماً لاشياخه المشركين في بدر. و هذا عمر بن سعد، فمضافاً الي انه صار معرض ذم المسلمين و انكارهم له، و لم يصل الي ما كان يصبو اليه من حكومة الري، و لذا ندم علي ما قام به بعد خسارته ما من اجله قتل الحسين عليه السلام، و لكنه لو كان قد حصل علي ولاية الريّ و تمكن من قمع معارضييه و الناقلين عليه لقتله سيد شباب اهل الجنة، لما كان قال ما قال من مظاهر الندم، و لما توانا و تباطى عن القيام بامثال ما قام به في كربلاء، لو أمر به ثانياً و ثالثاً و رابعاً، و بكل ميل و رغبة. إذن، ما ورد من هذه الاقوال و الخطب انما هي لاستغفال المسلمين و امتصاص ندمتهم و التخفيف من وطأة الحدث المريع.

قتله الحسين عليه السلام: يا عمر اين الكتاب الذي كتبتُ به اليك في قتل الحسين؟

قال: مَضَيْتُ لَامْرِكِ وَضَاعَ الْكِتَابَ! قال: لتجيني به. قال: ضاع! قال: والله لتجيني به. قال: ترك والله يقرأ علي عجائز قريش اعتذاراً اليهنّ بالمدينة، أما والله لقد نصحتك في الحسين نصيحةً لو نصحتها أبي سعد بن ابي وقاص كنتُ قد اديت حقه.

قال عثمان بن زياد اخو عبيد الله: صدقَ والله، لوددتُ أنه ليس من بني زياد رجلٌ إلا وفي أنفه خِزامةٌ الي يوم القيامة وأنَّ حُسيناً لم يُقتل. قال: فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله. (1) روي ابو مخنف: قال الناس لسنان بن أنس: قتلتَ الحسين عليه السلام بن علي و ابن فاطمة ابنة رسول الله صلي الله عليه وآله؟ قتلت اعظمَ العرب خطراً، جاء الي هؤلاء يريد ان يزيلهم عن ملكهم، فأت امراءك فاطلب ثوابك منهم، لو أعطوك بيوت أموالهم في قتل الحسين كان قليلاً.

فاقبل علي فرسه و كان شاعراً و كانت به لوثة (2) فاقبل حتي وقف علي باب فسطاط عمر ابن سعد ثم نادي باعلي صوته:

أُوَقِّرُ رِكَابِي فِضَّةً أَوْ ذَهَبًا

فقال عمر بن سعد: أشهدُ إنَّك لمجنون ما صححتَ قَطُّ، أدخلوه عليّ فلما دخل حَذَفَهُ بالقضيب ثمَّ قال: يا مجنون أنتكلم بهذا الكلام! أما والله لو سمعك ابن زياد.

ص: 99

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 660.

2- مسي من الجنون.

لضرب عُتْقَك. (1) ومع هذا التنبيه من عمر ابن سعد بسنان، نجد ان خولي بن يزيد حينما جاء الي عبيد الله بن زياد برأس الحسين، أنشد نفس هذه الابيات (2) وروي السبط بن الجوزي ان عمرو بن حريث و كان من خواص زياد وابنه عبيد الله قال لابن زياد:

قد بلغت حاجتك من هذا الرأس فهب لي ما القيت منه فقال: ما تصنع به؟ فقال اواريه. فقال: خذه. فجمعه في مطرف خز كان عليه و حمله إلي داره فغسله و طيبه و كفنه و دفنه عنده في داره و هي بالكوفة تُعرف بدار الخز، دار عمر بن حريث المخزومي. (3) و لا تَعَجَبْ لذلك حتي لو كان عمرو بن حريث في عداد حزب بني أمية و تحت إمرة عبيد الله بن زياد، لان أمثال هؤلاء كانوا يتقيدون بالدين - و لو ظاهراً مادام لا يعارض مصالحهم الدنيوية، فاذا وقعت المعارضة باعوا دينهم بدنياهم بل حتي بدنيا غيرهم، و امثال هؤلاء كثيرون حتي في زماننا. ان عمرو بن حريث كان يُقدس لحم رأس الحسين، و لعله كان يعتقد ان في ذلك بركة لبيته، و لكنه مع ذلك 0.

ص: 100

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 649.

2- اسد الغابة ج 2 ص 21. يقول ابن حجر في الصواعق: ان قاتل الحسين جاء الي ابن زياد و انشد: إملأ ركابي فضةً أو ذهباً فقد قتلتُ الملك المحجَّبَ و من يصلي القبليتين في الصَّبَاو خَيْرُهُم اذ يَذْكُرُونَ النَّسَّ با فغضب ابن زياد و قال له: اذا كنت تعلم ذلك فلماذا قتلته؟ ثم امر به فضربت عنقه. خسر الدنيا و الآخرة.

3- تذكرة الخواص ص 270.

كان يُعين قاتل الحسين عليه السلام!!

وفي زماننا يوجد بعض الناس يقدسون اهل البيت عليهم السلام و يظهرون المودة و الحب لهم، لكنهم يحاربون مبادئ و اهداف اهل البيت عليهم السلام، يبكون لأسر زينب و اخوات زينب من بنات الرسالة، لكنهم لا يكثرثون لستر نساءهم و حجابهنّ، و يتبركون بالقرآن و يباركون اولادهم بحمل القرآن و تعليقه علي صدورهم، و يتحرزون به عند سفرهم و لكنهم يخالفون احكام القرآن الكريم.

هذه هي الحقيقة المرة و هي ان هؤلاء لو كانوا في زمن يزيد لكانوا من جنده و لم يتوانوا عن سلّ سيوفهم في وجه الحسين عليه السلام و هؤلاء هم الذين وصفهم الحسين روجي فداه بقولهك

«الناس عبيد الدنيا و الدين لَعَقُّ علي السِّنِّهِمْ فاذا محصّوا بالبلاء قلّ الدّيانون.»

«أفّ لمثل هؤلاء المسلمين و أفّ لمثل إسلامهم!»

ص: 101

استقبل المسلمون في كل بلدانهم نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بلوعةٍ و تأسفٍ شديدين، فما من خبرٍ سمعهُ المسلمون باكثرُ أسأً و حُزناً من خبر قتل السبط الوحيد لخاتم النبيين و سيد المرسلين محمد صلي الله عليه و آله.

فصحيحٌ انَّ خبر هذه الواقعة الفجيعة لم يصل في البدء الي اسماع كل المسلمين - خاصة تلك المناطق التي كانت تصلها موجات الدعاية و الاعلام الاموي التي تبثها قنوات التضليل و وضع الاحاديث المختلقة مثل المناطق التي كانت السلطة الاموية تحكم السيطرة عليها و تضبط الاخبار الواصلة اليها و لكن بعد ذلك بايام و نظراً للدور الاعلامي المبرمج الذي لعبته قافلة الاساري من كربلاء الي الكوفة و الي الشام ثم الي المدينة، و الخطب التي سمعها الناس من بنات الرسالة و الإمام السجاد، و حركة انتقال المسافرين بين بلدان العالم الاسلامي آنذاك، بعد كل هذا وقف المسلمون علي قبح الجريمة التي اقترفتها الايادي الاموية، و عَمَّت موجة الغضب و التذمر و السخط علي يزيد و ولاته و عماله، اكثر المرافئ الإسلامية.

و لا- نبالغ إذا ما قلنا إن الظروف السياسية و الاجتماعية و الاخلاقية التي قتل فيها الحسين عليه السلام كانت الي درجة من الارهاب و الاستبداد بحيث لو انَّ نبياً من الانبياء كان قد قتل فيها، لم يكن ليصل نبأ مقتله بسرعة الي كل العالم الاسلامي و لم تكن له انعكاسات واسعة أكثر من انعكاس خبر قتل الحسين عليه السلام، فمأموروا السلطة الجائرة و مرتزقتهم و جوايسهم و وعاظ سلاطينهم و عملاؤهم كانوا قد ملاؤا

الافاق، يرفعون التقارير بكل صغيرة وكبيرة و جلاوزة الحكومة يُلقون القبض علي من يُظنُّ بانه مخالف لهم و يزجّون به في غياهب السجون و المطامير تحت اشدّ انواع التعذيب و التنكيل، و في مثل هذه الظروف كيف تتوقع انتشار نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في الآفاق بسرعة اكبر مما كانت عليه؟

لقد عَضَّ الصديق و العدو، العالم و الجاهل، الرجل و المرأة، علي أصابعهم دهشة و حيرة من هذه الجسارة علي الله و رسوله و هتك حرمة و تعجبوا من تلك القسوة و الوحشية التي مورست بحق ابن بنت رسول الله من قبل اتباع بني أمية في كربلاء.

فبعض الناس، مثل عبد الله بن عمر، لم يُصدِّق خبر إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام و جسارة هؤلاء الاشرار بساحة رسول الله صلي الله عليه و آله مع انه كان قد سمع بخبر إستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام في محرابه.

و الحق، أن قتل الحسين عليه السلام بتلك الطريقة و ذلك الاسلوب الوحشي و بتلك الخسة التي تصرّف بها قاتلوه، لازال الي اليوم مثاراً للاستغراب و الدهشة، إذ كيف يعقل مثل ذلك و لم يمض علي رحيل النبي محمد صلي الله عليه و آله الي المألّ الاعلي اكثر من خمسين سنة فقط إلاّ و قد انتشرت مبادؤه و تعاليمه و رسالته بسرعة عجيبةً الي اسماع كل العالم يومذاك، و إنّ الفتوحات الإسلامية كانت قد اتّسعت لتقتض مضاجع المشركين و عبدة الاوثان و السلاطين و الملوك و الاكاسرة، حتي وصل الإسلام الي آسيا الوسطي و افريقيا، و اعتنق سكان الكثير من بلدان العالم الإسلام و ازدادت يوماً بعد يوم محبة النبي في القلوب بسيرته الحسنة الشريفة و نبيل اخلاقه و صفاته.

ذلك النبي الذي فتح أمام قومه بل لكل البشرية أبواب الهداية و الرحمة و العزة و السعادة و الغني و الثروة و خير الدنيا و الآخرة، أنقدهم من الجهالة و

الفجور، وأخرجهم من الظلمات الي النور و من الموت الي الحياة و من الذلة و المهانة الي الشرف و الرفعة، لم يمض علي وفاته اكثر من خمسين سنة فقط، و اجتمع نفرٌ من الاشرار و المنافقين من أمته، و من الذين يشهدون بلسانهم بنبوته خمس مرات باليوم، من الذين اصبح الإسلام و منهج النبي السماوي، رأس مال عزّتهم و مجدهم و قدرتهم، اجتمعوا لارتكاب اكبر جناية في التاريخ الانساني، فقاموا بقتل ابن ذلك النبي و عزيزه و من يمثل الامتداد الطبيعي له في حياة المسلمين و عزّتهم و افتخارهم، و الذي كان مظهرًا لكل الكمالات الإنسانية، و الذي كان مجاهدًا في سبيل نجاة الامة، قتلوه في جملة من أهل بيته و أطفاله و عدة من اصحابه و هم خيرة أتاد الارض و قرآء القرآن، العبّاد و الزّهاد، معلموا الاخلاق الإنسانية الفاضلة العظام، و أدلة المجتمع في طريق السعادة، و نماذج صفاء و نقاء و طهارة ملائكة الرحمن في الارض، بعد أن حاصروهم في صحراء قاحلة، و منعوهم الماء المباح حتي للحيوانات، ثم قتلوهم بافجع طريقة عرفها التاريخ.

ألا يحق لنا و للجميع ان يستغربوا ذلك؟

اذ لم يكن من المتوقع أن تصل الخيانة و الوحشية و نكران الجميل و الطعن من الخلف الي هذه الدرجة من اللؤم و الخسة.

و لم يكن متوقعاً أن تسقط البشرية الي اسفل درجات الانحطاط الاخلاقي.

لقد كان الأمر مذهلاً للعقول و مُحيرًا للأفكار، خاصة و إنّ الكثير من قتلة الحسين عليه السلام كانوا قد كاتبوه و دَعَوْه و بايعوه، و كانوا علي يقين من علو قدره و مقامه و فضله بل كانوا يعرفون أنّه الاكثر فضلاً و إستحقاقاً من سائر البشر أجمع.

كان الأمر مذهلاً و مُحيرًا، و قد إنكشف اولئك الأشرار، المقتنعين بقناع الدين و الشرف و ظهروا علي حقيقتهم و كيف إنهم باعوا دينهم و باعوا شرفهم و باعوا

ضمائرهم بثمن بَخْس، وقد أقرّوا بأنفسهم بجنايتهم و خَسَّتْهم، فبقيت وصمة عارٍ في جبينهم الي يوم القيامة. لما سمع أبو عثمان عبد الرحمن الهندي، الذي اسلم زمن النبي و اشترك معه في عدة حروب، و صاحب سلمان الفارسي مدة اثني عشرة سنة و كان معروفاً بالعبادة و قراءة القرآن، عندها علم بذلك هجر الكوفة و قال:

لا أَسْكُنُ بَلَدًا قُتِلَ فِيهِ ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (1)

و روي ابن سعد إنَّ أُمَّ سَلْمَةَ - و التي كانت بعد خديجة عليها السلام نموذجاً للمرأة المسلمة لما بلغها قتل الحسين عليه السلام قالت متعجبةً:

«أوقد فعلوها؟ ملأ الله بيوتهم و قبورهم ناراً ثم بكت حتي غشي عليها. (2) و كان الحسن البصري يقول:

لو كنتُ مع قتلة الحسين عليه السلام أو مع من رضي بقتله، ما دخلتُ الجنة حياءً من رسول الله صلى الله عليه و آله و خوفاً من نظره اليّ بعين الغضب» (3) و حكى الزهري:

«لما بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين عليه السلام بكى و قال: لقد قتلوا فتية لو رأهم رسول الله صلى الله عليه و آله لأحبّهم و أطعمهم بيده و أجلسهم علي فخذه.» (4) و قال يحيى بن الحكم (5) لما اقبل وفد أهل الكوفة برأس الحسين و دخلوا مسجد دمشق قال لهم: كيف صنعتم؟ قالوا: ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً فأتيانام.

ص: 105

1- اسد الغابة ج 3 ص 325.

2- تذكرة الخواص ص 277.

3- نور الابصار ص 106. الاتحاف ص 24. و نقل مثل هذا الكلام عن ابراهيم النخعي.

4- تذكرة الخواص ص 278.

5- و هو اخو مروان بن الحكم، و مروان هو الذي رغب الوليد بقتل الحسين عليه السلام.

والله علي اخرهم وهذه الرؤوس و السبايا. فقال:

«حَجَبْتُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَنْ اجَامِعَكُمْ عَلِيٍّ أَمْرًا ابَدًا»

ثمَّ قام فانصرف.(1) ويحيي هذا هو الذي انشد تلك الايات المعروفة في مجلس يزيد.

قال ابو مخنف: حدثني ابو جعفر العبسي عن ابي عمارة العبسي قال: فقال يحيي بن الحكم اخو مروان بن الحكم:

لَهُمْ بِجَنبِ الطِّفِّ اَدْنَى قَرَابَةٍ

فقال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيي بن الحكم وقال: إسكُتْ.(2) وأمثال يحيي بن الحكم كثيرون في حاشية بني امية و مقرييهم، وقد هزَّئُهُمْ فاجعة كربلاء و لم يكفوا السننهم عن ذم قتلة الحسين عليه السلام و لم يسكتوا علي العار الذي لحق بهم جرّاء ارتكاب بني امية و اعوانهم، بل حتي حريم القصر و نساء يزيد، علّت صيحاتهنّ و صراخهن و بكائهن علي الحسين عليه السلام كما اشرنا سابقاً، و لا عجب في ذلك، فان من حَمَل ذرّة من الإسلام، و شمّ قليلاً من رائحة الدين، لا يتحمل السكوت عن مثل هذه الجريمة البشعة بقتل أولاد النبيين و أسر نسائهم، دون أن يصبّ جام لعنته علي مقترفيها.ت.

ص: 106

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 658.

2- الطبري ج 4 ص 654-655، طبعة بيروت.

«لقد اختار الحسين الميثة الكريمة علي الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، وأخزي قاتل الحسين، فلعمري لقد كان من خلافهم إياه و عصيانهم ما كان في مثله واعظ وناهٍ عنهم، ولكنه ما هم نازل، وإذا أراد الله أمراً لن يُدفع. أفبعد الحسين عليه السلام نظمثن الي هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ لا، ولا نراهم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوا طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، احق بما هم فيه منهم وأولي به في الدين والفضل، أما والله ما كان يُبدل بالقران الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تلابب الصيد يعرض بيزيد فسوف يلقون غياً» (1) وقال ابن عباس: رأيت النبي فيما يري النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، قلت: بابي وأمي أنت يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هذا دم الحسين لم أزل التقطه» فلما استيقظت وجدته قد قُتل في ذلك النهار. (2) وقال الزهري:

لمابلغ الحسن البصري قتل الحسين عليه السلام بكى حتى اختلج صدغاه، ثم قال:

واذلة قتلة ابن بنت نبيها ابن دعيها، والله ليردن رأس الحسين الي جسده ثم لينتقم له جدّه وأبوه من ابن مرجانة. (3) وروي أنّ زوجة كعب بن جابر الذي قتل برير عليه السلام قالت له: نصرت قتلة الحسين ابن فاطمة وقتلت برير سيد القراء! والله لا اكملك من راسي كلمة بعد.

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 667-668.

2- الاصابة ج 1 ص 335-1724. الاستيعاب ج 1 ص 381. الاتحاف ص 12.

3- تذكرة الخواص ص 278.

اليوم. (1) لقد كان قتل الحسين عليه السلام ثقيلاً جداً علي وجدان الناس و نفوسهم الي درجة إنَّ نفس قتلة الحسين الذين حضروا كربلاء من أجل الغنائم و طمعاً بالمناصب و الدراهم، و علي الرغم من تعلقهم الكبير بحفظ مناصبهم في اجهزة الدولة و مؤسسات الحكم الاموي، لم يتمكنوا من إخفاء عظم الجرم الذي ارتكبه، فكانوا يستشعرون خستهم و قبح ما ارتكبه و من هنا نجد الواحد منهم يحاول جاهداً القاء اللوم علي الاخرين و التبرئ من فداحة الجريمة التي اقترفوها.

يقول الشبراوي:

و لما ضعف جسم الإمام الحسين عن النهضة بالجراحات حمد الله تعالي و أثني عليه ثم قال: «اللهم اني اشكو اليك ما يُصنع بابن بنت نبيك اللهم احصهم عددا و اقتلهم مددا و لا تبق منهم أحداً». و اقبل شمر في نحو عشرة الي منزل السيد الحسين و حالوا بينه و بين رحله و قدموا عليه و هو يحمل عليهم و قد بقي في ثلاث نفر من أصحابه و مكث طويلا من النهار و لو شأوا أن يقتلوه لقتلوه و لكنهم كان يتقي بعضهم ببعض و يحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادي شمر في الناس و يحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك التميمي بكفه اليسري فصار يقوم و يكبو بقوة جاش و ثبات جنان و فضل شجاعة و عدم مبالاة بما فيه من الجراح بشهامة قرشية و عزة هاشمية غير مكترث ذلك الاسد الوثاب بنهش تلك الكلاب غير أنَّ الاقدار الازلية و الحكمة الالهية اقتضت اظهار هذا الخطب الجسيم و الصدع العظيم تنبيها علي حقارة هذه0.

ص: 108

الدار وأنها إنما خلقت مطبوعة علي الاكدار و ليتأسي بهذه المصيبة المصابون و ينال هذا الإمام مقام الشهادة الذي يتنافس فيه المتنافسون و الا فمن أكرم علي الله سبحانه من بضعة حبيبة المجتبي و سبط الرسول المصطفى صلي الله عليه و آله و من المعلوم قدرته سبحانه علي نصره علي أعدائه و كف أسلحتهم عنه و دفع ضررهم و شرهم

«لَكِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَ لَا يُسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ» (1)(2)

لقد كان وقع المأساة عظيماً الي درجة لفت الحزن بها كل العالم الاسلامي، اذ أن موت عالمٍ روحاني مُتحرق الي هداية المجتمع، مجاهدٍ في تربية النفوس و تهذيب الارواح و تكميلها و تعليم الاخلاق الفاضلة، لمقرحٌ للجنون و مسبلٌ للعيون.

وإنَّ فقدان مرجع ديني و زعيمٍ روحي لمحرقٍ للقلوب أساً و حزناً، فكيف بفقدان الحسين عليه السلام؟!

وكلنا شاهدنا كيف إن ارتحال الزعيم الكبير و المجاهد، استاذنا المعظم آية الله السيد البروجردي قرس سره، قد هزَّ العالم الإسلامي و عمَّ الحزن و المآتم انحاء البلاد، فكيف بقتل ابن فاطمة الزهراء بنت محمد صلي الله عليه و آله؟!

فللوقوف علي عظم مأساة و مصيبة الحسين عليه السلام و ما تركته من أثر و حزن و انعكاس في اعماق الناس و أنفسهم، لا بد من التوسل بالمقايسة بفقد هؤلاء العلماء، و الاستعانة بهذا الميزان مع الاحتفاظ بالفارق الكبير و البون الشاسع بين القضيتين.

فاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام و أولاده و إخوته و ابناء اخوته و أبناء أخواته، و كلهم من أبناء بيت النبوة، و جواهر بحر الهداية و التقى، لا يقاس أبداً.

ص: 109

بموت عالم عاش حياته علي بركات مائدة آل محمد، خاصة إنَّ قتل الحسين عليه السلام لم يكن قتلاً مماثلاً لما عليه القتل في الحروب، و
أنما قُتل الحسين و اطفاله عَطاشي مُنعوا حتي من الماء المباح للحيوانات.

و إستشهاد الحسين عليه السلام كان مقترباً بقتل و ذبح الاطفال الرضّع بابشع و أخسّ اساليب القتل!!

و إستشهاد الحسين عليه السلام كان مقترباً بجريان خيل الضلال علي صدره الشريف!!

و إستشهاد الحسين عليه السلام التوأم مع سلب ملابسه و ثيابه و قطع رأسه و اصبعه!!!

و إستشهاد الحسين عليه السلام تبعه الغارة علي أخبية بنات محمد و علي و فاطمة و سلب النساء و البنات حليهن و أقراطهن بقسوة و
وحشية!!

و إستشهاد الحسين عليه السلام المتعقب باسر مخدرات الوحي و عقائل النبوة، و هتك ستور حرم العصمة و الجلالة.

أجل، لا يمكن قياس ايّ واحدة من هذه المصائب بالمقياس العادي كفقدها عالم كبير أو مرجع، بل تعجز كل المقاييس عن بيان فداحة هذا
المصائب الجلل، و تبقي كل الموازين صغيرة محدودة تضيق عن كشف ثقل هذه الحادثة الاليمة بابعادها الكاملة.

فمن الواضح إنَّ انعكاسات مثل هذه المصائب تهيج طوفاناً من الاسي و الحزن يعتصر القلوب و الارواح، و لا يهدأ أبداً بمرور السنين و
الدهور و الاعصار.

و من ثمَّ حاول يزيد و اكثر المشتركين بهذه الجريمة جاهدين من أجل إثبات براءتهم في المحاكمة الكبيرة التي اقيمت في محكمة وجدان
المسلمين بل عموم الناس

التي حكمت علي كل قتل الحسين عليه السلام و الذين ظلموا اهل البيت عليهم السلام بالعار و الشنار و الارتداد و الخروج عن ربة الإسلام بل الإنسانية.

ان يزيد الذي كان منتشياً بنشوة النصر الظاهري، و الذي أمر بنفسه باحضار عقائل النبوة اساري الي دمشق، و الذي لم يلو جهداً في ايدائهم و اذلالهم في مجلسه و ترثم بتلك الاشعار الكافرة علناً، و كشف عن اسارية الخبيثة الجاهلية، يزيد هذا و عندما احس بانقلاب السحر علي الساحر و شعر بانعكاس الجريمة الخطيرة و التي ظهرت حتي في غرف حريمه و مخادعه، و عندما صكت مسامعه خطبة العقيلة زينب و خطبة الإمام السجاد عليه السلام في مسجد الشام، و رأي بام عينيه اعتراضات اقرب الناس اليه و اشد هم عناداً لآل محمد، أراد أن يستدرك الموقف، فلجأ الي النعمان بن بشير و اليه الذي عزلهُ عن الكوفة لرفقه بدعاة الحسين عليه السلام، و أمرهُ ان يسير بآل الحسين الي المدينة و يجهزهم بما يصلحهم و قيل انه ودّع زين العابدين و قال له:

«لَعَنَ اللهُ ابنَ مرْجَانَةَ... أما و اللهُ لو أتيتُ صاحبَ أبيك ما سألتني خصلةً أبداً إلا أعطيتُهُ إيَّاهَا و لدفعتُ الحتفَ عنه بكلِّ ما إستطعت و لو بهلاكِ بعضِ وُلدي و لكنَّ اللهُ قضى ما رأيت يا بُني!! كاتبي من المدينة و انه الي كل حاجة تكون لك»(1)

و لم يكن بتقديرنا يزيد نادماً أبداً من قتل الإمام الحسين عليه السلام، اذ لم يكن يزيد يُعيرُ ايَّ اهتمامٍ للفضائل و القيم و لا يقيم لها وزناً في قبال الملك و السلطنة، بل كان مسرور جذلان بالانتقام من رسول الله محمد بما فعله يوم بدر و الاحزاب، و لولا انه خاف الفتنة لأمر بقتل البقية الباقية من آل محمد صلي الله عليه و آله و ان كانوا نساءً و اطفالاً،2.

ص: 111

كما فعل باهل المدينة في واقعة الحرّة.

و الثابت الذي لا جدال فيه، أنّ يزيداً لم يعاقب احداً من ولاته كبر او صغر علي شي مما اقترفوه في فاجعة كربلاء، بل أنّه و كما قلنا سابقا و كما سيتضح لنا اكثر فاكثر لاحقاً، حَبِيّ ابنَ زيادٍ و كَرَمه و جازاه و قَرَبَهُ، و لكن يزيد قال ما قال لزين العابدين، مكرّاً و رياءً و خوفاً من نقمة الناس عليه، و لانه احسّ بخطأ حُطِّطِهِ و فشلها.

لقد ظنَّ يزيد و ابنُ زياد أنّه بعد أن يقتل الحسين عليه السلام و يُوطئ الخيل صدره يستطيع أن يخدع الناس باضفاء صبغة شرعية قانونية علي عمله بادعاء خروج الحسين عليه السلام علي خليفة وقته و شقَّ عصا المسلمين، أو أنّ بإمكانه كمّ الاخواه التي يُحتمل إعتراضها، بالمال و الرُّشا، أو إحكام قبضة الحديد و النار علي من لا تنفع معهم تلك الاساليب باجمعها، و انه سيتوسل بقطع الايدي و جذع الانوف و الآذان، كما فعل معاوية ابن ابي سفيان مع شيعة علي عليه السلام حيث تتبعهم تحت كل حجر و مدرٍ، و اعلن البراءة ممّن تولي ابا تراب، و أمر خطباء جمعته بسبّ علي عليه السلام علي المنابر، هكذا كان يظن يزيد، و لكن كل الحسابات كانت مغلوطة و لم تؤت ثمارها حتي لفترة قصيرة، لان اعتراض الناس بدأ منذ اليوم الاول من قضية كربلاء، و لم تستطع مجزرتة بالمدينة من تلافِي سلبات ما اقترفته يداه الاثيمتان في كربلاء و محو آثارها في قلوب المسلمين.

إنّ مظلومية الحسين عليه السلام قد تجلّت الي درجة ان قتلته أنفسهم كانوا يشعرون بالخزي و العار بقية حياتهم.

يقول الدكتور العقاد:

و ركب اناساً منهم الفزع الدائم بقية حياته لانهم عرفوا الاثم فيما اقترفوه

ص: 112

عرفاناً لا تسعهم المغالطة فيه، و من هؤلاء رجل من بني أبان بن دارم كان يقول:

قتلت شاباً أمرد مع الحسين عليه السلام بين عينيه أثر السجود. فما نمتُ ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها، فأصبح فما يبقى احدٌ في الحيِّ إلا سمع صياحي.

ورأى هذا الرجلَ صاحباً له بعد حين وقد تغيَّر وجهه و اسود لونه فقال له:

«ما كدت اعرفك» و كان يعرفه جميلاً شديد البياض (1)8.

ص: 113

1- ابو الشهداء ص 138.

مكانة الحسين عليه السلام عند الصحابة و التابعين

من بالغ حبَّ الرسول الاكرم صلي الله عليه وآله و عطفه الكبير علي الحسين عليه السلام و من كثرة الاحاديث الواردة عنه صلوات الله عليه في خصوص مناقب و فضائل الحسين عليه السلام و التي اصبحت ورد لسان المسلمين و زينة محافلهم و مجالسهم و اجتماعاتهم، و من اقرية الحسن و الحسين عليها السلام الي رسول الله صلي الله عليه وآله، و من كل الخصال الحميدة في الحسين عليه السلام و التي جعلته محبباً للجميع، من كل ذلك، يعلم مدي تجليل و احترام الحسين من قبل عامة المسلمين.

و مما ساعد المسلمين علي الصبر علي فقدان النبي الاكرم، وجود علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و من هنا كان هؤلاء الاربعة و هم تذكاري النبي صلي الله عليه وآله، مورد احترام و تبجيل المسلمين و محور تمرکز احساسهم و عواطفهم، فكانوا عليهم السلام المرهم الشافي لجروح القلوب المفجوعة بفراق رسول الله صلي الله عليه وآله المخفف عن احزانهم و آلامهم.

و لكن كما نعلم ان فاطمة عليها السلام لم تمكث بعد رسول الله الا فترة قصيرة و التحقت بأبيها و ارتاحت من امواج الغم و الحزن و المصائب العاتية.

و بقي علي و الحسنان عليهم السلام مركز تجلّي احساس المسلمين و عواطفهم الجياشة في رسول الله رسول الله صلي الله عليه وآله، فمن كان محبباً لمحمد، كان ملؤ قلبه الحبّ للحسنين، فهما تذكاري رسول الله و احترامهما إحترام النبي صلي الله عليه وآله، و كان الناس يتذكرون رسول الله كلما نظروا الي الحسن و الحسين عليهما السلام.

و لا نبالغ اذا ما قلنا بان هاذين الطفلين كانا اعظم مالك لقلوب رجال و نساء المسلمين بعد النبي صلي الله عليه و آله و أنّ المدينة كانت تحتفظ بثقلها الروحي الذي كانت عليه ايام رسول الله صلي الله عليه و آله.

فاذا جاء الحسنان الي المسجد، كأن رسول الله قد جاء، و اذ حضرا محفلاً ذكّر وجودهما الناس بالنبي محمد، و كانت تظهر علي وجوه الناس ملامح البشر و السرور و الطمأنينة بوجودهما الحاكي عن وجود المصطفى صلي الله عليه و آله.

و من لم يتل من الناس إفتخار صحبته النبي، كان يُعزّي نفسه بصحبته للحسين و هما ذكري النبي صلي الله عليه و آله، فكان الجميع يجلسون اليهما و يسمعون منهما و يتبركون ببركتهما و كانت كل القلوب - الألوب المنافقين شرق و غرب العالم الإسلامي مفعمة بحب و كدي رسول الإنسانية، بل إنّ بعض أهل النفاق و مبغضي أهل البيت، و لكي يخدعوا العوام و من اجل الحفاظ علي مصالحهم السياسية، كانوا يظهرن الودّ للحسين عليهما السلام.

و كان وُدّ المسلمين للحسين كبيراً الي درجة أنّ البعض ظن بانّ المسلمين كانوا يحبونهما اكثر من ابيهما علي ابن ابي طالب عليه السلام و ها هو الاحنف ابن قيس يقف أمام معاوية في المجلس الذي أقامه معاوية لأخذ البيعة لابنه يزيد، و لم يتجرأ أحد علي الاعتراض عليه، فقال له الأحنف:

أنت أعلمنا بليله و نهاره و بسرّه و علانيته فان كنت تعلم انه شرّ لك فلا تزوده الدنيا و انت صائر الي الآخرة فانه ليس لك من الآخرة الآ ما طاب و اعلم أنه لا حجة لك عند الله إن قدّمت يزيد علي الحسن و الحسين و أنت تعلم من هما و الي ما هما و إنما علينا ان نقول سمعنا و أطعنا ربنا و اليك المصير. (1)9.

ص: 115

وقد يكون الأمر كذلك، فخواص الصحابة امثال عمّار وقيس بن سعد الانصاري و امثالهم ممن ادرك عهد النبي وعرف ايثار وفداء ومقام علي ابن ابي طالب، كانوا اكثر تعلقاً بعلي عليه السلام، لكنّ محبة الحسن والحسين وبملاحظة انهما ريحانتا رسول الله و ثمرة فؤاد فاطمة الزهراء، كانت قد ملأت القلوب والنفوس، وكانوا يعتبرونهما منبع الكرامات والبركات، فهما تذكارا رسول الله ولا شك في ان كل مسلم يُحِبُّ تذكّار النبي صلي الله عليه وآله.

يقول الاستاذ العقاد:

وقد عاش الحسين سبعاً وخمسين سنة بالحساب الهجري وله من الاعداء، من يصدقون و من يكذبون، فلم يَعْبَهُ احد منهم بمعايِبِهِ ولم يملك احد منهم ان ينكر ما ذاع من فضله، حتي حار معاوية بعيبه حين استعظم جلساؤه خطاب الحسين له، واقترحوا عليه أن يكتب اليه بما بصغره في نفسه، فقال: إنه كان يجد ما يقوله في عليّ ولكن لا يجد ما يقوله في حسين»(1).

وبعد استهشاد الإمام الحسن عليه السلام ازدادت محبة الحسين عليه السلام في القلوب، وكبُر اشتياق الناس الي رؤيته وزيارته، ولا مبالغة في قول: انّ كل محبتهم للرسول وعلي و فاطمة والحسن قد اضيفت الي حبّهم للحسين عليه السلام.

ويمكن تقريب هذا المعني بضرب مثل رجلٍ له خمس اولاد مميزين، نوابغ وابتلي بفراق موت اربعة منهم واحداً بعد الآخر، فمثل هذا الشخص سياتركز حبّهن.

ص: 116

1- ابو الشهداء ص 34. وكان معاوية يقصد انه كان يملك حيلة في إضلال الناس بالافتراء علي امير المؤمنين بدم عثمان لمشاركته أو سكوته عن قتلته مع ان معاوية كان يعلم ببراءة علي من ذلك، الاّ انه اراد ان يشعل نار الفتنة، مثله مثل طلحة والزبير وعائشة الذين كانوا المحرك الاصلي لقتل عثمان.

للخامس و يتأكد حفاظاً عليه و اعتزازاً به و فرقاً من فراقه، فتراه دائم الانشغال به مهتماً برعايته ساهراً علي خدمته، فاذا ما قُدر ان ابتلي بفراقه هو الآخر، كانت مصيبتة أعظم المصائب عنده.

يقول العقاد:

و لقد كان الحسين بن علي بهذه المزيّة (النسب الشريف) أحبّ انسانٍ الي قلوب السلمين و أجدر انسانٍ أن تنعطف اليه القلوب. (1) و كان مجلس الحسين من أفضل مجالس العلم و التفسير في مسجد النبي صلي الله عليه و آله و كان الكل يفتخرون بالحضور عنده، و كما اعترف معاوية بذلك.

و قد نقل ابن كثير أنه لما ورد الحسين عليه السلام و ابن الزبير الي مكة و اقاما فيها، لازم الناس الحسين بن علي و لم يفارقوه و كانوا يردون عليه افواجاً افواجاً و يجلسون حوله و يستمعون اليه. (2) و قد نقل الواقدي و الذهبي في تاريخ الإسلام في اخبار مقتل الحسين عليه السلام، حديثاً عن ابي عون - و روي نظيره في تاريخ النبي الاعظم صلي الله عليه و آله - يدل علي ايمان الناس و اعتقادهم الكبير بمقام الإمام الحسين الروحي و انه مظهر كمالات جدّه رسول الله صلي الله عليه و آله.

و الحديث هو: خرج الحسين عليه السلام من المدينة فمرّ بابن مطيع و هو يحفر بئر، فقال أين فداك أبي و أمي؟ متعنا بنفسك و لا تسر، فأبي حسين عليه السلام فقال إن بئري هذه رشحتها، و هذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو، فلو دعوت لنا فيها بالبركة، قال هات من مائها، فأتي به في الدلو فشرّب منه ثم مضمض ثم رده في البئر. (3)3.

ص: 117

1- ابو الشهداء ص 52.

2- سمو المعني في سمو الذات ص 139.

3- سمو المعني في سمو الذات ص 140. تاريخ ابن عساکر ج 4 ص 323.

يقول الاستاذ العلايلي: ومما لا اختلاف فيه بين الرواة أن الحسين عليه السلام كان محبباً الي كل نفس، مصطفيً بين كل قبيل. وزادت به جاذبيته إلي الناس، أنهم غدوا يقدسونه تقديساً وينظرون إليه بالنظر الذي هو فوق اعتبارات الناس. (1) ومن جملة ملامح خضوع الناس لشخصية الإمام الحسين عليه السلام هو تواضع عبد الله بن عباس له، فابن عباس من بني هاشم وهو ابن عمّ النبي و من رجالات الإسلام وهو أكبر سناً من الحسين عليه السلام ومشهور بالعلم والمعرفة بين الناس و من الرواة المعروفين و حملة حديث النبي صلي الله عليه وآله و كان ابو بكر وعمر يقيمان له وزناً أبان خلافتهما، وكان عمر يشاوره في كثير من الامور، وفي زمن خلافة امير المؤمنين عليه السلام كان من كبار صحابة علي و تلامذته، و مع كل ذلك، و كما يقول ابن سعد في الطبقات: إن ابن عباس كان يُمسك بزمام راحلة الحسن و الحسين عليهما السلام ليركبا و كان يقول:

«هُمَا ابْنَا رَسُولِ اللَّهِ» (2)

و كان عمر ابن الخطاب يلتزم باظهار الاحترام و تعظيم مقام الحسين عليه السلام و كان يقول له:

«إِنَّمَا أُتِبْتُ فِي مَا تَرَى فِي رُؤُوسِنَا اللَّهُ ثُمَّ أَنْتُمْ» (3)

اي إنَّ كلَّ ما لدينا من عِزَّة و فخر و دين و دنيا هو ببركة الله و بركتكم.

و كان عبد الله بن عمر جالساً في ظل الكعبة فقدم ابو عبد الله الحسين عليه السلام فقال ابن عمر: 3.

ص: 118

1- سمو المعني، ص 139.

2- تذكرة الخواص ص 245.

3- الاصابة ج 1 ص 333-1724. اسعاف الراغبين ص 183.

«هذا أحبُّ أهل الأرض إلي أهل السماء اليوم»(1)

وكان أبو بكر يحاول التشبه برسول الله صلى الله عليه وآله فكان يُركب الحسن والحسين علي كتفيه.(2) وكان ابو هريرة يطلب من الحسين عليه السلام ان يسمح له بتقبيل سُرّته.(3) وكان الحسن البصري يقول: الحسين سيّد زاهدٌ صالحٌ يحب الخير للمسلمين حسن الخلق»(4) وخطب عبدالله بن الزبير في المسجد الحرام بعد مقتل الحسين عليه السلام فقال:

لقد اختار الحسين الميثة الكريمة علي الحياة الذميمة، فرحم الله حسيناً، واخزي قاتل الحسين، فلعمري لقد كان من خلافهم إياه و عصيانهما ما كان في مثله واعظ وناهٍ عنهم، ولكنه ما همّ نازل، و اذا اراد الله أمراً لن يندفع. أفبعد الحسين عليه السلام نطمئن الي هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ لا، ولا نراهم لذلك أهلاً، أما والله لقد قتلوا طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، احقّ بما هم فيه منهم وأولي به في الدين والفضل، أما والله ما كان يُبدّل بالقران الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تلاب الصيد يعرض بيزيد «فَتَلَوْهُ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلِي الظالمين».(5)8.

ص: 119

-
- 1- الاصابة ج 1 ص 1724-333.
 - 2- مقتل الخوارزمي، ص 93 ف 6.
 - 3- مقتل الخوارزمي، ص 93 ف 7.
 - 4- مقتل الخوارزمي ص 153.
 - 5- تاريخ الطبري ج 4 ص 667-668. تذكرة الخواص ص 288.

لا- شكَّ في أنَّ قيمة المرء، في علمه و كماله و فضائله و كريم خلقه. فافراد البشر مهما تفاوتت أوصافهم الجسمية و العرقية و تمايزوا ببلدانهم و ملابسهم و مالهم و مقامهم و سائر العوارض الاخرى الا ان كلَّ ذلك لا يفضل بعضهم علي بعض، و الأمر الوحيد الذي يمايزهم هو الكمالات الروحية و الاخلاق الحميدة و المآثر الجميلة. و بعبارة، ان فضيلة الإنسان ليست في الاستمتاع باللذائذ الحيوانية و الاتصاف بما يشترك به مع سائر الحيوانات و البهائم، و انما كمال الإنسان بالاتصاف بما يميزه عن الحيوانات، و كلما تعمق اتصافه بهذه الفوارق، ازداد تمايزاً و ابتعاداً عن عالم البهائم و اقترب الي الإنسانية و تجلّت فيه صفات البشر.

فكثيرٌ من الناس صورهم صور البشر، لكنهم لازلوا يراوحون في الحيوانية، و البعض يطوي الفاصلة بين الحيوانية المحضنة و الإنسانية الكاملة و يتوقف في نقطة في منتصف الطريق، و بعضهم الآخر يطوي تلك الفاصلة كاملة فيصل الي حدّ الكمال التام.

و العلوم و المعارف و الاخلاقيات الحميدة، هي كواشف عن مقدار المسافة التي اجتازها هذا الفرد او ذاك في هذا الطريق، و تجلُّ للمرحلة التي توقف عندها أو وصلها.

فالإنسان بفطرته يمتاز بحب الاخلاق الحميدة، و يُحبُّ ذوي المكارم و الفضل و يتأثر بالمشاهد الاخلاقية و صور القيم الرائعة.

وعلي مرّ العصور، كانت العدالة و طهارة النفس، الامانة، الصدق، الاستقامة، الثبات، الشجاعة، الصراحة، الصبر، الحلم الوفاء بالعهد، التواضع، الرحمة، الاحسان، الايثار، الفداء، والرغبة في التحرر من الظلم، و خدمة البشرية من الامور المحبّبة و الممدوحة عند الإنسان و مهما تغيرت الظروف الحياتية و تبدل شكل الحياة و تنوعت ظواهر العيش، إلا أن احساس البشر و تفاعلهم مع هذه الاخلاقيات، بقي ثابتاً صامداً لا يعتريه التغيير، لانه امرٌ فطري و في المقابل، تنفر الطباع البشرية عن رذائل الصفات كالحسد، التكبر، النفاق، الكذب، الظلم، الخيانة، الحقد، الغرور و الخيلاء.

و علمُ الاخلاق و التربية أنشأ علي اساس هذا الافراز الفطري و الادراك الباطني.

و مطالعة التحقيقات العلمية لعلماء الاخلاق و معرفة النفس، ضرورية لسائرين في طريق تهذيب النفوس و تربيتها للتعرف علي فوائد و مضار الاخلاق الحميدة و اضدادها.

وقد عني الإسلام و هو آخر الاديان السماوية الالهية، بهذه الجهة فكانت برامجه التربوية و الاخلاقية، اكمل و اتمّ البرامج المعروفة منذ بدء الخليقة و الي يوم الناس هذا. فمضافاً الي تضمّن قسم كبير من الاحكام التكليفية و الوضعية، للمفاهيم الاخلاقية التي تساهم في تربية و تهذيب النفوس، كما في باب العبادات و المعاملات و التكاليف اليومية، كذلك وضع القرآن و المنهج الإسلامي برنامجاً تربوياً مستقلاً لاصلاح الارواح و تركيتها، لايصالها الي الكمال.

وقد كتب العلماء و الفلاسفة المسلمون، اقتباساً من التعاليم الاخلاقية للإسلام، أفضل الكتب في علم الاخلاق، و لقاء نظرة خاطفة علي أدبيات العرب و

العجم، يكشف لنا بوضوح صحة هذه الدعوي.

وكلمات نبي الإسلام العظيم الجامعة، وخطب امير المؤمنين و كلماته القصار، و ما نُقل عن ائمة اهل البيت عليهم السلام و محامد اخلاقهم و كرائم صفاتهم و جميل سيرتهم، كلها أسناد فخر للمسلمين و ادلة حية علي كمال المنهج التربوي للاسلام.

كما إنَّ ميزان اهتمام الدين الاسلامي الحنيف بنشر الاخلاق و المكارم يتجلي اكثر فاكثر من خلال التشويق و الترغيب بالثواب و الأجر الجزيل لكل واحدة من تلك الصفات الكريمة الاثثة الذكر.

و في سورة آل عمران، الآية 164، و سورة الجمعة الآية 2، لخصت برامج عمل النبي صلي الله عليه و آله التربية في ثلاث امور هي:

1 - تلاوة الايات القرآنية.

2 - تزكية و تربية النفوس.

3 - تعليم الكتاب و الحكمة.

و قول النبي صلي الله عليه و آله معروف و مشهور:

«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» (1)هـ.

ص: 122

1- و مما يؤسف له، ان المسلمين اليوم يتخبطون في المفسدات الاخلاقية و الانحرافات الروحية مع امتلاكهم لهذه الثروة العظيمة الغنية من المعارف الاخلاقية و البرامج التربوية السماوية، فتراهم يُقلدون الغرب المسيحي الكافر، الفاقد لكل القيم المعنوية، و يتجرّدون عن كرائم الاداب و الخلق الايماني الرفيع الذي كان فخراً للامم الإسلامية، و يتمصون ثوب الابتذال و الميوعة و التبرج و التحلل و الاختلاط الجنسي و الشذوذ و السكر و المجون و القمار و اللهو، و يعملون علي ترويح هذه الصفات و الاخلاقيات الرذيلة في مجلاتهم و صحفهم و مطبوعاتهم، و ينشرون الصور الخليعة و يخرجون الافلام الماجنة المفسدة التي تابأها النفس الكريمة بل و حتي بعض الحيوانات و البهائم التي تستر في مثل تلك الحالات عن الناظرين. مع ان استقلال و كرامة و عزة كلّ امة من الامم انما هو في الاحتفاظ بعاداتها و تقاليدها و اخلاقياتها و آدابها، فاذا ما ذابت عاداتها و تقاليدها و مكارم اخلاقها في الثقافات الاخرى، لم يَعدْ لهذه الامّة ايّ مقدار و لا رصيد و صارت امة هشة رخيصة تتقاذفها امواج الثقافات الاخرى و تلعب بها رياح المناهج التربوية الفاسدة، فتذوب هويّتها و شخصيّتها و عنوانها في العناوين الاخرى، فلم يَعدْ لها وجود مستقل كسائر الامم الاخرى. و كما يقول العلماء و المفكرون و المختصون في علم الاجتماع، فان ضعف الامّة الإسلامية اليوم و خمولها و تطفلها علي المجتمعات الاخرى ليس ناشئاً عن ضعف و ندرة البرامج التربوية الإسلامية، اذ لا توجد تعاليم و مناهج اكثر دقة و ثباتاً و واقعية من المناهج التربوية للاسلام، و انما السبب كل السبب هو عدم الالتزام بتلك المناهج و التمرد عليها و عدم الامتثال للاحكام الشرعية الإسلامية، و الجهل بالمعارف و البرامج التربوية، و الكسل في طلب العلوم حتي الاكاديمية و الطبيعية منها، و عدم الجدّ في كسب الخبرات التجريبية و الصناعية. فعلي المسلمين ان يشمروا عن سواعدهم لتطوير صناعاتهم و الاستفادة من العلوم الحديثة و النهضة التكنولوجية للوصول الي الاكتفاء الذاتي و التخلص من سيطرة و هيمنة الاجانب، و الاستفادة من الاموال الطائلة التي تصرف في تقليد الاجانب و عاداتهم القبيحة و صرف تلك الاموال في المشاريع الانمائية و الاعمار و

الصناعة والتطور، لكي يخطو العالم الإسلامي خطوات سريعة في عالم الرقيّ والتطور من جهة، و حفظ هويته الإسلامية و المحافظة علي شبابه من الانحراف الاخلاقي و آفات المدنية الكاذبة من جهة اخري. و ليت هؤلاء المتأثرين بالثقافة الغربية البراقة الكاذبة، رجعوا الي مطالعة و قراءة الكتب التربوية الإسلامية، بل ليتهم قرأوا كتب علماء الغرب أنفسهم بدقة و استفادوا من المفيد منها، لا أن يُقلّدوا الغرب تقليداً أعمى عجباً، و ان لا ينخدعوا باساليب الغربيين البراقة الخداعة التي لا تجرّ الإنسان إلا الي الفساد و الانحراف و الهلاك. و اليوم تننّ الدنيا من النكبات الاخلاقية و المفسد الغربية، و يحترق العالم في لهيب الاضطراب الفكري و الروحي و يكتوي مليارات البشر بحرارة الرغبة الطائشة لطغيان و حرص و طمع اصحاب الاسلحة المدمّرة، و في كل يوم نسمع جديداً عن برامجهم الانحرافية و سوء اخلاقهم و ظلمهم و طغيانهم و خلاعتهم مما لا يليق ذكره. نعم، علي المسلمين ان يكون انموذجاً يُحتذى به في الاخلاق و الفضائل، و ان يحافظوا علي وحدتهم و عزتهم و كرامتهم بالتمسك بتوحيد الكلمة و كلمة التوحيد، و ان يبرهنوا للعالم انهم أقوى الامم و أشرفها، لا ان يتشبهوا بالمجتمعات المسيحية الخاوية الهزيلة التي كانت عاليةً علي المجتمع الإسلامي في مناهجه و قيمه و علومه.

لقد كان النبي الاكرم صلي الله عليه وآله المثل الأعلى لكل الاخلاق الفاضلة والصفات الحميدة والكمالات الروحية والنفسية، و باعتراف العدو والصديق.

فاخلاق النبي صلي الله عليه وآله وسيرته الحسنة ومعاشرته الحميدة، مذكورة في كتب ألفت في هذا المجال بالخصوص، مضافاً الي ما ورد في كتب السيرة والتاريخ، و مطالعة مثل هذه المصنفات لكبار المتخصصين في التربية، كافٍ لتوجيه الإنسان وهدايته لمكارم الاخلاق.

كما إنَّ اهل بيت النبي، الائمة الاطهار عليهم السلام وهم الامتداد الطبيعي للرسول الاكرم، يمثلون النموذج الجميل للكمال، و باتفاق الموافق والمخالف، كانوا نوابغ عصورهم والمصاديق الاكمل للاخلاق النبوية الإسلامية الحسنة.

و لقد كان عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ممثلوا التكامل والرقى الإنساني، و كانت اشعة نور اخلاق رسول الله بادية الانتشار في وجوداتهم الكريمة.

لقد كان لتضحية الحسين عليه السلام واستقامته وطلبه الحق وتوكله و ارادته القوية و تخليّيه عن الدنيا، من أبرز تجليات شخصيته المقدسة في عاشوراء و التي جذبت الانظار الي درجة أنها غطت علي سائر صفاته و عظمة سجاياه الاخري. و كأن العقل البشري و الفكر الاجتماعي اذا وجد الشخص مبالغاً في الفداء و الايثار في طريق الحق، اعتبره مالكاً لكل السجاياء الحميدة الاخري، و كلما ارتقي في درجات التضحية و الفداء، و اخلص في الصمود و الايثار، ازدادت عظمتة و شموخه في القلوب.

إنّ فداء الحسين المنقطع النظير، رفعه و رفعه الي درجة امكان قياس كل صفاته الحميدة الاخري بمقياس هذه الصفة، و وزنها بهذا الميزان، و إنّ ذلك جعله السّباق لكل الكرام و المتفوق علي كل الأفاضل.

و هذه هي الحقيقة، فان صدور مثل تلك التضحيات و الاستقامة و الفداء و الشجاعة و الثبات و المناعة، لا يتيسر الا لمن تحققت فيه كلّ الكمالات الاخري باتمّ صورها و أروعها.

و تحقّق ذلك الصمود و الفداء، محالاً إلاّ بوفرة الايمان و اليقين و المعرفة و البصيرة و التوكل و الاعتماد علي الله و الزهد و الصبر باعلي مستوياتها، و بغير ذلك لا تتجلي تلك الآيات العظيمة المحكمة في الصبر و الاستقامة العاشورائية.

يقول العلايلي:

«و نحن فيما أتسق لدينا من الأخبار عن الحسين عليه السلام و صفته، نراه كيف كان يتحزّم علي نفسه بكل مظاهر القدوة الصالحة، بحيث لا يعدّو أن يكون مثلاً نبوياً في حدوده و من شتي أقطاره.

و لقد انصرف بكل نفسه عن الدنيا و ما إليها، حتي قال زين العابدين عليه السلام لمن قال له: ما كان أقل ولد أهلك! قال عليه السلام: العجب كيف ولدت له، كان لا يفتر عن الصلاة في ليل أو نهار فمتي كان يتفرغ للنساء؟

فهذا الممتحن المتألّه في تأمله و إطرأقه، و تحركه و سكونه. هو الذي سنراه مجاهداً مكافحاً و مغامراً مستميتاً حتي كأنه الأسد لا تُنال تلايبه. فلم يكن يشغله أمر عن أمر، و لا حاجة لله عن حاجة للناس. (1) و يضيف قائلاً:

«أرأيتم إلي الرجل يقوم علي اسم الله و يمضي علي اسم الله و يموت علي اسم الله، كيف تسمو به الغاية و يعلو به الهدف. هو هدف و لكن ليس من شهوات النفوس، و غاية و لكن ليس كمثلهما الغايات، غاية تحقّر كل ما في الحياة من أسيانها، و لا تري سوي الملكوت الأعلي هدفاً و سوي السماء مستقراً، لأنه مهدها فلا بدع أن حنّست إليه و طلبت اللّحاق به فللناس أوطنهم، و للناس حنينهم، و لمثل هذه الشخصية و طنّها و لها حنينها، فهي تشقّ طريقها بين الجلامد و الصّخور، راضية مرضية و ماضية مطمئنة، لأنها تناجي الأمانة السامية و تنشد المثل الأعلي، و هل وراء الله مطلب؟ و هل إلي غير الله مصير؟ و هل بعد الله حقيقة؟

هذه مبادئ الرجل المصطفي، و الرجل المختار. فلا عجب أن راح يطلبها في 2.

ص: 126

كل شيء، ولو حال الموت دونها فهو يستعذ به، لأنه الطفرة التي تصل به الي أعذب الأمانى، و هل مع الأمانى العذاب، شعور بمريرات العذاب.

وقديماً ارتفع صوت المسلم في إقدام و مضاء، بالكلمة الرهيبة عند الناس و الأغنية عنده.

و لستُ أبالي حين أُقتلُ مُسلماً علي ايِّ جنب كان في الله مَصْرعي

الشخصية الكبيرة من الناس، و لكن بما فيها من المعنى الإلهي و السر القدسي و القبس العلوي، تير السبيل للانسانية في حالة الظلم و في الليل الأليل الادكن «الله نور السموات و الأرضِ مَثَلُ نوره كمشكاةٍ فيها مصباحٌ، المِصباحُ في زجاجةٍ، الزُّجاجةُ كأنَّها كوكبٌ درِّيٌّ». و كذلك تكون في حياتها دليلاً أميناً، و بعد مماتها أمثلةٌ رائعةٌ فيها من كل عناصر الخلود و السُّمُو.

و تاريخ كل أمة إنما هو في الحقيقة تاريخ عظمائها، فأمة لا عظيم فيها لا تاريخ فيها أو ليست جديرةً بالتاريخ.

و نحن اذا قدمنا حسيناً بين العظماء، فإننا لا- تقدم فيه عظيماً فحسب، و انما تقدم فيه عظيماً دونه كلُّ عظيم، و شخصية أسمى من كل شخصية، و رجلاً فوق الرجال مجتمعين.

و لا بدع فكلُّ مَنْ عرفهم التاريخ و عرفناهم قَضَوْا دون غاية من أمجاد الأرض، فكان مَنْ قضي دون مجد من أمجاد السماء أسمى.

و الآن سأخوض في بيان نواحي العظمة التي امتاز بها الحسين عليه السلام في كل ميدان، حتي يبدو أمة بين العظماء. فقد عرفنا العظيم في ثوب الشجاع، و عرفنا العظيم في ثوب البطل، و عرفنا العظيم في ثوب الضحية الشهيد، و عرفنا العظيم في ثوب الزاهد، و عرفنا العظيم في ثوب العالم، و أما العظمةُ في كل ثوب، و العظمة في

كل مظهر، حتي كأنها تآزحت من أقطارها فكانت شخصاً ماثلاً للناس يقرأونه ويعتبرون به. فهذا ما نراه في الحسين عليه السلام وحده، و هذا ما نلمسه فيه فقط، حيث هو من نفسه و حيث هو من نسبه، فلقد يكون أبوه مثله و لكن لا يجد له أباً كمثل نفسه.

فرجل كيفما سموت به من أي جهاته انتهى بك الي عظيم، فهو مُلتقى عظمت و مجمع أفاذا. فإن من يبتثق من عظمة النبوة «محمد صلي الله عليه و آله»، و عظمة الرجولة «علي عليه السلام» و عظمة الفضيلة «فاطمة عليها السلام» يكون أمثلة عظمة الانسان، و آية الآيات البينات.

فلم تكن ذكراه ذكري رجل بل ذكري الإنسانيّة الخالدة، و لم تكن أخباره أخبار بطل بل خبر البطولة الفدّة.

فالحسين عليه السلام رجل و لكن فيه آية الرجال، و عظيم و لكن فيه حقيقة العظمة.

فَرَعياً لذكراه، و رَعياً للعِظّة به.

و من ثمّ كان جديراً بنا أن نستوحيه علي الدوام، كمصدر إلهامي انبثق وهاجاً قوياً، و امتد بأنواره أجيالاً و أجيالاً، و لا يزال يسطع كذلك حتي ينتظم اللانهايات و ينفذ إلي ماوراء الأرض و السموات، و هل لنور الله حد يقف عنده أو معلّم ينتهي اليه؟ «و يأتي الله إلا أن يُتَمَّ نوره»⁽¹⁾

و يقول العقّاد:

«وقد لبث بنو أميّة بعد مصرعه (الحسين عليه السلام) ستين سنة يستونونه و يستونون أباه علي المنابر، و لم يجسر أحد منهم قط علي المساس بورعه و تقواه و رعايته لاحكام الدين في اصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً أو علانية، و حاولوا ان يعيروه»⁴.

ص: 128

بشي غير خروجه علي دولتهم فقصرت ألسنتهم و ألسنة الصنائع و الأجراء دون ذلك.» (1) و قال أيضاً: «فهي (كربلاء) اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة و الذكري، و يزوره غير المسلمين للنظر و المشاهدة، و لكنها لو اعطيت حقها من التنويه و التخليد، لحق لها ان تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة و خطأ من الفضيلة، لاننا لا نذكر بقعة من بقاع الارض يقترن اسمها بجملة من الفضائل و المناقب اسمي و أزم لنوع الإنسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء، بعد مصرع الحسين عليه السلام فيها.»

فكل صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الإنسان انساناً و غيرها لا يحسب غير ضربٍ من الحيوان السائم، فهي مقرونة في الذاكرة بايام الحسين عليه السلام في تلك البقعة الجرداء.

و ليس في نوع الإنسان صفات علويات أنبل و لا أزم له من الايمان و الفداء و الايثار و يقظة الضمير و تعظيم الحق و رعاية الواجب و الجد في المحنة و الانفة من الضيم و الشجاعة في وجه الموت المحتوم - و هي و مثيلات لها من طرازها هي التي تجلّت في حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين عليه السلام.

ثم يقول بعد ذلك: «و حسبك من تقويم الاخلاق في تلك النفوس، انه ما من أحدٍ قتل في كربلاء الا كان في وسعه ان يتجنب القتل بكلمة أو بخطوة و لكنهم جميعاً آثروا الموت عطاشاً جيعاً مناضلين علي ان يقولوا تلك الكلمة أو يخطوا تلك الخطوة لانهم آثروا جمال الاخلاق علي متاع الحياة.» ي.

ص: 129

1- ابو الشهداء ص 115، طبع الشريف الرضي.

وبعد ان يُفصل العقاد بذكر جملة من فضائل الحسين واصحابه و مناقبهم في كربلاء، يقول:

«وقد تناهت هذه المناقب الي مداها الاعلي في نفس قائدهم الكريم و يُخيل الي الناظر في أعماله بكربلاء ان خلائقه الشريفة كانت في سباق بينها، ايّها يظفر بفخار اليوم، فلا يدري أكان في شجاعته أشجع، ام في صبره أصبر، ام في كرمه اكرم، ام في ايمانه و أنفثته و غيرته علي الحق بالغاً من تلك المناقب المثلي أفصي مداه. (1) و مع اننا نقرُّ بعجزنا عن وصف عظام سجايا الحسين عليه السلام و من حقنا ان نعجز عن بيان كل تلك المناقب، و لكننا مع ذلك سنذكر بعض جوانب كمالات الحسين الاخلاقية و العلمية بنحو الاختصار، ليُعلم ان وجوده عليه السلام هو التجليّ الاتمّ للعظمة و الاستقامة و الصبر و الفداء و الاباء في طريق تعظيم الحق، و انه عليه السلام محور كل كرائم المزايا و الصفات.

1 - علم الإمام الحسين عليه السلام

إنّ ما نعرفه و يشهد له تاريخ و سيرة النبي الاعظم و الائمة الاطهار عليهم السلام، هو أنّ علمهم و معارفهم هي مواهب الهية و لم يتلّمذوا علي يد احد و لم يدخلوا في ايّ مكتبة و مدرسة.

فالنبي الاكرم كان يتلقي العلم من المصدر الالهي و صار مصدراً لكل هذه المعارف و العلوم و الشرائع المحكمة.

ص: 130

1- ابو الشهداء ص 131-130 و ص 134-133. طبعة الشريف الرضي.

لقد فتح النبي صلي الله عليه وآله مدرسة بقيت لاربعة عشر قرناً يفتخر الفلاسفة والعلماء الكبار بتلقي دروسها، وينتقون من معارفها و ينهلون من فيوضاتها ويجرعون من كاسات علومها الحقة.

وكذلك معارف وعلوم علي عليه السلام وسائر الأئمة، فهي افاضات ربانية وهبات الهيبة وعلوم محمّدية استقوها من النبي المصطفى صلي الله عليه وآله.

فأي مدرسة في تلك الفترات المظلمة يمكنها ان تخرّج مثل هؤلاء الافذاذ، ليكونوا اساتذة العالمين في كل فنون العلم حتي في زمن صباهم وطفولتهم، ويكونوا مراجع لكبار المراجع في المسائل العلمية الدقيقة، و حلّالي عويصات المشكلات الفلسفية و الفقهية عند كبار العلماء و الفلاسفة؟

انها المدرسة السماوية فقط، التي من شأنها تخريج هؤلاء الاساتذة.

إنّ الاحاديث المعتمدة تدلّ علي أنّ النبي الاكرم صلي الله عليه وآله قد علّم علياً و ابنائه عليهم السلام علوماً خاصة، و انه أملي علي عليّ عليه السلام كتاباً كتبه عليّ بيمينه، كان و لازال محفوظاً في هذا البيت، كمرجع و مستندٍ يرجعون اليه، و في الحقيقة أنّ برامج و تعليمات الأئمة عليهم السلام و سيرتهم و اسلوبهم هو اكمال و تميم اهداف النبي في تربية المجتمع البشري و هدايته.

و من مثل حديث الثقلين المتواتر و المشهور، و الذي ارجع النبيّ فيه الامّة الي هؤلاء الاطهار، تتجلي لنا صلاحيتهم العلمية التامة و تظهر و تتضح لياقتهم و اهليتهم لهذا المقام.

اضف الي ذلك الروايات الكثيرة الواردة بطرق اهل السنيّة و الدّالة علي تميّز علي عليه السلام من بين سائر اصحاب النبي صلي الله عليه و آله في اهتمام الرسول به، و تلقّيه المعارف و العلوم و الفيوضات النبوية، فحقّ له ان يكون المرجع العام للمسلمين في المسائل

العلمية و العلوم الشرعية، و كان الكلّ منتهياً اليه في معرفته.

لقد كان عليّ عليه السلام أعلم الصحابة، و كان علم الصحابة مجتمعين لا يساوي شيئاً في قبال علم علي عليه السلام، و كان الكل محتاجاً لعليّ و كان عليّ مستغنٍ عن الجميع.

فعليّ عليه السلام، و مضافاً الي استعداداته الخاصة و مواهبه الالهية التي لم يُشاركه فيها احدٌ من الصحابة، حتي صار حلال المشكلات في عهود الخلفاء الثلاثة، و الممتاز في فهم و درك الاحكام و المعارف و العلوم الغامضة و المسائل المشكلة و حقائق الوحي و كليّات القواعد الدينية، كان اختصاص النبي و تفرّده به، له الاثر الكبير في تربية عليّ و صياغته علمياً و روحياً، فظالما كان علي ينهل العلم من محمد صلي الله عليه و آله، و قد شرح الله صدره الي درجة انه تمكن من فتح الف باب من العلم من باب واحد تعلّمه من رسول الله صلي الله عليه و آله.

لقد كان تتلمذُ عليّ عليه السلام علي يد النبي صلي الله عليه و آله تتلمذاً خاصاً لا نظير له، فصار علي نسخة مطابقة للأصل.

ولذا، فصورة النظام الإسلامي، كلها واضحة و متجلية في سلوك عليّ و سيرته و متجسمة في فعاله و اقواله.

و من بعد عليّ عليه السلام اختص ولداه الحسن والحسين عليهما السلام بهذا المنصب الالهي و القيادة العلمية و الدينية، فكانا الملاذ و الملجأ للناس في المسائل الإسلامية و علوم التفسير و الاحكام الشرعية، فكان خطابهم هو الفيصل المقبول عند الناس، و كانت سيرتهم و سلوكهم هما الميزان و النموذج الذي يُحتذي به.

فاذا ما أمعنت النظر في حالات الإمام الحسين عليه السلام و جدته مقتنياً لأثر بصيرة نافذة و منهجٍ غيبي، فعلمه و احتجاجاته مع خصوم اهل البيت، خاصة معاوية و مروان، و الكتب التي تبادلها مع معاوية، و خطبه التي القاها بمناسبات مختلفة، و

دعاؤه يوم عرفة و ادعيته الاخرى المنقولة في كتب المسلمين عامة، خير دليل علي هذا المدعي.

وما أثر عنه في توديعه للصحابي الجليل ابي ذر - الذي كان من أجلة صحابة النبي و من السابقين، حيث ذكر ابن الاثير و في أسد الغابة إنَّ اباذر كان خامس من إعتنق الإسلام و عدَّ الكثير من مناقبه عندما نفاه عثمان الي الربذة بعد ان طرده معاوية من الشام، و كان الحسين عليه السلام في جملة من شيعه و ودعه و هم الإمام علي و الحسن و عمار و عقيل، قال الحسين عليه السلام لابي ذر:

«يا عمّاه إنّ الله قادرٌ علي أن يُغيّر ما قدّ تَري، و الله كلّ يومٍ في شأنٍ، و قد منَعَكَ القومُ دُنْيَاهُمْ و منَعَتْهُم دِينَكَ، و ما أغناكَ عمّا منَعوكَ، و أَحوجَهُم الي ما منَعَتْهُم، فاسألَ الله الصَّبْرَ و النَّصْرَ و استعِذْ بِهِ مِنَ الجَشَعِ و الجَزَعِ فإنَّ الصَّبْرَ مِنَ الدِّينِ و الكَرَمِ، و انَّ الجَشَعَ لا يُقدِّمُ رزقاً و لا يُؤخِّرُ أجلاً»⁽¹⁾

و هذه الكلمات قالها الإمام الحسين عليه السلام مرتجلاً و كان يومئذٍ في نحو الثلاثين من عمره، يخاطب بها رجلاً مسنّاً فاضلاً جليلاً من الصحابة، فكانما أودع هذه الكلمات شعارَ حياته كاملةً منذ ادرك الدنيا الي ان فارقها في مصرعه بكرىلاء، و هي تعبّر عن قدس مقام و روحانية الحسين العالية و علمه و معرفته و غناه و كمال بصيرته.

و روي ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج 4 ص 323 عن نافع بن الازرق رئيس فرقة الازارقة الخوارج حينما قال نافع للإمام الحسين عليه السلام:

صِفْ لي رَبِّكَ الذي تعبُدُ!5.

ص: 133

فقال الحسين عليه السلام:

«يا نافع مَنْ وَضَعَ دِينَهُ عَلَي الْقِيَّاسِ لَمْ يَزَلْ الدَّهْرَ فِي الْإِلْتِبَاسِ مَائِلاً نَاكِباً عَنِ الْمَنَاجِحِ، ظَاعِناً بِالْأَعْوِجَاجِ، ضَالًّا عَنِ السَّبِيلِ قَائِلاً غَيْرَ الْجَمِيلِ، يَأْبَنُ الْإِزْرَقَ، أَصْفُ إِلَهِي بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ قَرِيبٌ غَيْرَ مُلْتَصِقٌ وَبَعِيدٌ غَيْرَ مُسْتَقْصِي يُوحِّدُ وَلَا يُبْعَضُ، مَعْرُوفٌ بِالْآيَاتِ مَوْصُوفٌ بِالْعَلَامَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى»

فبكي ابن الازرق وقال:

«ما أَحْسَنَ كَلَامِكَ»

فقال له الحسين عليه السلام: بلغني انك تشهد بكفري و كفر أبي و أخي!

فقال ابن الازرق:

«أَمَّا وَاللَّهِ يَا حُسَيْنَ لئن كَانَ ذَلِكَ، لَقَدْ كُنْتُمْ مَنَارَ الْإِسْلَامِ وَنُجُومَ الْإِحْكَامِ»(1)

ثم استشهد الحسين عليه السلام بقوله تعالى:

«وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ»(2)

وَأَتَمَّ الْحِجَّةَ عَلَيْهِ.

وكان معاوية اذا اراد ان يبين لجلسائه علم الحسين عليه السلام و فضله، يقول:

«إِذَا دَخَلْتَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ فَرَأَيْتَ حَلَقَةً فِيهَا قَوْمٌ كَأَنَّ عَلِيَّ رُؤُوسَهُمُ الطَّيْرُ، فَتِلْكَ حَلَقَةُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، مُؤْتَرِّراً إِلَيَّ أَنْصَافَ سَاقِيهِ»(3)

ص: 134

1- سمو المعني ص 148.

2- سورة الكهف، الآية 82.

3- سمو المعني ص 98، نقلاً عن تاريخ ابن عساکر ج 4 ص 322.

و يقول العلابي:

«كذلك يظهر المعني الحي في محل القداسة علي المؤمنين الذين ينشرون أشعةً من سيمائهم تورث الناظر خشيةً في اطمئنان، و سكوناً في دعاء، كأنما زوّت الي قواعدهم. فما أنت بناظرٍ جماعةً في مواضع من المعبد في معالم من الأرض، بل يتداركك حين تنظر كأن الملاء الأعلي تجسّم و انتشر في أشخاص استعلي بهم أو اعتلوا به فوق دنيا الناس (ما اجتمع قومٌ علي ذكر الله إلا حفت بهم الملائكة و غشيهم الروح و ذكرهم الله فيمن عنده) و في رواية (في ملاء عنده).

قد تكون كلمةً ساذجةً طَفَحَ بشعورها قلب ساذج، لو صدرت من غير معاوية الملك، الذي كان يجمع أسباب السيطرة و الرهبة و القنْفَرِيَّة علي نفسه جمعاً ليظهر بكل ذلك غير تارك منها إلا ما يزيده في مظهر الجبروت قوة.

و أما هي معاوية نفسه فإنها ذات وجه آخر بمعانٍ أخرى، فقد نظر الي الحسين عليه السلام من جانبه الذي انزوت إليه الدنيا بعظائنها، و توافرت لديه أشياءها حتي بدا كأنما انجمت الدنيا في ناحية مكانه، و هذا ما يجعل للكلمة قيمةً أخرى.

فان معاوية لم تحل به أبهات الملك عن أن يري المعني الالهي في الحسين عليه السلام بما له من زهبات، تزغ النفس الإنسانية الجامحة و تردها رداً عنيفاً الي حدود عبوديتها، حتي تُبصِر ما تلبس به بطلاً من الباطل و آلا من الآل، فتظل مشدوهةً مأخوذة كالذي يكون مع خاطرة أو فكرة. ثم تنقب قوتها التي اشتقت من طبيعة المبالغة، ضعفاً فيه طبيعة المبالغة.

فكان معاوية ينظر الي نفسه بما أحاطها به من أشياء الدنيا، و الي الحسين عليه السلام بما أحاطته به الحقيقة العظمي من أشياءها، فيري نسبةً كما بين العدم و الوجود، ثم ينظر فيري في الوجهة المقابلة منبعت النور الذي يُعشي فيبهر، و في الوجهة الأخرى

ص: 135

و هذه ساعة تستيقظ فيها النفس الي حقيقتها، فترى كل شيء علي حقيقته، و نِعَمًا هي كلمة معاوية في جلوة سماها علي دنياه بما جمعت.

و كان الحسين عليه السلام اذا برز للناس يتحلّقون بين يديه صفًا بعد صف حتي يذهب فيهم البصر، و يقعون عليه وقوع الطير في اليوم الحرور علي ثمد يتبرّد به و يتصأّب، و كأنهم بذلك يهربون و لو ساعة من اسر الشهوات و عبودية أنفسهم، ليقولوا كلمة الايمان خالصة بها قلوبهم، كما كان يعبر الصحابة حينما يعرجون الي النبي صلي الله عليه و آله «هَيَّا بِنَا لِنُؤْمِنَ بِرَبِّنَا سَاعَةً»⁽¹⁾

و المؤمن مؤمنٌ في كل الحالات، و لكن الحضور في محضر رسول الله صلي الله عليه و آله و حلقة افادة ولده العزيز الحسين، و التدوق من حلاوة الايمان و الاستزادة من العلم و المعرفة، و استشعار عوالم الغيب و جدانًا، لا تتيسر دائماً و في كل المحافل و المجمع، يقول ابن كثير:

«انَّ الحُسَيْنَ حَرَجَ و ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنَ المَدِينَةِ الي مَكَّة و أَقَامَا بِهَا عَكَفَ النَّاسُ عَلَي الحُسَيْنِ يَفِدُونَ إِلَيْهِ و يُقَدِّمُونَ عَلَيْهِ و يَجْلِسُونَ حِوَالِيهِ و يَسْتَمْعُونَ كَلَامَهُ و يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ و يَضْبُطُونَ مَا يَرَوُونَ عَنْهُ.»⁽²⁾

و يقول العلايلي:

«و الذي ينبغي أن لا يفوتنا في هذا الخبر، التعبير بكلمة (عكف) و هي تقيّد في كل مشتقاتها معني التعلق و الانقطاع. فما كانت بواحد إلاّ الحسين عليه السلام رجلاً علقه9.

ص: 136

1- سمو المعني ص 99.

2- سمو المعني ص 139.

كل الناس عَرَضاً، كأنما هم من ناحية الدنيا يشهدون فيه حقيقة أُخري من عالم الابداع الالهي. فهو إذا نطق كأنما انطلق لسان الغيب يعبر عن رموزه ويكشف عن خفاياه، وإذا صمت كأنما راح الغيب يعبر عن معناه بطريقة أُخري بلحن آخر، فإن من الحقائق ما لا يعبر عنه إلا الصمت العميق، كالنقطة في ثنایا السطور، فإنها تعطي معني لا يقوم إلا بها، ولا يتم إلا إذا كانت، وهي بعد إشارة سلبية ولكنها تدل علي غرض إيجابي؟، أو كقرار النعمة الصامت فإنه جزء من تمام اللحن الناطق.

وفي الخبر صورة كاملة لمقام الحسين عليه السلام، في زمن لم ينتف من طغيان السلطة و تحامل المتغلب، ولكن أني للقوة أن تحول بين الإنسان وقلبه، أو بينه وبين ما هو من ضميره، فإن القوة لا تعمل إلا في حدودها، ولا تجد مضاءها إلا في ملابساتها، وهي كيفما امتدت بأسباب فإنها لا تحيك في مواطن الشعور. والخبر بعد ذلك يعرفنا بأن الحسين عليه السلام كان مكثراً من الحديث والرواية، ولم يكن كما تشاء بعض كتب الأخبار تصويره بأنه كان مقلاً نزر الآثار.»

ثم ينقل العلايلي بعد ذلك، ما روي عن الحسين عليه السلام. (1) ويقول ايضاً:

«الأخبار عن الحسين عليه السلام في هذا الباب أكثر من أن تحصي، ولقد كان يجي بالمدهشات في الفتيا وما إليها من العلم، حتي قال فيه ابن عمر: «إنه يُعَرِّ العلم غراً». (2)2.

ص: 137

1- سمو المعني ص 97.

2- سمو المعني، ص 148. ونظير هذه الكلمات وردت عن لسان يزيد في شأن الإمام زين العابدين، عندما اقترح الإمام علي يزيد ان يرتقي المنبر فلم يقبل يزيد وقال: اذا صعد فانه لا ينزل الا بفضيحتي وفضيحة آل ابي سفيان! فقيل له و ما قدر ما يُحسن هذا الغلام؟ فقال: هذا من اهل بيت قد زقوا العلم زقاً» نفس المهموم ص 242.

فكما ان الطيور تزقّ الطعام زقّاً، فكذلك الحسين عليه السلام زقّ العلم زقّاً في بيت النبوة والولاية، واغتذي من اصابع علم رسول الله صلي الله عليه وآله، وارتضع من ثدي معارف الإسلام، فنمي وتربّي علي ذلك.

2 - عبادة سيد الشهداء عليه السلام

روي ابن عبد البر وابن الاثير عن مصعب بن الزبير انه قال:

«كَانَ الْحُسَيْنُ فَاضِلاً دِيناً كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ» (1)

وقال عبد الله ابن الزبير في وصف عبادة الحسين عليه السلام:

«لَقَدْ كَانَ قَوَّاماً بِاللَّيْلِ صَوَّاماً بِالنَّهَارِ»

و يقول العقّاد:

«وَكَانَتْ لَهُ صَلَوَاتٌ يُؤَدِّيهَا غَيْرَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَآيَامٌ مِنَ الشَّهْرِ يَصُومُ نَهَارَهَا وَيَقُومُ لَيْلَهَا، وَلَمْ يَفْتَهُ الْحَجُّ» (2).

وكان عليه السلام يصلّي في اليوم والليلّة الف ركعة، وحجّ البيت ماشياً خمس وعشرين حجّة نقاداً معه نجائبه (3) وهذا دليل كمال عبادته وخصوعه لله عزوجل.

ص: 138

1- اسد الغابة ج 2 ص 20. الاستيعاب ج 1 ص 378.

2- ابو الشهداء ص 63.

3- الاستيعاب ج 1 ص 382. اسد الغابة ج 2 ص 20. تذكرة الخواص ص 244. تاريخ يعقوبي ج 2 ص 219. تاريخ ابي الفداء ج 2 ص 107.

و ذات يوم شوهد في احد اركان الكعبة داعياً متوسلاً:

«إلهي نَعَمْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي شَاكِرًا، وَابْتَلَيْتَنِي فَلَمْ تَجِدْنِي صَابِرًا، فَلَا أَنْتَ سَلَمْتِ النِّعْمَةَ بِتَرْكِ الشُّكْرِ، وَلَا أَدَمْتَ الشِّدَّةَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ، إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم»(1)

و من اراد الوقوف علي احوال سيد الشهداء في دعائه و مناجاته و طلبه و مسكنته بين يدي الله عزوجل فليراجع دعاءه يوم عرفه فإنه كافٍ في توضيح المطلوب.

فقد روي بشر و بشير ابنا غالب الاسدي، قالوا: كنا مع الحسين بن علي عليهما السلام عشية عرفه فخرج عليه السلام من فسطاطه متدللاً خاشعاً فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو و جماعة من اهل بيته و ولده و مواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين ثم قال:

«الحمد لله الذي ليس لقضائه دافعٌ ولا لعطائه مانعٌ ولا كصنعه صنوعٌ وهو الجواد الواسع...»

و هو الدعاء المعروف بدعاء الحسين يوم العرفه و المذكور في كتب الادعية و الزيارة. فقرأ الدعاء حتي وصل الي هذه الجملة:

«وصلي الله علي خيرته محمد خاتم النبيين و آله الطيبين الطاهرين المخلصين و سلم». ثم اندفع في المسألة و اجتهد في الدعاء و عيناه سالتا دموعاً حتي وصل الي قوله: «و اذرء عني شرَّ فسقة الجنِّ و الإنس» ثم رفع رأسه و بصره الي السماء و عيناه ما طرتان كأنهما مزادتان و قال بصوت عال:3.

ص: 139

«يا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ» الي ان وصل الي فقرة: «و أنت علي كل شئٍ قديرٌ يا رَبِّ» و كان يُكرر قوله «يا رب» و شغل من حَضَرَ ممن كان من حوله عن الدعاء لأنفسهم و اقبلوا علي الاستماع له و التأمين علي دعائه ثمَّ عَلَتْ اصواتهم بالبكاء معه و غربت الشمس و افاض الناس معه الي مزدلفة.

3 - سخاء الحسين عليه السلام

عُرِفَ أهل البيت عليهم السلام بالجود و الكرم فصاروا مضرب المثل بذلك، و قد نزلت آيات كثيرة في امير المؤمنين عليه السلام و أهل بيته، ثناءً من الباري عزوجل لجوده و انفاقه في رضا الله فملاً ذكرُ عليّ الآفاق حين تصدق بدرهمه الوحيد و قرص خبزه و خبز اولاده و امهم فاطمة للفقراء و المساكين و ابناء السبيل مؤثرين علي انفسهم علي خصاصة كانت بهم.

فكم من ليلة بات علي و أهل بيته جياً لاجل اطعام و اشباع غيرهم من الفقراء في سبيل الله، و كم من رداءٍ و هبة عليّ لفقير كان عليّ احوج منه لذلك الرداء.

روي ابن عساکر في تاريخه عن ابن هشام القمّاد انه كان يحمل الي الحسين عليه السلام بالمتاع من البصرة و لعلّه لا يقوم حتي يهب عامته. (1) و روي أيضا: أن سائلاً خرج يتخطي أزقة المدينة حتي أتى باب الحسين عليه السلام فقرع الباب و أنشأ يقول:

لم يخب اليوم من رجاك و من حرك من خلف بابك الحلقة

ص: 140

أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسقة

و كان الحسين عليه السلام واقفاً يصلي فخفف من صلاته و خرج الي الاعرابي فرأى عليه أثر ضرر و فاقة، فرجع و نادي بقنبر فأجابه لبيك يا ابن رسول الله قال ما تبقي معك من نفقتنا. قال مائتا درهم أمرتني بتفرقتها في أهل بيتك، فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم، فأخذها و خرج يدفعها الي الاعرابي و أنشأ يقول:

خذها فإني إليك معتذر

فأخذها الاعرابي و ولى و هو يقول:

«اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ(1)»(2)

و روي أنَّ الحسين عليه السلام دخل علي اسامة بن زيد، و هو مريض و هو يقول واغماه، فقال له الحسين عليه السلام و ما غمك يا أخي. قال: ديني و هو ستون الف درهم، فقال الحسين عليه السلام هو عليّ قال إني أخشي أن أموت. فقال: لن تموت حتي أقضيها عنك فقضاها قبل موته.(3) و روي البحراني ان الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جده رسول الله صلي الله عليه و آله بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام و كان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد و عتبة

ص: 141

1- سورة الأنعام الآية 124.

2- سمو المعني ص 151 عن عيون الاخبار ج 3 ص 140.

3- سمو المعني ص 152-151. و ذكر البيهقي في المحاسن و المساوي ج 1 ص 189 هذه الحكاية عن الإمام الحسن، و في نفس الصفحة روي حكاية عن الحسنين عليهما السلام و ان كل واحد منهما اعطي 150 درهماً لفقيه سألتهما. سمو المعني ص 153-152 نقلاً عن «عقد اللآل في مناقب الآل».

بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابي علي ناقة فعقلها بباب المسجد و دخل فوقف علي عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال الاعرابي اني قتلت ابن عم لي و طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً، فرفع رأسه إلي غلامه و قال ادفع إليه مائة درهم، فقال الاعرابي ما أريد إلا الدية تماماً ثم تركه و أتى عبد الله بن الزبير و قال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبد الله لغلامه ادفع اليه مائتي درهم، فقال الاعرابي ما أريد إلا الدية تماماً، ثم تركه و أتى الحسين عليه السلام فسلم عليه و قال يا ابن رسول الله اني قتلت ابن عمّ لي و قد طولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم و قال هذه لقضاء ديونك و عشرة آلاف درهم اخري و قال هذه تلم بها شعئك و تحسن بها حالك و تنفق منها علي عيالك. فأنشأ الاعرابي يقول:

طربتُ و ما هاج لي مَعْبَقُ

4 - أدبُ الحُسين عليه السلام و رأفته:

لقد كان الحسين عليه السلام في الذروة، في حُسن معاشرته للناس و أدبه و شففته

ص: 142

روي جمال الدين محمد الزرندي الحنفي المدني عن علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه الحسين بن علي عليهما السلام قال:

«سمعت الحسين يقول: لو شتمني رجل في هذه الاذن و أومي الي اليمنى و اعتذر لي في الاخرى لقبلت ذلك منه، و ذلك أن أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام حدثني أنه سمع جدي رسول الله صلي الله عليه و آله يقول: لا يرد الحوض من لم يقبل العذر من محق أو مبطل.» (1)

و لقد كان الحسين عليه السلام في قمة الأدب و المحبة و الرافة و العطف و المودة في اهله و اولاده و نسائه.

روي ابن قتيبة أن رجلاً أتى الحسن بن علي عليهما السلام يسأله. فقال الحسن إن المسألة لا تصح إلا في غرم فادح أو فقر مدقع أو حَمالة مُفْطَعة، فقال الرجل ما جئت إلا في إحداهن، فأمر له بمائة دينار ثم أتى الرجل الحسين بن علي عليهما السلام فسأله فقال له مثل مقالة أخيه فردَّ عليه كما رد علي الحسن فقال كم أعطاك؟ قال مائة دينار فنقصه ديناراً. كره أن يساوي أخاه، ثم أتى الرجل عبد الله بن عمر فسأله فأعطاه سبعة دنانير و لم يسأله عن شيء، فقال له الرجل إني أتيت الحسن و الحسين و اقتص كلامهما عليه و فعلهما به فقال عبد الله: ويحك و أتى تجعلني مثلهما إنهما غرَّا العلم غرَّا المال. (2) روي ياقوت المستعصي عن أنس قال: كنت عند الحسين بن علي عليهما السلام.

ص: 143

1- نظم درر السمطين ص 209.

2- سمو المعني ص 152.

فدخلت عليه جارية بيدها طاقة من ريحان، فحيتته بها، فقال لها:

«أنتِ حُرَّةٌ لَوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى»

قال: فقلت له: «جاريةٌ تَجِيئك بطاقةَ رِيحانٍ فَتَعْتُمُها؟»

قال عليه السلام: كذا أَدَبْنَا اللَّهَ... قال تبارك و تعالي: «و إِذَا حُيِّئْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها(1)» و كان أَحْسَنَ مِنْهَا عِتْمُها(2)

يقول العقّاد بعد ذكره لهاذين البيتين عن الحسين عليه السلام

لَعَمْرُكَ إِنَّنِي لِأَحَبُّ دَاراً

و هُما - البيتان معبران عن خُلُقِهِ فِي بَيْتِهِ و بين أهله فقد كان من أشدّ الآباء حَديباً علي الأبناء و اشدّ الأزواج عطفاً علي النساء، و من وفاء زوجاته بعد مماته ان الرّباب هذه التي ذكرت في البيتين السابقين خَطَبَها أشرافُ فُريش بعد مقتله فقالت:

«ما كُنْتُ لا تَخَذُ حَمَماً بعد رسول الله» و بقيت سنةً لا يظُلُّها سَقْفٌ حَتَّى فَيَيْتَ. و ماتت و هي لا تفتُر عن بكائه و الحزن عليه. (3)

5 - طلبُ الحق:

لا تجد نظيراً لآل عليّ في العالم، في طلب العدل و حماية المظلوم و مقارعة الظالم.

فحكومتهم، حكومةُ الحق و العدل، و سيرتهم و سلوكهم و دينهم إقامة العدل

ص: 144

1- سورة النساء، الآية 86.

2- سموّ المعني ص 159. أبو الشهداء ص 62.

3- ابو الشهداء ص 56-57.

وأخذ حقّ المظلومين، فلا يقرّ لهم قرار إذا ما سمعوا بظليمةً حتى يأخذوا الحقّ للمظلوم من الظالم.

وما ذكر في كتب التاريخ عن عدل عليّ عليه السلام يُدلّك عليّ عشق عليّ للحق، وفنائه في العدالة، وقد اوصي عليّ ولديه الحسنين بقوله: «كُونَا لِلظَّالِمِ حَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا»

والْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، ابْنُ عَلِيٍّ وَوَارِثُهُ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَصْبِرْ عَلَيَّ ظَلَمَ بَنِي أُمَيَّةَ وَعَمَّالَهُمْ، فَكَانَتْ ثَوْرَتُهُ ثَوْرَةَ الْحَقِّ ضِدَّ الظُّلْمِ وَالْإِضْطِهَادِ وَالْجَوْرِ، وَكَانَتْ نَهْضَتُهُ نَهْضَةَ نَجَاةِ الْمَظْلُومِينَ وَالْمَقْهُورِينَ.

فلم يكن عند الحسين عليه السلام كما عند جدّه وأبيه وأخيه شيّ الذّ وأحلي من صور عبادة الله والعدالة والقسط، ولا أمرّ من مناظر و صور الظلم والجور والفساد، فكان، بقدر إمكانه مدافعاً عن شرف وكرامة وناموس و ارواح و اموال المسلمين.

ومن جملة ما نقل عن الحسين عليه السلام والذي يكشف عن مدي حرص الحسين علي كرامة المسلمين و شرفهم، هو قصة أرينب (أو زينب) بنت إسحاق، زوجة عبد الله بن سلام.

فهذه القصة المعروفة تكشف النقاب عن انحطاط و سقوط و فساد بني امية و عن رذالة معاوية و يزيد و تجردهم عن كلّ القيم الاخلاقية حتي أبسطها، و تدلك علي ضحالة هموم المتسلطين علي رقاب المسلمين.

وقد نقل هذه الحكاية ابن قتيبة، الشبراوي، العلايلي، النويري، و ابن بدرون، العقاد و آخرون(1) مضافاً الي ذكرها في كتاب مستقل باسم «أرينب»(2) ي.

ص: 145

-
- 1- الامامة و السياسة ص 212-203. الاتحاف ص 83-79. سمو المعني ص 159-156. أبو الشهداء ص 39-37.
 - 2- كتاب «أرينب، قصة تاريخية» عبد الله حسون العلي.

ولما كانت هذه القصة طويلة، طوينا كشحاً عن سردها باكملها، ولكن نذكر مجملها كشاهدٍ علي مدّعانا:

طمع يزيد، الذي كان يعيش حياة المجون والخلاعة واللعب ومعاقرة الخمرة والغناء والرقص، طمع في إمارة سمع بجمالها ودلالها وهي أزينب زوجة عبد الله بن سلام، والتي كان من وظائف يزيد و ابيه حماية وصون عرضها و شرفها، وكانت أرينب أو زينب هذه علي ما قيل اشهر فتيات زمانها بالجمال وكانت زوجة والي معاوية علي العراق عبد الله بن سلام القرشي. فمرض يزيد في حبّها و اخفي سرّه عن أهله حتي استخرجه منه بعض خصيان القصر الذين يعينونه علي شهواته... فلما علم أبوه سرّ مرضه ارسل في طلب عبد الله ابن سلام و استدعي اليه أبا هريرة و أبا الدرداء، فقال لهما ان له ابنة يريد زواجها و لم يرض لها خليلاً غير ابن سلام، لدينه و فضله و شرفه و رغبة معاوية في تكريمه و تقريبه. فخدع ابن سلام بما بلغه و فاتح معاوية في خطبة ابنته، فوكل معاوية الأمر إلي أبي هريرة ليبلّغها و يستمع جوابها. فكان جوابها المتفق عليه بينها و بين أبيها أنها لا تكره ما اختاروه، ولكنها تخشي الضرّة و تشفق أن يسوقها إلي ما يغضب الله. فطلق ابن سلام زوجته و استنجز معاوية وعده.. فإذا هو يلويه به و يقول بلسان ابنته انها توجس من رجل يطلق زوجته و هي ابنة عمه و أجمل نساء عصره..

وقيل إنّ الحسين عليه السلام سمع بهذه المكيدة، فسأل أبا هريرة أن يذكره عند زينب خاطباً.. فصدع أبو هريرة بأمره و قال لزينب: «إنك لا تعدمين طلاباً خيراً من عبد الله بن سلام.»

قالت: «من»؟ قال: «يزيد بن معاوية والحسين بن علي، وهما معروفان لديك بأحسن ما تبتغيه في الرجال.»
واستشارته في اختيار أيهما، فقال: «لا أختار فم أحد علي فم قَبْلَه رسول الله، تضعين شفتيك في موضع شفتيه»
فقالت: «لا أختار علي الحسين بن علي أحداً وهوريحانة النبي وسيد شباب اهل الجنة»

فقال معاوية متغيظاً:

أَنعِمِي أُمَّ خَالِدِ رَبِّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ

ولم يلبث الحسين عليه السلام أن ردها إلي زوجها قائلاً:

«ما أدخلتها في بيتي وتحت نكاحي رغبة في مالها ولا جمالها، ولكن أردت إحلالها لبعْلِها»(1)

6 - زهد الإمام الحسين عليه السلام:

لعلَّ من ابرز شواخص زهد الإمام الحسين عليه السلام ورغبته عن الدنيا هو فداؤه وبذله روحه و ارواح اولاده و اخوته و اصحابه طلباً للحق، و تحمل كل تلك البليات و المصائب في كربلاء.

فمن لم يستحقر الدنيا باموالها و نعيمها و زينتها و مغرياتها، لا يقوي علي مثل تلك التضحيات في سبيل الله و الحق و القيم، حتي انه شاهد أجساد فلذات كبده يقطعون إرباً إرباً، و سمع أنين عطش أطفاله و لوعتهم، و عاين دموع نسائه و بناته

ص: 147

1- ابو الشهداء. عباس محمود العقاد ص 37-39.

المهراقة، فكل ذلك أوجع قلبه المفحم بالحب و العاطفة و الشفقة و الرأفة، مضافاً الي عشرات الجراحات التي لا يسعها إلا جسمُ الحسين عليه السلام الصارخ لنصرة دين الله، الثابت عن الخنوع و الاستسلام للباطل، ثبات الجبل الاشمّ قبال الاعاصير.

نعم لقد اقترحوا عليه التنازل و لو بالقليل ليزيد و ابداء المرونة في موقفه الصّلب، بما لا يُقلل من شأنه و مقامه مقابل السماح له و لاهله بالعيش الرغيد و عدم التعرض له.

و لكن، لم يكن الحسين عليه السلام بالذي يبيع مصالح المسلمين و عزتهم من اجل حياة ذليلة، و لم يكن الحسين عليه السلام ليغضّ الطرف عن تجاوزات بني امية علي الاحكام الشرعية الإسلامية، و لم يكن الحسين عليه السلام ليقبل بمتاع زائف في قبال إمضاء خروقات الحكم الفاسد الظالم لتعاليم السماء و اصفاء الشرعية عليها، و لم يكن من المتسامحين في الحق و في اداء الدور الذي كُلفَ به من قبل الله تعالى.

ان حُسيناً هو ابن الذي قال:

«و الله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في شمالي علي أن أترك هذا الأمر ما تركته حتّي أهلك دونه أو يُظهره الله»

ان الحسين عليه السلام هو ابن القاتل:

«إنّ دنياكم هذه أهونُ عليّ من عَفْطَةِ عَنزٍ»

يقول العلايلي:

«هذا الجانب عظيم و غريب عند الإمام الشهيد، فقد كان مستهيناً بالحياة و مستهيناً بالموت، غير ناظر إلي شيء إلا برهان ربه، الذي امتزجت به نفسه فهو يفتديه بكل شيء هان أو عزّ، و من ثم كان جديراً بأن يسمي «البنّاء الثاني في الإسلام» بعد جده المصطفى صلي الله عليه و آله، و بأنه المجدد لبناية التوحيد كما يقول الشاعر

الهندي «معين الدين اجميري» رحمه الله»(1) ويقول ايضاً:

«لقد انصرف «الحسين عليه السلام» بكل نفسه عن الدنيا و ما إليها». (2) فالحسينُ اذن، كأييه امام الزاهدين الذي قال:

«و الله إنَّ ابنَ أيطالبِ آسُ بالموتِ منِ الطِّفلِ بثدي أمِّه»

«و ما أنا إلا كقاربٍ ورَدُّ أو كطالبٍ وجَدُّ»

و قال الوَلَدُ:

«إنِّي لا أري الموتِ إلا سَعادَةً و لا الحياةَ مع الظالمينِ إلا بَرَمًا»

قال ابن شهر آشوب في معرض حديثه عن زهد الحسين عليه السلام: قيل للحسين:

«ما أعظمَ خوفَكَ مِنْ رَبِّكَ»

فقال عليه السلام:

«لا يَأْمَنُ القِيامَةَ إلا مَنْ خافَ اللهَ في الدُّنيا»(3)

7 - تواضع الحسين عليه السلام:

كلما ازداد الإنسان معرفةً برَبِّه و توحيده، و كثرَ علمُه و حكمته، كلما ازداد خضوعاً و تواضعاً، فالكبر ينشأ من الجهل و قلة المعرفة و الغفلة و الغرور.

وقد ذمَّت الآيات القرآنية الكريمة، و الاحاديث النبوية الشريفة، الكبر، و مدحت التواضع.

ص: 149

1- سمو المعني ص 119.

2- سمو المعني ص 102.

3- المناقب ج 4 ص 69.

و اذا كان التواضع مطلوباً، فهو من القادة و الزعماء اكثر مطلوبيّة و ينبغي عليهم الابتعاد و التخلّص من الكبر و الغرور الخيلاء، فان تكبرهم يُعدهم عن قلوب افراد المجتمع و يُنقِرُ الناس عنهم، و يُفردهم عن الامة و يعزلهم.

و الجهلاء، و بمجرد أن ينالوا يسيرا من حُطام الدنيا، يدخلهم الخيلاء و التكبر، فيستحقرون الناس، و يحاولون فرض آرائهم مهما كانت سخيفة.

إنّ من أبرز ملامح الحكم الاسلامي، كما كان في زمن امير المؤمنين عليه السلام، هو تواضع ولاة الأمر و القضاء و الغاء الفوارق الطبقيه و القومية التي كانت سائدة في الانظمة الحاكمة قبل الإسلام.

لقد كان عليّ عليه السلام يعيش مع المسلمين كأحدهم، يسعى في قضاء حوائجهم، و يهتم بنفسه بحوائجه، فكان يتسوَّق بنفسه لنفسه، و يحمل متاعه بردائه أو عباءته و ياتي به الي داره، و في نفس الوقت كان يستمع الي شكاوي الناس و ينظر فيها، و كان يلبس الخشن من اللباس و هو مع ذلك يُرَقِّعُه و يتقشف، و كان يصلح نعليه بنفسه و امام الناس، و طعامه الجشب، فطالما كان يأكل الخبز و الملح أو اللبن، و لكنه لم يكن مع ذلك يأمر الاخرين بمثل ذلك، فهو الخليفة و عليه ان يواسي أضعف الرعية حالاً، و من هنا صار عليّ مظهر العدالة الإنسانية و الزهد الفريد.

كان و هو الخليفة يحضر مجلس الترافع و القضاء، اذا ما اشتكى عليه شاكٍ، فيجلس كما يجلس المدعي، و كم من مرّة لم يُحكم لصالحه و لم يُقلل ذلك من شأن الخلافة و الخليفة.

لقد رَوّض عليّ نفسه بالزهد و التواضع و بساطة العيش و عوّدها علي القناعة، كيلا تطغي غريزة الطمع فتجرّه الي الحيف و اختلاس بيت المال و صرفه في التجملات و القصور الفارهة.

وقد ورد في الرواية: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ فَلْيَتَبَوَّءْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»

فمن الفاسد في مقياس الحق والعدل الاسلامي، أن يلبس الخليفة ويركب ويسكن، أفضل ما يلبس ويركب ويسكن عُماله، وان يحيط نفسه بجهاز حاكم مبذر مسرف ليميز عن سائر المسلمين، متخلفاً باخلاق الجاهلية.

إن هذه العادات القبيحة، هي ما اعتادت عليه حكومة بني أمية حيث جددت اعراف الجاهلية، وهذا الانحراف ارجع خلافة الممالك الإسلامية الي طرز الجاهلية في الحكم.

وسنتطرق في الصفحات اللاحقة انشاء الله الي تفصيل هذا الأمر ونكتفي هنا بالحديث عن تواضع الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان الحسين عليه السلام علي تواضعه، مُهاباً مبعجلاً من قبل الناس، وعندما كان يسير هو واخوه الحسن المجتبي الي الحجّ، كان كبار الصحابة، يترجلون احتراماً لهما، ولم يكن هذا الاحترام للحسين عليه السلام من أجل قصر مُجلّل يسكنه الحسين أو مركب و دابة غالية الثمن، او لكثرة غلمانه و جنوده و خدمه و حشمه، فلقد كان الحسين عليه السلام يعيش بين الناس و معهم، متواضعاً بسيطاً في عيشه، و كان يذهب الي الحجّ في كل سنة و يجلس مع الناس، و يجالس الفقراء و يحضر الجماعات و يعود المرضى و يشترك في تشييع الجنائز و يجلس في مسجد النبي صلي الله عليه و آله مع اصحابه، و يجيب دعوة الفقراء الي طعامهم و يدعوهم الي طعامه، و كان يحمل الخبز و الطعام بنفسه الي الفقراء و المعوزين و الأيتام و الارامل.

وعندما جرّده اهل الكوفة الظالمين عن ملابسه يوم عشاوريا، وجدوا آثار حمل الجراب علي كتفه الشريف، فسألوا عن ذلك فاجابهم الإمام السجاد، بان ذلك آثار حمل الطعام الي فقراء المدينة و ايتامهم.

يُعتبر الايمان بالهدف من اهم عوامل الاستقامة و الثبات و الاستمرارية عند ارباب و زعماء النهضات الاصلاحية الدينية و الاجتماعية، فاذا كان القائد علي يقين من حقانية اهدافه، سار بخطي راسحة نحو تلك الاهداف و لم تنهه عقبات الطريق مهما بدت كأداء، فهو يستلهم قوته و عزمه من ايمانه و يقينه ذلك.

و اذا ما استقرأنا تاريخ الانبياء، و خاصة خاتمهم محمد المصطفى صلي الله عليه و آله و امعنا النظر في سيرته، لوجدنا إن عمدة اسباب نجاحه هو ايمانه القاطع و الثابت، و يقينه الجازم بنبوته و وحي السماء له، و مع مثل ذلك الايمان، دعا النبي صلي الله عليه و آله الي التوحيد أشد الناس و حشية و جهلاً و عناداً من بين عبدة الاوثان، و حمل راية الدعوة الي كل الملل، و مع ان العقبات التي كانت تعترض طريقه، كانت كثيرة و كبيرة، لكنّه نادي باعلي صوته و بكل قوة قلب و اطمئنان خاطر:

«قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْلِحُوا»

و هذا الايمان الراسخ و العزم الذي لا يلين كان يبنياً و ملازماً له صلوات الله عليه طيلة حياته المشخنة بجراح الاحداث و البليات. ففي حروبه و غزواته، و ابان الفتح و ايام الانكسار الظاهري و في بداية الدعوة و قلة الناصر و تسلط الكفار و الضغوط المادية و الروحية، في كل تلك الحالات، كان النبي صلي الله عليه و آله يُنفذ برامجه بكل اطمئنان و يتقدم نحو الهدف بخطوات ثابتة هادئة مستقرة.

و كان الحسين عليه السلام كجده الاكرم في ارتقاء الرتبة الاعلي في الايمان بالهدف و الاطمئنان و اليقين بصحة السبيل.

كان يعتقد حقانية هدفه، و بطلان نهج الامويين، و إن ما يقوم به انما هو

لصلاح الامة الإسلامية و انقاذها، و كان يعرف أنّ السبيل الوحيد لافشال مخططات بني امية هو بالامتناع عن بيعة يزيد و الثورة ضده.

كان الحسين عليه السلام متيقناً إنّ الطريق الذي سلكه موافق لرضا الربّ عزوجل و الرسول صلي الله عليه و آله و انه ينتهي به الي الشهادة و السعادة. و من ثمّ، اعلن صراحةً مخالفته لاستخلاف يزيد مع علمه المسبق بان ذلك سيكلفه غالياً، و استقبل كل المصائب و البليات ليقينه بانها بعين الله و رضاه.

فكما التاجر الذي يتيقن الربح الكبير في معاملة تجارية، لا يتراجع عنها أبداً فكذلك الحسين عليه السلام الذي تعامل مع ربّه معاملة يعلم بكل ارباحها و منافعها الدينية الاخرية، و من حَمَل مثل هذا اليقين بالله و بثوابه الجزيل، لا يقبل بالبديل، فمهما كانت التضحيات، كان النفع أعظم.

لقد كان ابو عبد الله الحسين عليه السلام متيقناً و جوب دفع الاخطار المحدقة بالاسلام و المسلمين، و يعلم أيضاً ان ذلك متوقف حصراً علي استشهاد و تسليمه للبلاء بعد البلاء.

إقرأوا تاريخ واقعة كربلاء من البدء الي الانتهاء، و ستجدون الايمان الراسخ بالقضية و الهدف و المصير و المسير، جلياً واضح التجسد في الحسين و ابنائه و اصحابه و نسائه و اخواته و بناته.

لقد كانت كلمات الحسين عليه السلام في المدينة و في مكة و في الطريق و في كربلاء، بمضمون واحد و ان اختلفت العبارات، ففي المدينة و عندما طلب منه الوليد ان يبايع يزيداً، قال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبَوَةِ وَ مَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَ مُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَ مَهْبَطُ الرَّحْمَةِ، بِنَا فَتَحَ اللَّهُ وَ بِنَا خَتَمَ وَ يَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبٌ خَمْرٍ قَاتِلٌ نَفْسٍ مَعْلَنٌ بِالْفَسْقِ، فَمِثْلِي لَا

ولما قال له مروان بن الحكم ان صلاحه في مبايعة يزيد قال عليه السلام:

«إنا لله وانا اليه راجعون و علي الإسلام السلام اذ إبتليت الأمة براعٍ مثل يزيد»(2)

فالحسين عليه السلام يري ان بيعه يزيد خيانة للإسلام، و أنها تعني نهاية الإسلام و اضمحلاله، و الموافقة علي مبايعته يعني إمضاء تدمير الإسلام و انقراضه.

وورد هذا المعني ايضاً عنه عليه السلام عند قبر جدّه رسول الله صلي الله عليه و آله و مواضع اخري.

و في مكة، و في ضمن خطبته المعروفة «خُطِّ الموتُ علي وُلْدِ آدَمَ» اعلن الحسين عليه السلام صراحةً بramerه، و بيّن نهاية المطاف بوضوح.

و ذكر ابن الاثير عن عتبة بن سمعان الكلبي قال:

لما ارتحلنا من قصر ابن مقاتل، و سرنا ساعة خَفَقَ رأسُ الحسين عليه السلام خفقةً ثم انتبه فاقبل يقول: «إنا لله و إنا إليه راجعون» و «الحمدُ لله ربّ العالمين» مرتين.

فاقبل اليه علي بن الحسين عليهما السلام و هو علي فرس فقال له: يا أبي جعلتُ فداك مِمَّ استرجعت؟ و علامَ حمدت الله؟

قال الحسين عليه السلام: يا بني انه عَرَضَ لي فارس علي فرس، فقال: القوم يسرون و المنايا تسيرُ اليهم، فعلمت أنها أنفُسُنَا نُعيثُ اليها.

فقال: يا أبتاه لا اراك الله سوءاً أبداً، السنا علي الحق؟

قال: بلي و الذي يرجع اليه العباد.9.

ص: 154

1- مقتل الخوارزمي ص 184 ف 9.

2- مقتل الخوارزمي ص 184 ف 9.

فقال: «يا ابت، فاذاً لا نُبالي أن نموت محقّين.»

فقال له الحسين عليه السلام: «جزاك الله من ولدٍ خَيْرٍ ما جزى ولدًا عن والدِهِ.» (1)

وفي احد المنازل خطب خطبةً باصحابه واصحاب الحُرِّ، وبعد ان حمد الله واثني عليه، قال:

«أيها الناس إنّ رسولَ الله صلي الله عليه وآله قال: من رأي سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرْمِ الله ناكثاً لعهدِ الله مخالفاً لسنة رسولِ الله صلي الله عليه وآله يعملُ في عبادِ الله بالإثم والعُدوانِ فلم يُغَيِّرْ عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقاً علي الله أن يَدْخِلَهُ مَدْخِلَهُ أَلَا و انَّ هؤلاء قد لَزِمُوا طاعةَ الشَّيْطَانِ وتركوا طاعةَ الرَّحْمَنِ وأظهروا الفَسَادَ وعَطَّلُوا الحدودَ واستأثروا الفَيِّ وأحلُّوا حرامَ الله وحرَّموا حلاله وأنا أحمقُ من غَيَّرَ.» (2)

وقال عليه السلام للفرزدق:

«أنا أولي مَنْ قامَ بِنُصرةِ دينِ الله وإعزازِ شَرَعِهِ والجهادِ في سبيله لتكونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا» (3)

واصرح كلام صدر عنه في هذا المعني، هو خطبته يوم عاشوراء في جيش عمر بن سعد، والتي تدل علي ثباته علي نفس المبادئ والقيم التي اعلن عنها في المدينة وفي مجلس الوليد، وانه لم يعدل عنها ولم يتغير ابداً، فقد جاء في خطبته البليغة تلك:

«ألا و انَّ الدَّعِيَّ ابنَ الدَّعِيِّ قد ركزَ بَيْنَ اثنتين، بَيْنَ السَّلَّةِ والذَّلَّةِ، و هيهات ممَّا الذَّلَّةُ يَأْبِي اللهُ تعالي ذلك لنا ورسولُهُ والمؤمنون و حُجُورٌ طابت و.»

ص: 155

1- الكامل ج 3 ص 272. مقاتل الطالبين ص 111.

2- الكامل ج 3 ص 280. تاريخ الطبري ج 4 ص 304.

3- تذكرة الخواص ص 252.

9 - شجاعة الحسين عليه السلام

قد يظنُّ البعض، إنَّ شجاعة الحسين عليه السلام هي تلك القوة العضلية الجسدية، وعلمه بفنون القتال والحرب، وقتل الأبطال والفرسان، وإنَّ أروع صور شجاعته هي حملاته وصولاته منفرداً علي جيش الأعداء وتفريق جموعهم وفرارهم بين يديه كفرار الأغنام بين يدي الذئب، وعندما يسوا من منازلته وجنوا، أخذوا يرشقونه بالحجارة والسهام، وهؤلاء وان استطاعوا ان يقتلوا الحسين عليه السلام ويطعوا ويقطعوا رأسه ويرفعوه علي راس الرمح، ولكن لم يدع أيُّ منهم إنَّه استطاع ان يناجزه ويقتله، وانما اجتمع عليه نفرٌ بعد ان ائخن بالجراح واضرَّ به العطش حتي اسودَّت السماء بعينه، واعياه النزف وأضعفه، فاستبسل الجبناء بالاجهاز عليه بطريقة وحشية حاقدة باجمعهم حتي اختلفوا في تعيين قاتله.

يقول ابن حجر في شرح الهمزية: «وكان أكثر مقاتليه المكاتبين له والمبايعين له فلما جاءهم فرّوا عنه الي عدوه وكان الجيش الذي ارسله ابن زياد لمحاربتة عشرين ألف مقاتل فحارب ذلك الجيش الكثير ومعه من أهله نيف وثمانون فقتل أكثرهم وثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً ولولا انهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه اذ هو الشجاع القرم الذي لا يحول ولا يزول»(2) اذن، لقد كانت حملات الحسين عليه السلام وصولاته مظهراً من مظاهر شجاعته و

ص: 156

1- كتب المقاتل. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 302.

2- الاتحاف ص 16.

ليست كل شجاعته، فالشجاعة التي نحن بصدددها، والتي تعدُّ من جملة سجايا الحسين عليه السلام البارزة، هي تلك الحالة النفسانية و
الروحية الوسط بين التهور و الجبن، والتي تمنع صاحبها من الخوف و الجبن و الضعف و الفتور، و تردعه عن التهور و التجبر و الظلم و
الاسراف.

و هذه الملكة النفسانية، تقود القوة الجسمية العضلانية و توجهها نحو الاعتدال و الاستقامة، و حينئذٍ تعدُّ من الشجاعة، و الأ كانت و بالأ
علي صاحبها و صارت سبباً لملامة الناس له و ذمهم اياه.

و هذه الصفة، من اشرف صفات الكمال و الفضيلة، و ان تجليات الكمالات البشرية مرتبطة.

فالامة التي تنعدم في افرادها تلك الشجاعة الروحية الاخلاقية، يكون مصيرها الي العدم و الفناء، و تصير أسيرة سلطة الاجانب و الطامعين.
فبقاء الأمم و عزتها و كرامتها، رهناً ترجمتها للشجاعة.

فالتقيُّدات الزائدة، و الاحتياط بلا دليل، و خداع عوام الناس، و عدم قبول الرأي الآخر و النقد، و منع الحريات، و كتم الانفاس و الفكر، و
التهور في العمل، و التجاسر المجنون، و الضعف الروحي و عدم الصبر، و الظلم و العمالة للاجنبي، و خيانة الامة، و السرية و التستر في
الامور، و الخنوع و الذل، كلها امور كاشفة عن فقدان الشجاعة. كما ان ضبط النفس و الثبات و الاستقامة، و الصراحة و مقاومة الصعاب و
العقبات، و مواجهة منعطفات الحياة، و قبول النقد و الحوار البتاء، و احترام حريات الآخرين، كلها امور تفرزها الشجاعة.

و كل مظاهر هذه الشجاعة قد تجسدت في الحسين عليه السلام، و كانت روحه مكان جسمه، مركز عرض اسمي مراتب الشجاعة حتي
صارت «الشجاعة الحسينية»

ينقل الشيخ الشبراوي عن بعض اهل العلم إنَّ آل البيت حازوا الفضائل كلها علما و حلما و فصاحة و صباحة و ذكاء و بديهة و جوداً و شجاعة، فعلمهم لا تتوقف علي تكرار درس و لا يزيد يومهم فيها علي ما كان بالأمس بل هي مواهب من مولا هم من أنكرها و أراد سترها كان كمن أراد ستر وجه الشمس فما سألهم في العلوم مستفيد و وقفوا، و لا جري معهم في مضمار الفضل قوم الأَعْزوا و تخلفوا و كم عاينوا في الجلال و الجدال أمورا فتلقوها بالصبر الجميل و ما استكانوا و ما ضعفوا تقرّ الشقاشق اذا هدرت شقاشقهم و تصغي الاسماع اذا قال قائلهم و نطق ناطقهم سجايا خصهم بها خالقهم.

ثم يضيف الشبراوي:

«و قد حل الإمام الحسين عليه السلام من هذا البيت الشريف في اوج ذراه و علافيه علوا تطامنت الثريا عن أن تصل الي معناه، و لما انقسمت غنائم المجد كان له منها السهم الاوفر و الحظ الاكبر، و قد انحصرت جرثومة عزّ هذا البيت فيه و في أخيه فكان لهما من خلال المجد و الفضل ما لا خلاف فيه، كيف لا و هم إنا فاطمة البتول الملحظان بعين الودّ و الرأفة و القبول من أشرف نبي و أكرم رسول:

هُمَا شَمْرًا لِلْمَجْدِ يَبْتَيَانِهِ

ثم يقول:

«و الحسين عليه السلام أقدم بقوة الجنان الي مقارعة الابطال الشجعان و منازل السيف و السنان فكان عليه السلام في حرب أعدائه كرارا صبارا يري الفرار دناءةً و عاراً فلم يزل خائضاً غمرات الاهوال بنفس مطمئنة و عزيمة مرحجة يري مصافحة

الصفاح غنيمة و مراوحة الرماح فائدة جسيمة و بذل المهج و الارواح في نيل العزّ ثمناً قليلاً و يأبي الدنية و إن تركته قتيلاً:

يري الموت احلي من ركوبِ دَيْتِيَّو لَيْسَ بِعَيْشٍ عَيْشٌ مَنْ رَكَبَ الذُّلَا

ثم يقول:

عندما قصد الحسين عليه السلام الكوفة سمع ابن زياد بهذا الخبر و أرسل اليه عشرين الف مقاتل و أمرهم أن يأخذوا البيعة منه ليزيد و إن أبي قتلوه. و عندما عرضوا عليه البيعة لم يقبل و تأسّي بجده و أبيه و لم يرض بالعار و الذلّ و تجلّت فيه الشجاعة و التّجدة الهاشميّة مع أنه كان قد حوصر هو و أهل بيته و أعزّته و أصحابه و صار مرماً للرّماح و التّبال و أثر أن يبقي ثابت القدم في الجهاد و صمد بشهامة عالية و بقوة قلب لا نظير لها في مثل هذا الموقع الخطير و ناداهم قائلاً:

«يا أهل الكوفة ما رأيتُ أَعْدَرَ منكم فُجْحاً لكم، و تَعَساً لكم الوَيْلُ ثمَّ الوَيْلُ، إِسْتَصْرَحْتُمونا فَأَتيناكم، و أسرعتُم إلي بيعتنا سُرعة الذُّباب و لَمَّا أتيناكم تَهافتُم تَهافتُ الفِراشُ، و سلّلتُم علينا سِيوفَ أعدائنا مِن غيرِ عدلٍ أفسوهُ فيكم، و لا ذَنْبٍ مِنّا كان إليكم، ألا لعنةُ اللهِ علي الظّالمين.»

ثمَّ حَمَلَ عليهم، و سَيْفُهُ مصلّتٌ في يده و هو يُنشدُ:

أنا ابنُ عليّ الحِبرِ من آلِ هاشمِ كَفاني بهذا مَفخراً حينَ أَفخُرُ(1)(2).

و يقول الشبراوي أيضاً: ثم لم يزل يقاتلهم الي ان اثنونه بالجراح فطعن إحدي و ثلاثين طعنة و ضرب أربعاً و ثلاثين ضربة و غلب عليه العطش الي أن سقط الي الارض و مكث طويلاً من النهار كلما انتهى اليه رجل من أعدائه رجع عنه و كره أن يتولي قتله فقدم عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه علي رأسه بالسيف قطع البرنس و أدماه. و مكث طويلاً من النهار و لو شاؤوا أن يقتلوه لقتلوه و لكنهم كان يتقي بعضهم ببعض و يحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادي شمر في الناس و يحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم أمهاتكم فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك التميمي بكفه اليسري فصار يقوم و يكبو بقوة جاش و ثبات جنان و فضل شجاعة و عدم مبالاة بما فيه من الجراح و تمسك بشهامة قرشية و هاشميّة غير مكترث ذلك الاسد الوثاب بنهش تلك الكلاب». (1) و روي الطبري و ابن الاثير عن عبد الله بن عمار: «فشدّ عليه رجالة ممّن عن يمينه و شماله، فحمل علي من عن يمينه حتي ابتعدوا، و علي من عن شماله حتي ابتعدوا، و عليه قميص له من خزّ و هو معتمّم؛ قال: فوالله ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده و أهل بيته و أصحابه، أربط جأشاً، و لا امضي جناناً و لا أجراً مقدماً منه، و الله ما رأيتُ قبله و لا بعده، مثله؛ أن كانت الرّجالة لتتكشف من عن يمينه و شماله انكشاف المعزي إذا شدّ فيها الذنب، قال: فوالله إنه لكذلك إذ خرجتُ زينبُ ابنة6.

ص: 159

فاطمة أخته، وهي تقول:

«لَيْتَ السَّمَاءَ تَطَابَقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ!»

وقد دنا عمر بن سعد من حسين؛ فقالت:

«يَا عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ أَيُّ قَتْلٍ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ!»

قال: فكأنني أنظر الي دموع عمر و هي تسيل علي خديه و لحيته؛ قال: و صرف بوجهه عنها.(1) و يقول ابن ابي الحديد:

و من كالحسين عليه السلام في شجاعته حيث نقل من حضر كربلاء أننا لم نجد مكثوراً قط قتل أهله و ولده و أصحابه أشجع منه حيث كان يحمل علي الاعداء فينهزمون من بين يديه كفرار المعزي و كيف ظنك برجل لا يرضي بالذل و لم يضع يده في يدهم حتي قتل.(2) و يقول العقاد:

«و شَجَاعَةُ الْحُسَيْنِ صِفَةٌ لَا تُسْتَعْرَبُ مِنْهُ «الشَّيْءُ مِنْ مَعْدِنِهِ» كَمَا قِيلَ، وَ هِيَ فَضِيلَةٌ وَرَثَهَا عَنِ الْآبَاءِ وَ أَوْرَثَهَا الْأَبْنَاؤُ بَعْدَهُ»

الي ان يقول:

«و لَيْسَ فِي بَنِي الْإِنْسَانِ مَنْ هُوَ أَشْجَعُ قَلْباً مِمَّنْ أَقْدَمَ عَلَيَّ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ فِي يَوْمِ كَرْبَلَاءَ».

و يقول في موضع آخر:2.

ص: 161

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 345. الكامل لابن الاثير ج 3 ص 295.

2- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 482.

فإنه كان يقاسي جهد العطش والجوع والسهر ونزف الجراح ومتابعة القتال، ويلقي باله إلي حركات القوم ومكاندهم، ويدبر لرهطه ما يحبطون به تلك الحركات ويتقون به تلك المكائد، ثم هو يحمل بلاءه و بلاءهم... ويتكاثر عليه وقر الأسي لحظة بعد لحظة كلما فجع شهيد من شهدائهم. و لا- يزال كلما اصيب عزيز من اولئك الأجزاء حمله الي جانب اخوانه وفيهم رمق ينازعهم و ينازعونه و ينسون في حشرجة الصدور ما هم فيه... فيطلبون الماء و يحز طلبهم في قلبه كلما أعياه الجواب، و يرجع الي ذخيرة بأسه فيستمد من هذه الآلام الكاوية عزماً يناهض به الموت و يعرض به عن الحياة... و يقول في أثر كل صريع: «لا خير في العيش من بعدك» و يهدف صدره لكل ما يلقيه... (1) و يقول أيضاً:

«و ظلّ (الحسين عليه السلام) علي حضور ذهنه و ثبات جأشه في تلك المحنة المتراكبة التي تعصف بالصبر و تطيش بالألباب، و هو جهد عظيم لا تحويه طاقة اللحم و الدم، و لا ينهض به إلا أولوا العزم من أندر ما يلد آدم و حواء.»

و لكنّ حسين عليه السلام الشهامة و الاستقامة و الايمان، تحمّل كل هذه المصائب و دافع تلك البليات التي تكفي واحدة منها لهّد عزم اشجع الشجعان، كما يدفع الشجاع عن نفسه الابطال في الوغي.

بوركت حقيقة الإنسانية التي اذا تجلّت غطت كل مناظر الجمال في عالم الخلقة، و منحت لحم و دم و عظام و شحم الإنسان قدراً عالياً و تسامت حتي ساوت كل الممكنات وزناً و قدراً و اعتباراً، و اهتزت رايتها في السماوات العلي!3.

ص: 162

1- ابو الشهداء ص 133-136.

وبورك طلب الحق ورضا الرب، الذي يرتفع بروح الإنسان و يُعظمها الي درجة الارتقاء الي مصاف الانوار القدسية.

وبورك آل محمد، اهل بيت الرسالة، وقربي النبوة، الذين علّموا البشرية دروس الشرف و الاستقامة و الصبر و الفداء و رباطة الجأش و العزيمة!

وبوركت الامة الإسلامية، و الفخر و العزُّ للطائفة الشيعية الحقة و الفرقة المحققة، التي تحيي الذكرى السنوية لهذه التضحيات و الفداء الفريد، و التجلّي العظيم للروح الإنسانية مستفيدة و مفيدة من هذه المراسم و الشعائر، دروس الاباء للمجتمع البشري!

10 - تجليات عظمة الحسين عليه السلام

إشارة

يتحدث العلايلي ضمن تعداده لمظاهر عظمة الحسين عليه السلام، عن عظمة صراحة لهجة الحسين و صدقه، و عن عظمة تصميمه، و عن عظمة إباء نفسه و علو همّته و رجولته.

و لان هذه المزايا التي ذكرها مستقاة من روح الحسين عليه السلام الفيّاضة الشجاعة الظافرة، لذا فسنتصر علي نقل مقاطع من كلام العلايلي:

عظمة المضاء

و هذا جانب أكثر عمليّةً من الصراحة إذ هو التصميم و العزم النافذ و توطين النَّفس الي النهاية علي أية أشكالها. و هذا شي يشعر به أرباب المشاعر المرهفة حتي أنهم يحسون في دماهم غلياناً، كأن بركاناً انفجر و ثار في سرايينهم فهو يقذف بالحمم و يندفع كالسيل الناري حين ينصب من علو بين الشرر المتصاعد و القوة

ص: 163

المتدافعة، و بين النَّفس اللافح و الانهمار القوي، فلا براح من أن يمضي بدون تراخ تحت شعوره الجيَّاش و احساسه الملتهب. و اسمعوا اسمعوا إلي كلمات الحسين عليه السلام كيف تخرج مع هذا الشعور الخطير قال: «الحمد لله، و ما شاء الله و لا قوة إلا بالله و صلي الله علي رسوله خُط الموت علي ولد آدم مخط القلادة علي جيد الفتاة، و ما أولهني إلي أسلافي اشتياق يعقوب إلي يوسف، و خير لي مصرع أنا لاقيه كأني بأوصالي تقطعها عُسلان الفلوات بين النواويس و كربلا فيملأن مني أكراشاً جَوْفًا و أجربة سغباً لا محيص عن يوم خط بالقلم رضي الله رضانا أهل البيت، نَصبر علي بلائه و يوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلي الله عليه و آله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تُقَرُّ بهم عينه و ينجز بهم وعده، إلاّ فمن كان باذلاً فينا مهجته و موطناً علي لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فاني راحل مصباحاً إن شاء الله تعالي».

هذه الكلمات الثائرة كانت منطلق الحسين عليه السلام لأولئك الذين أرادوا أن يحملوه علي غير رأيه، و لهؤلاء عذرهم فانهم لا يحملون نفسه و لا يشعرون بشعوره، و لا تتوقّد في نفوسهم ما يتوقّد في نفسه.

و لندرك عظمة هذا الموقف الذي يقفه إلا أن يمضي الي غايته، نذكر الرجال الذين نهوه عن الخروج، منهم أبوبكر عمر بن عبد الرحمن المخزومي، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن عمر، و محمد بن الحنفية، و كلهم من خُلص الرجال، و لكنهم في مواجهة الرجولة الحقّة فقدوا جلد الرجولة و بدوا كدقاق الحصي في سفح الجبل الأشم حين تعصف العاصفة، تُسمع أصواتاً مع انحدارها و ربما كانت ضجة من الأصوات، و الجبل في موقفه ساخر في صموت، و ساكن في غير مبالاة. و ربما كان جواباً خالداً في التصميم، و العزيمة، قول الحسين عليه السلام لابن عمر لما أشار عليه بصلح أهل الضلال، و حذره من القتل و القتال فقال: «يا أبا عبد الرحمن

أما علمت أن من هوان الدنيا علي الله، أن رأس يحيى بن زكريا، أهدي الي بغيا بني اسرائيل»

هذه فقرة نبيلة من جواب الإمام، تجعلنا نلمس مقدار قوة التصميم عنده، و مقدار مضاء العزيمة لديه، لتحقيق هدفه الذي لا يحيد عنه قيد أنملة.

وكذلك مضي وهو لا يري إلا مبدأه الذي يأتلف من كلمات ثلاث، ثم لا يسمع سوي صوت هذه الكلمات عميق الصدي سحرياً...

اللهُ رَسوله القرآن

عظمة الإباء

وهذا جانب آخر من عظمة الإمام الشهيد، ولكنه أنبلها جميعاً وذلك إذا رأينا كيف يفقد المبدأ و الصراحة و المضاء ما فيها من معاني إذا أرضت صاحبه شهوة أو أقنعه مُنفس، أو أجاب الي دنيا. وليست تفقد معناه فحسب بل ينقلب النبل فيها عاباً، و الشرف حطة فكان الإباء حجر الأساس و ركن الزاوية و كذلك أي الامام عليه السلام إلا الاباء و نطق بها كلمة تفرق منها نفس العاتي و تضؤل معها كبرياء الظالم «لا و الله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، و لا أفر فرار العبيد، يا عباد الله إني عدت بري و ربكم أن ترجمون، أعوذ بري و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»(1)

ثم قال عليه السلام:

«ثم ايم الله لا تلبثون بعدها إلا كزيت ما يركب الفرس حتي تدور بكم دور»

ص: 165

1- سمو المعني ص 117.

الرَّحِي، وَتَقَلَّقَ بِكُمْ قَلَقَ الْمَحْوَرِ عَهْدٌ عَهْدُهُ الْيَّ أَبِي عَنِ جَدِّي فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ، وَشُرَكَائِكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (1)

ثم أناخ راحلته، وركب فرسه، وتهيأ للقتال...

أَعْظَمَ بِهِ بَطْلًا لَمْ يَعْطِ مَتَّصِعًا

أَكْرَمَ بِهَا خَلَّةً كَانَتْ لَنَا نَهَجًا ثُمَّ اسْتَمَرَّتْ عَلَيَّ الْإَيَّامُ نِيرَاسًا

أجل، ان الحسين عليه السلام وبما ورثه من عزّة عن جدّه وبياء شخصيته لم يهن ولم ينكل أبداً، وعجز التاريخ أن يجد له نظيراً في شموخه وإبائه وعزّته. فلقد كان الحسين عليه السلام ولازال معلّم الأجيال معلّم العزّة والشموخ.

ويقول ابن أبي الحديد:

«سَيِّدُ أَهْلِ الْإِبَاءِ الَّذِي عَلَّمَ النَّاسَ الْحَمِيَّةَ وَالْمَوْتَ تَحْتَ ظِلَالِ السَّيُوفِ إِخْتِيَارًا لَهُ عَلَيَّ الدِّنْيَةَ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الَّذِي عُضُّهُ عَلَيْهِ الْأَمَانُ وَأَصْحَابُهُ فَأَنْفَ مِنَ الذَّلِّ...» (2)

عظمة البطولة:

هذا جانب من العظمة أشد ما يكون وضوحاً عند الحسين عليه السلام، وربما لم يظهر عند غيره بالروعة التي نراها عنده، ولعل أبرع مواقف بطولة الحسين عليه السلام، هذا

ص: 166

1- مقطع من خطبة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

2- شرح نهج البلاغة ج 1 ص 302.

«قوموا رحمكم الله إلي الموت الذي لا بد منه، فإن هذه السهام رُسلُ القوم إليكم»، فاقتلوا ساعة من النهار حملةً و حملةً، حتى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة. فعندئذ ضرب الحسين عليه السلام يده إلي لحيته و جعل يقول:

«اشتد غضب الله علي اليهود إذ جعلوا له ولداً، و اشتد غضبه علي النصاري إذ جعلوه ثالث ثلاثة، و اشتد غضبه علي المجوس إذ عبدوا الشمس و القمر دونه، و اشتد غضبه علي قوم اتفقت كلمتهم علي قتل ابن بنت نبيهم، أما و الله لا أجيهم إلي شيء مما يريدون حتي ألقى الله و أنا مخضب بدمي»⁽¹⁾

محل الروعة البالغة أو بلاغة الروعة في قوله «قوموا إلي الموت رحمكم الله» و في قوله «أما و الله لا أجيهم إلي شيء مما يريدون حتي ألقى الله تعالي و أنا مخضب بدمي»

هاتان الفقرتان اللتان ترسمان بكل وضوح نفسية الحسين عليه السلام غير هيب و لا وجل و لا شكس و لا وكل. يدعو أصحابه إلي الموت كأنما هو يدعوهم إلي مأدبة لذيذة، و لقد كانت لذيذة عنده حقاً، لأنه و هو ينازل الباطل يرتسم له برهان ربّه الذي هو مبدؤه، و يسمع صوت الله الذي هو صوت ضميره، ثم يشد علي القوم، و هو لا يري بناظره إلا هذه الكلمات الثلاث...

اللهُ رسوله القرآن

و اذا ما اردنا ان نواصل الحديث في شجاعة الحسين عليه السلام و ثباته الروحي و الجسدي، لن نكمل كتابة هذا الكتاب قريباً، و لذا نحاول ان نظوي هذه الصفحة 8.

ص: 167

المشركة من حياة أبي الشهداء، ونقنع بهذا القليل، محيلين القارئ العزيز الي كتب المقاتل، للتأمل في تاريخ حياة و سيرة الإمام الحسين عليه السلام.

11 - صبر الحسين عليه السلام

إشارة

تعدُّ هذه الصفة من اصول الاخلاق الحميدة و الملكات المحمودة، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم وصلت الي السبعين آية في خصوص الصبر، من جملتها:

«أَنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (1)

«وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (2)

«وَصَبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (3)

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا» (4)

«إِصْبِرُوا وَصَابِرُوا» (5)

«وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ» (6)

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (7)

و من الروايات المعروفة في هذا المجال:

ص: 168

1- سورة الزمر، الآية 10.

2- سورة النحل، الآية 96.

3- سورة الانفال، الآية 46.

4- سورة السجدة، الآية 24.

5- سورة آل عمران، الآية 200.

6- سورة مريم، الآية 65.

7- سورة البقرة، الآية 153.

«الصبرُ من الايمانِ كالرأسِ من الجسدِ لا خيرَ في جسدٍ لا رأسَ معهُ ولا في ايمانٍ لا صبرَ معهُ»

و عن امير المؤمنين عليه السلام:

«إطْرَحْ عَنْكَ وَاِرْدَاتِ الْهُمُومِ بِعِزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ»⁽¹⁾

و للوقوف علي فضيلة الصبر و تعريفه و مراتبه و درجاته و اقسامه، راجع كتب الحديث و الاخلاق، كبحار المجلسي و المحجة البيضاء و جامع السعادة و معراج السعادة.

يقول الراغب في «مفردات القرآن»:

«الصبرُ حبسُ النفسِ علي ما يقتضيه العقلُ و الشرعُ أو عَمَّا يقتضيانِ حبسَهُمَا عَنْهُ.»

و المستفاد من الآيات و الروايات، مضافاً الي علو مقام و مرتبة الصابرين، ان الصبر مفتاح البركات، و انه مقدمة لنيل كل المقامات المعنوية، و انه شرط الموفقية و النجاح في كل عمل و كسب كل فضيلة.

و لقد نجح الإمام الحسين عليه السلام في الامتحان في مقام الصبر نجاحاً أبهرَ اعداءَهُ قبل محييه، بل ان صبرَهُ مما تعجبت منه الملائكة، و كما ورد في الزيارة المنسوبة الي الناحية المقدسة:

«لَقَدْ عَجَبْتُ مِنْ صَبْرِكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ»⁽²⁾

و وصل صبره الي درجة انه صار من اوضح الواضحات و المسلّمات، و لكنن.

ص: 169

1- شرح نهج البلاغة. ابن ابي الحديد ج 1 ص 107.

2- الزيارة الناحية - ضياء الصالحين.

و مع ذلك و لتتميم الفائدة الاخلاقية و السلوكية، نعرض لبيان عدة تجليات من صبره عليه السلام:

الصبر علي الجهاد:

و أحد معاني هذا الصبر، هو عدم ضعف المجاهد في سبيل الله، اذا ما اتخن بالجراح، و عدم الادبار في المواجهة، و عدم التزلزل في العزم و الصمود، و المحافظة علي الاقدام عند مواجهة الحشود الهاجمة.

إن من جملة اسباب فتوحات المسلمين في صدر الإسلام، هو حالة الصبر التي كانوا يتدربون بها في الجهاد لكسب الثواب و الفوز بالقرب الالهي في ساحات الوغي، و القرآن يمتدح هؤلاء بقوله:

«و الصابرينَ في البأساء و الصَّرَاءِ و حين البأس»(1)

و قال تعالي:

«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ و اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»(2)

و هذا السبق في سوح الجهاد، كان و بالدرجة الاولي نصيب علي عليه السلام و آل علي، حيث لم نعهد لهم هزيمة و إداراً أبداً. فلقد كان امير المؤمنين عليه السلام في بدر و أحد و الاحزاب و حنين و غيرها من الحروب و الغزوات، ثابت القدم و في غاية الصبر و التحمل، حتي انه اصيب في «أحد» بتسعين جراحة و ضربة، و لم يكف عن القتال دفاعاً عن رسول الله صلي الله عليه و آله و عن الإسلام.

ص: 170

1- سورة البقرة، الآية 177.

2- سورة البقرة، الآية 249.

و لقد اصيب اخوه جعفر ابن ابي طالب في «مؤته» باكثر من سبعين جراحة سيف و رمح و سهم، و مع ذلك بقي رافعاً راية الإسلام عالية حتي قُطعت يده الكريمتان، و طبقاً لبعض الاخبار انه بقي مرابطاً حتي قُدَّ جَسَدُهُ نصفين.

يقول عباس محمود العقّاد واصفاً صبر الحسين عليه السلام:

فانفرد وحده يُقاتل الزحوف المطبقة عليه، و كان يحمل علي الذين عن يمينه فيتفرقون، و يشدُّ علي الخيل راجلاً و يشقُّ الصفوف وحيداً و يهابه القريبون فيبتعدون، و بهمُّ المتقدمون بالاجهاز عليه ثمَّ ينكصون...»

ثم يقول:

«و وجدت بعد موته عليه السلام ثلاث و ثلاثون طعنة، و اربع و ثلاثون ضربة غير اصابة النبل و السهام و احصاها بعضهم في ثيابه فاذا هي مائة و عشرين»(1) بل، ان المستفاد من بعض الروايات أنّ مجموع الجراحات الواردة علي جسده الشريف بلغت (310) جراحة سيف و طعنة رمح و إصابة سهم و جرح حجارة، و الملفت للنظر هو أنّ كل تلك الجراحات كان في مقدم جسده و وجهه و صدره الشريف.(2) و مع كل هذه الجراحات الدامية، ظلَّ يجاهد و ينازل الجموع و يرتجز و يحمل علي الرجال راجلاً، حتي انه و عندما خرَّ علي وجهه جعل يقوم و يكبو و هم يطعنونه برماحهم و يضربونه بسيوفهم حتي سكن حراكه، فتنادي القوم بمصرع الحسين عليه السلام فبلغت صيحتهم مسمعه الذي اثقله النزاع، فلم يخطر له انه ضعيف 1.

ص: 171

1- ابو الشهداء ص 155.

2- القمقام الزخّار ص 468. مروج الذهب ج 3 ص 11.

منزوف فالتمس سيفه فاذا هم قد سلبوه، فلم يجد الا مُدِيَّة صغيرة قنع بها و غالب الوهن و الموت ثم وثب علي قدميه من بين الموتى وثبة المستيئس الذي لا يفرُّ من شئ، فتولاهم الذعر، و سُدَّتْ أيديهم من الخوف، فانطلق يُثخن فيهم قتلاً و جرحاً و لم يقووا عليه، فكان عليه السلام الصابر حقاً و المجاهد صدقاً.

الصبر علي فقدان الأحبة

و هذا القسم من الصبر، اشدُّ من الصبر علي الجراح و السيوف و الأسرع في اضعاف العزيمة، و لكنَّ الحسين الذي يعدل صبره و ثباته صبر الجبال الرواسي، صبر علي تلك المصائب المفجعة من مصرع الاولاد و الاخوة و الاحبة و هم خير الأهل و خير الصَّحْب الذين كانوا يتلظون عطشاً امام عيني الحسين عليه السلام، لكنه صبر. صَبَرَ الحسينُ صبراً لم يشهد عالم الخلقة الإنسانية نظيراً له، صبر عندما رُمِيَ طفله الرضيع في حجره بسهم حقود مسموم، و صبر عندما ضرب ابنُ اخ له لم يتجاوز العاشرة من عمره، جاء مدافعاً عن عمه الحسين عليه السلام فضربه لئيم من اللئام بضربة اتقاها الغلام بيده فقطعت يده و هو في حجر عمه الذي كان ملقي علي الرمضاء، و حيداً لا ناصر له و لا معيناً، و صبر الحسين عليه السلام عندما رأى طفلاً له فرَّ من الخيمة طلباً لجرعةٍ من الماء يطفئ بها لهيب قلبه الذي اضرَّ به العطش فاذهله عن مخاطر تلك الساعة، فضربه القوم بعامود خيمة لا يتحملها كبار الرجال، فقضي الغلام عطشاً مظلوماً.

و صبر الحسين عليه السلام و أمر ابن اخيه الصغير الذي قطعت يده في المعركة و بقيت معلقة بجلدة عضده، أمره بالصبر كما يأمرُ الفرسانَ بذلك، و قال:

«يا ابنَ أخي إصبرِ علي ما نَزَلَ بك، و احتسب في ذلك الخَيْر.»

وصبر الحسين عليه السلام وهو يري بوادر أسر بناته و اخواته و نساته و هنَّ عقائل النبوة و مخدرات الامامة، و كان وُقِع ذلك علي قلبه، أكبر من وقع السيوف و الرماح، لكنه صَبَرَ و أوصاهم بالصبر و الوقار و التحمل و بشرهم برحمة الله و لطفه و حمايته لهم، فقال:

«وَرَحْمَةُ اللَّهِ لَا تُفَارِقُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.»

ضبط النفس

ورد عن رسول الله صلي الله عليه و آله أنَّ القوي من ملك نفسه عند الغضب، و لم يُعهد عن الحسين عليه السلام انه تبع غضبه يوما ما، بل كان مالكا لنفسه حين غضبه، و مهما اجتمعت عليه مناشئ الغضب لم تؤثر في سلوكه و لو لطفة عين، و لم تخرجه عن حلمه و سكينته، يقول العليالي:

إنَّ غلاماً وقف يصبُّ الماء علي يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطست، فطار الرشاش في وجهه فقال الغلام يا مولاي: «و الكاظمين الغيظ»

قال عليه السلام: كظمت غيظي، قال: «و العافين عن الناس» قال عليه السلام: «قد عفوت عنك»، قال: «و الله يحب المحسنين». قال الحسين عليه السلام: «اذهب فانت حرٌّ لوجه الله الكريم»⁽¹⁾

و من جملة تجليات حلم الحسين عليه السلام و ملكه لنفسه ساعة الغضب، ما قام به في كربلاء عندما التقاه جيش الحرّ بن يزيد و هم عطاشا في تلك الصحراء القاحله فسقاهم الحسين عليه السلام الماء عن آخرهم و سقي خيولهم و رشفها.

ص: 173

1- سمو المعني ص 161.

يقول علي بن الطعان المحاربي: كنت مع الحرّ بن يزيد، فجئت في آخر من جاء من اصحابه، فلمّا رأيت الحسين مابي و بفرسي من العطش قال: «يا ابن أخ أنخ الراوية» فانخته، فقال: إشرب، فجعلت كلاً ما شربت سال الماء من السقاء، فقام الحسين عليه السلام: «إخنث السقاء» اي اعطفه. قال: فجعلت لا ادري كيف أفعل، فقام الحسين عليه السلام فخنّته، فشربت و سقيتُ فرسي.»(1) و من نماذج صبر الحسين عليه السلام إباؤه البدء بالحرب، علي معرفته بان هؤلاء الكفار لن يرحموه و لن يرحموا اعزّته، فرموه بالنبال و صبر و اقام الحجّة عليهم و لم يمدّ ولا أحدٍ من صحبه يداً علي سلاح.

لما وصل كتاب ابن زياد الي الحرّ بن يزيد بمحاصرة الحسين عليه السلام و الجعجعة به علي غير ماء و كلاء، قال زهير بن القين: يا بن رسول الله انّ قتال هؤلاء اهون علينا من قتال من يجئ من بعدهم، فقال له الحسين عليه السلام:

«إني اكره أن أبدأهم بقتال»

و حتي عندما منعوا الماء عن الحسين عليه السلام و صحبه، فلم يبق في مخيم الحسين ذوروح من الرجال و النساء و الاطفال و حتي الجياد، الا و هو يعاني من العطش، و تعالت الصرخات بالعطش، مع ذلك لم يبدأهم الحسين عليه السلام بقتال.

و رأي شمّر ابن ذي الجوشن، - من أبغض مبغضيه المؤلّيين عليه يدنو من بيوته و يجول حولها ليعرف منفذ الهجوم عليها، فابي علي صاحبه مسلم بن عوسجة ان يرميه بسهم و قد امكنه ان يصميه و هو اسدّ الرماة، لانه (اي الحسين عليه السلام) كره ان يبدأهم بعداء(2)، و كانه اراد ان تكون حربه دفاعية محضه.3.

ص: 174

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 603. منشورات مؤسسة الاعلمي.

2- ابو الشهداء ص 143-144.

و من جملة مظاهر عفوه و صبره، و عملاً بالآية الشريفة: «و لِمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُور»(1)

هو قبوله توبة الحر بن يزيد، و ملاطفته له و محبته اليه، و هو لا يصدر إلا من معدن الصبر و الحلم و العفو و المغفرة.

الصبر علي العطش

و لعمرى إنّه لمن اقوي انواع الصبر، و خاصة عندما يشتد العطش بالمرء.

فالثبات و الصمود عند اشتداد العطش و عدم الخضوع و التسليم للباطل، لهو من علامات العزم الراسخ الكبير و لعلنا لا نجد في التاريخ من صَبَرَ علي العطش كالحسين عليه السلام.

و بحسب النقولات التاريخية، فان الماء قد مُنِع عن خيام الحسين عليه السلام من اليوم السابع من المحرم، و ان كان بعض اصحاب الحسين عليه السلام و خاصة ابو الفضل العباس قد تمكنوا من الاستقاء لبعض الماء ما بين اليوم السابع و العاشر، فان هذا الماء كان يخصص للاطفال و النساء و لم يكن للكبار نصيب فيه، و علي هذا فالحسين و أصحابه لم يشربوا الماء ليومين أو ثلاثة أيام، و يكون صبرهم علي العطش، خاصة يوم القتال، صبراً لا نظير له. و من عاش حرارة الطقس في العراق، يعرف جيداً ان تحمل العطش لعدة ساعات امرٌ بعيد المنال، خاصة في زحمة الجهاد و المبارزة و الجراح و حرارة الشمس و نزع الدم و الهيجاء و الغبار، كل ذلك باعث علي اشتداد إضرار العطش، و لكن الإمام العطشان صبر علي ذلك و لم يستسلم لاولئك

ص: 175

صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ

الصبر علي الطاعة

لا شكَّ في أنَّ كلَّ تجليات صبر الحسين عليه السلام انما كانت طاعة لله و أمره، و لامثال تكاليفه، فاستقبال الحسين عليه السلام لتلك البليّات و المصائب، و رفضه لكل الدعوات التي صدرت من محيبيّه و من اعدائه، للتنازل و الاستسلام و البيعة ليزيد، انما كانت امتثالاً للاوامر و النواهي الالهية و تطبيقاً لاحكام الشريعة و تجسيداً للصبر علي الطاعة.

عزيزي القارئ، إنّ شخصية الإمام الحسين العظيمة، و مناقبه و فضائله و كرائم اخلاقه، قد بلغت و في كل الجهات، حدّاً من العظمة الي درجة استحالة الالمام بها بعدة مقالات، بل و حتي المؤلفات المستقلة المختصة بذلك عاجزة عن الاحاطة ببعضها، و لذا نجد أنفسنا عاجزين الأعمّا قدمناه من مختصر و جيز لبعض تجليات تلك الصفات، و نقول بنحو جامع و ملخص: إنّ الحسين عليه السلام هو اكملُ الناس علماً و معرفةً و حلمًا و فصاحةً و بلاغةً. (1)

ص: 176

1- ان الكلمات الاعجازية للحسين عليه السلام و خطبة الفصيحة البليغة و مواعظه و نصائحه الجامعة و الادعية التي أثرت عنه و ضبطت في كتب العامة و الخاصة، لخير دليل و برهان علي ان الحسين عليه السلام كأبيه امير المؤمنين عليه السلام، مالك مُلك الفصاحة و حاكم اقاليم البلاغة. يقول معاوية بن ابي سفيان في معرض وصفه لمنطق الحسين عليه السلام و جميل بيانه: «لكنّها أسنّة بني هاشم الجِداد التي تفلِقُ الصّخرَ و تغرِفُ من البحر.»

البحث الثاني: بني هاشم و بني أمية

إشارة

ص: 177

لا نبالغ اذا ما قلنا باننا لم نجد صراعاً بين الحق والباطل، ولا مواجهة بين اولياء الله والمصلحين مع المفسدين والظالمين، كالمواجهة و الصراع الذي كان بين بني هاشم و بني امية، حيث تشخّصت الفرقتان و امتاز صفُّ اصحاب الفضيلة، اصحاب الخير و الشرف عن صفِّ عناصر الشرِّ و الباطل.

كما لا مبالغة في القول: انَّهُ لم تنكشف حقيقةُ صراعِ بين أهل الحق و اهل الباطل، كانكشافها في صراع الحسين عليه السلام مع بني امية في قدسية اهداف الحسين عليه السلام و رذالة اهداف يزيد.

و ما تجلّي من الحق في جبين الحسين يوم كربلاء، و انتشار جمال حقيقته في آفاق العالم، و تمزيق ستائر الخداع و الفساد، لم يتجلّ في مظلومية و استشهاد ايّ واحدٍ من شهداء طريق الحق و قادة الاديان.

أجل، إنّ المثل الأعلى و النموذج الاكمل لخصال الايمان و طلب الحق، و حُبّ الخير و العدالة و الفضيلة، هو خاتم الأنبياء محمد صلي الله عليه و آله، و من بعده أمير المؤمنين عليه السلام الذي اقترب و اقترب من الحق، و لازمه الي درجة تصديق و تصريح لسان الوحي بهذه الملازمة، فقال: «علي مع الحق و الحق مع علي» و كما كانت جنود الحق و التوحيد في حروب النبي و علي مع الكفار و الباطل متميزة كل التميّز عن جنود الشرك و الكفر، فكذلك في هذه المعركة التي تجسد الحق في شخص الحسين عليه السلام و

تجسد الباطل في شخص يزيد، تميزت قوي الحق عن قوي الباطل بلا ادني شبهة.

لقد كان بنو هاشم في الجاهلية وفي الإسلام، الدّ خصوم الظلم والجور، و حماة المظلومين و حرسة الحق و العدالة، فهم الذين لعبوا الدور المشرف في حلف الفضول في الجاهلية و وقفوا لنصرة المظلومين يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و البغي، و بذلوا الاموال من اجل رفع الحيف عن الفقراء، كما ذكر ذلك مفصلاً في كتب التاريخ و كان موقفهم ذاك نابعاً عن حسّهم الانساني بحبّ النوع البشري و دليلاً علي نقاء نيّاتهم و سرائرهم و كاشفاً عن طيب عنصرهم و طهارة نفوسهم و كمال سجاياهم، و لو أنّ العالم المعاصر المتمدن اليوم تعاقدوا علي مثل ذلك الحلف، لكان ذلك فخرهم الوحيد، و إنجازهم الاهم.

لقد كان حلف الفضول من أشرف العهود التي ابرمت قبل الإسلام و نموذجاً عن قدس الروح و طهارة الباطن و نزاهة الأخلاق و عدالة و شرف بني هاشم الرفيع، اذ أنّ اولّ من سعي جاهداً لتأسيس هذا الاتحاد الطاهر و المقدس، و العامل علي تطبيقه و ترجمته عملياً، هو الزبير بن عبد الملك، عمّ النبي الاكرم صلي الله عليه و آله و اشترك فيه عموم بني هاشم، و قد حضره النبي الاكرم صلي الله عليه و آله حين انعاده في دار عبد الله بن جذعان و كان من شيوخ قريش، و كان عمر النبي يومذاك خمساً و عشرين عاماً، و كان النبي بعد البعثة يقول:

«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جِذْعَانَ حِلْفًا لَوْ دُعِيتُ الي مِثْلُهُ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»

و في نقل آخر:

«لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جِذْعَانَ حِلْفًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ وَلَوْ أُدْعِي بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»

ص: 180

وفي آخر:

لَقَدْ... ما حِبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النِّعَمِ، ولو دُعِيَتْ به اليوم لأجبتُ لا يزيدُه الإسلامُ إلا شِدَّةً»

وكان سبب هذا الحلف أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة علي الحميَّة والمنعة، فتحالفت المطيِّبون وهم بنو عبد مناف و بنو أسد و بنو زهرة و بنو تيم و بنو الحارث بن فهر علي أن لا- يُسلموا الكعبة ما أقام حراء و ثبير و ما بلّ بحر صدفة. و صنعت عاتكة بنت عبد المطلب طيباً فغمسوا أيديهم فيه.

وقيل إن الطيب كان لأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، وهي توأم عبد الله أبي رسول الله، و تحالفت اللعقة و هم بنو عبد الدار و بنو مخزوم و بنو جَمَع و بنو سهم و بنو عدِيّ علي ان يمنع بعضهم بعضاً و يعقل بعضهم عن بعض و ذبحوا بقرة فغمسوا أيديهم في دمها؛ فكانت قريش تظلم في الحرم الغريب و من لا عشيرة له حتي أتى رجل من بني أسد بن خزيمة بتجارة فاشتراها رجل من بني سَهْم فأخذها السهميَّ و أبي ان يعطيه الثمن، فكلم قريشاً و استجار بها و سألها إعانتة علي أخذ حقه فلم يأخذ له احدٌ بحقه فصعد الأسدي أبا قُبَيْس فنادي بأعلي صوته:

يا أهلَ فِهْرٍ لمظموم بضاعتُهُ

وقد قيل لم يكن رجل من بني أسد و لكنه قيس بن شيبه باع متاعاً من أبي خلف الجمحي و ذهب بحقه، فقال هذا الشعر، و قيل بل قال:

يَالِ قُصَيِّ كَيْفَ هَذَا فِي الْحَرَمِ وَ حُرْمَةِ الْبَيْتِ وَ أَخْلَاقِ الْكَرَمِ أَظْلَمَ لَا يُمْنَعُ مِنِّي مَنْ ظَلَمَ

ص: 181

فتمت قريش فقاموا فتحالفوا ألا يُظلم غريب ولا غيره وأن يؤخذ للمظلوم من الظالم، واجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي. وكانت الأحلاف هاشم وأسد وزهرة وتيم والحارث بن فهر فقالت قريش: هذا فضول من الحلف، فسَمِّي حلف الفضول. وقال بعضهم: حضر ثلاثة نفر يقال لهم الفضل بن قضاة والفضل بن حشاعة والفضل بن بضاعة فسَمِّي بهذا الاسم. وقد قيل إن هؤلاء التفر حضروا حلفاً لجُرهم فسَمِّي حلف الفضول بهم وشبّه بالحلف في تلك السنة.

ومن حلف الفضول وغيره، يتضح لنا ان كرائم الأخلاق والشرف والفضيلة والغيرة والصدق والعدالة والامانة والشجاعة وصراحة اللهجة والتقوي والعداء والايمان، كانت مقدسة في قاموس بني هاشم.

ولمزيد الإطلاع علي المكانة الروحية والملكوية لبني هاشم، راجع تاريخ آباء النبي الاكرم محمد صلي الله عليه وآله.

وكان من جملة صفات بني هاشم البارزة، طهارة النسب، العفاف، السخاء، قري الضيف، اشاعة العدل، الاحسان الي الفقراء، وسقاية الحاج واطعامهم، والتي تتفق التواريخ علي اثباتها لهم.

ومهما سودنا الصفحات في بيان فضيلة بني هاشم فهو قليل وانه من توضيح الواضحات، وبعيد عن الأدب والعقل ان يُقارن الانسان بينهم وبين بني امية، ولا يليق بكاتب مسلم بل وكل كاتب مطلع علي التاريخ، منصف للقيم، إذ إن تلك القبيلة التي كان لها فخر انتساب فخر الكائنات والمصطفى من العالمين والتجلي الاكمل للحقيقة الإنسانية لها، لهي قبيلة راجحة في كفة ميزان كل المقاييس والمثل العليا، فكيف بقبيلة رذيلة كبني امية التي يضرب المثل بلؤمهم وكفرهم وفسقهم وفجورهم علي مرّ تاريخهم؟

إنَّ التقابل والمواجهة التي تحققت بين ابراهيم خليل الله ونمرود، وبين موسى كليم الله وفرعون، وبين محمد حبيب الله و ابي جهل و ابي سفيان، وبين علي ولي الله و معاوية، وبين الحسين سيد الشهداء و يزيد، هذه المواجهة و إن وقعت بين شخصين أظهر كلُّ منهما ماهيته و حقيقته، لكنها في الواقع معارضة و مقابلة بين النور و الظلمة و بين الحق و الباطل، و بين الخير و الشرِّ، و بين العدل و الظلم، و بين القسط و الجور، و بين العلم و الجهل.

و في مثل هكذا مواجهة، يُعاب القياس و الترجيح، اذ أن كل الكمال قد تحقق في طرفٍ، و كل السقوط و الإنحدار قد تحقق في الطرف الثاني، فلا وجه للقياس البتة، و من الواضح ان إثبات تقدم الحق علي الباطل، و الخير علي الشرِّ، و العلم علي الجهل، لا يحتاج الي دليل و برهان.

فلو أننا اخذنا بنظر الاعتبار قداسة شخصية الحسين عليه السلام و محبوبيته عند عامة المسلمين، و أخذنا بالمقابل سي سمعة يزيد، و نفرة الناس عنه، لكان ذلك كافياً للتدليل علي ان المواجهة كانت بين الحق و الباطل.

لقد كان الحسين عليه السلام قد بلغ رتبة من الصلاح الاخلاقي و قدس المقام الي درجة أن احداً من بني امية أنفسهم لا يشك في ذلك، و ذلك، حتي اولئك الذين قتلوه طمعاً بالحُطام، لورجعوا الي ضمائرهم لما استطاعوا انكار فضل الحسين عليه السلام و انكار أحقيته بالخلافة و زعامة المسلمين.

لقد كان الحسين عليه السلام اقرب للناس الي قلوب المسلمين، حتي صاراً رمزاً و عنواناً لحبهم لنبيهم، كيف لا و هم عاشوا حنان رسول الله لولده الحسين و اخيه الحسن، و لمسوا شفقتة عليهما و حنوه لهما.

فهم، شاهدوا النبي يخرج من دار عائشة يوماً فيمُرُّ علي بيت ابنته و حبيبته

فاطمة فيسمع الحسين يبكي. فيقول:

«ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني»

و سَمِعُوهُ وَ هُوَ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ: أَدْعِ إِلَيَّ ابْنِيَّ» فَيُشَمِّهُمَا وَيَضُمَّهُمَا إِلَيْهِ وَ لَا يَبْرِحُ حَتَّى يُضْحِكَهُمَا وَيَتْرَكُهُمَا ضَاحِكِينَ.» وَ هَذَا مَا لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

وَ قَدْ أَوْضَحَتِ الرَّوَايَاتُ شِدَّةَ تَعَلُّقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ عِنْدَ أَحَدٍ بَانَ النَّبِيُّ كَانَ يَرِي فِي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَصْدَرًا لِلآيَاتِ، وَ أَنَّهُ صَاحِبُ كِرَامَاتٍ وَ مَقَامَاتٍ عَالِيَاتٍ وَ أَنَّ لَهُ شَأْنًا مِنَ الشَّأْنِ، وَ مِنْ هُنَا كَانَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ أَنَّ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَرَضَتْ لَمَّا وُلِدَتِ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ جَفَّ لَبْنُهَا، فَطَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ فِي مَرَضَعَةٍ فَلَمْ يُجِدْ، وَ كَانَ يَأْتِيهِ فَيَلْقَمُهُ ابْهَامَةً، فَيَمُصُّهُ وَ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي ابْهَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ رِزْقًا يُغْذِيهِ، فَيَفْعَلُ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَ لَيْلَةً، فَانْتَبَتِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى لِحَمِّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ لَحْمِ رَسُولِ اللَّهِ. (1) وَ لَقَدْ عَاشَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبْعًا وَ خَمْسِينَ سَنًا بَيْنَ النَّاسِ وَ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَنْ لَا يَأْبَهُ بِالْإِفْتِرَاءِ عَلَيَّ غَيْرِهِ، وَ لَكِنْ وَ حَتَّى هَؤُلَاءِ لَمْ يَتَجَرَّأْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَعْيبَ عَلَيَّ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَعَابَةِ أَوْ أَنْ يَنْكَرَ أَحَدُهُمْ مَا ذَاعَ مِنْ فَضْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ حَسَنِ طَبَائِعِهِ، حَتَّى حَارَ مَعَاوِيَةَ بَعِيْبِهِ حِينَ اسْتَعْظَمَ جُلْسَاؤُهُ خُطَابَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ وَ تَحْقِيرَهُ أَيَّاهُ، فَاقْتَرَحُوا عَلَيَّ مَعَاوِيَةَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ بِمَا يَصْغُرُهُ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ مَعَاوِيَةَ عَلَيَّ مَكْرَهُ وَ شِدَّةَ إِفْتِرَائِهِ وَ حَيْلَةَ:

«وَ مَا عَسَيْتُ أَنْ أَعْيِبَ حُسَيْنًا، وَ اللَّهُ مَا أَرِي لِلْعَيْبِ فِيهِ مَوْضِعًا» 4.

ص: 184

1- أبو الشهداء ص 54.

اجل، لقد كان معاوية واقفاً علي زوايا خفايا سيرة الحسين عليه السلام البيضاء و كان يتجسس علي حالاته، و كان اكثر الناس طلباً لثغرة في الحسين عليه السلام ينفذ منها للنيل منه و اعابته، و مع ذلك قال:

«و الله ما أرى للعييب فيه موضعاً»

و كان صادقاً في ذلك، فهو يعلم انه لو عاب الحسين عليه السلام، للحقت به هو لعنة الناس و تكذيبهم ايّاه، لعلمهم ان لا موضع للعييب و النقص في الحسين عليه افضل الصلوة و السلام.

و لو دقت النظر، لما وجدت في قتلة الحسين عليه السلام أحداً يُحسن الظنَّ بيزيد و ابن زياد و جهاز الحكم الاموي، او يُسئ الظنَّ بالحسين عليه السلام، بل كان اغلب من اشترك في قتله، او الذين سكتوا و حايدوا، كان همُّهم الطمع بالمال و المقام، أو الخوف من العزل و مصادرة الأموال.

اذن، فملاحظة قدس مقام الحسين عليه السلام و من اي زاوية و ناحية كانت، و ملاحظة رذالة يزيد في اي زاوية و ناحية، يكفي لمعرفة الحق من الباطل فهي اوضح من الشمس في رابعة النهار.

بل، لو القيت نظرةً علي اصحاب الحسين عليه السلام و القيت مثلها علي عسكر يزيد، لوقفت علي حقيقة المعركة التاريخية بينهما.

فاصحاب الحسين عليه السلام أمثال سيد القراء حبيب ابن مظاهر، و مسلم بن عوسجة، زهير بن القين، الحر بن يزيد، برير، عابس، و شباب بني هاشم الاطهار أمثال مسلم بن عقيل و ابي الفضل العباس و علي الاكبر عليهم السلام و اتباع يزيد: ابن زياد، عمر بن سعد، شمر، مسلم بن عقبه، مروان، الحصين بن النمير، و امثالهم من الاشقياء المعروفين و الجلادين و القتلة الماجورين و حثالة التاريخ،

الذين اشتركوا بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله او اشتركوا في مجزرة المدينة و هدم الكعبة المعظمة و الجرائم المماثلة.

ولكي نقف علي عظمة ثورة الحسين عليه السلام و ضرورة نهضته المقدسة، نفهرس هوية بني امية و عدة نفرٍ من كبار هذه الشجرة الملعونة، و ننقل باختصار جوانب من ملامح كفر و شرك و دناءة هذا النسب، و فضائحهم، ظانين أن هذا المجمل يُرشد القارئ العزيز الي قراءة المَفْصَل.

بني امية

بني امية اسمٌ يُطلق علي عدة بطون من العرب، أحدها هم بني امية المعروفين و هم بطنٌ من قريش بانتسابهم الي امية بن عبد شمس بن عبد مناف.

بني امية في ميزان الخلق

يُعدُّ بنو امية في المقياس الأخلاقي، في المرتبة الدنيا، فلم يسجل لهم فضل و لا كمال، ففي الجاهلية و الإسلام معاً، وُصفوا بحب الدنيا و الشهوات و الملذات الجنسية، و الافراط في المجون و اللهو، و الإسراف في الطمع و العصبية و الدنية.

و ذكر العقاد في كتابه: «معاوية بن ابي سفيان في الميزان» في فصل «خليقة أموية»!؛ شواهد تاريخية اثبت بها هذه الاوصاف لهم و لم يستثن حتي عثمان بن عفان و عمر بن عبد العزيز من الاتصاف بها.

نسب بني امية

الكلام في نسب بعض كبار بني امية المشهورين، طويل و عريض، و ما قيل

في ردِّ انتسابهم الي قريش هو: إِنَّ أُمَّيَّةَ كَانَ عَبْدًا رُومِيًّا اشْتَرَاهُ عَبْدُ شَمْسٍ وَاسْتَلْحَقَهُ بِهِ كَمَا كَانَتِ الْعَادَةُ الْجَاهِلِيَّةُ قَائِمَةً عَلَي ذَلِكَ.

و يستشهد القائلون بهذا القول بكلام أمير المؤمنين عليه السلام في احدي رسائله الي معاوية حيث يقول:

«لَيْسَ أُمَّيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا أَبُو سَفِيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَلَا الْمَهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ وَلَا الصَّرِيْحُ كَالصَّرِيْقِ»

و يصرِّحُ العلماء - كمحمد عبده المصري في شرح نهج البلاغة ان الصريح هو الشخص الصحيح النسب، و اللصيق لفظ يطلق علي البعيد الذي يستلحق بالعائلة و القبيلة.

و كان اميَّة سيِّئ السَّمْعَة، منبوذاً، يعترض النساء، مشهوراً بالزنا، و قد عُوقِبَ بالنفي عشر سنين عن مكة فتركها الي الشام، و في الشام زني بامراة يهودية ذات بعل، فولدت اليهودية علي فراش زوجها الذي كان يهودياً، ولداً استلحقه أمية و سَمَاهُ ذُكْوَانُ وَ كَتَاهُ بَابِي عَمْرُو. ثم زوجه زوجته و هو علي قيد الحياة، و ذُكْوَانٌ هَذَا هُوَ أَبُو «مَعِيْطٍ» وَ جَدُّ عَقْبَةَ ابُو الْوَلِيْدِ بِنِ عَقْبَةَ اخُو عَثْمَانَ بِنِ عَفَانَ. (1) و لَمَّا تَنَافَرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَ حَرْبُ بِنِ أُمَّيَّةَ جَدُّ مُعَاوِيَةَ، الي نفيل بن عبد العزي، قال نفيل لحرب:

أَبُوكَ مُعَاهِرٌ وَ أَبُوهُ عَفُو ذَاذِ الْفَيْلِ عَنِ بَلَدٍ حَرَامٍ (2)

بني امية في القرآن و الحديث

رُوي في كتب الحديث و التفسير و بطرق الفريقين روايات عديدة عن الإمام الحسن و الحسين عليهما السلام و يعلي بن مرّة و ابن عمر و سعيد بن المسيب ان رسول الله صلي الله عليه و آله رأي في منامه بني امية ينزون علي منبره كالقردة فاغتم النبي لذلك و لم ير بعدها ضاحكاً. فانزل الله تعالي في ذلك:

«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نَحْوَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طَغْيَانًا كَبِيرًا» (1)

و نزلت ايضاً:

«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ...»

و نزلت سورة القدر ايضاً (2) و روي ابن عساكر عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه و آله قال:

«إِذَا بَلَغَ بَنُو أُمَّيَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خِيَالًا وَ مَالَهُ دُولًا وَ كِتَابَ اللَّهِ حَوْلًا» (3).

و روي ابن منده و ابو نعيم عن عمران بن جابر اليماني، و ابن قانع عن سالم الحضرمي ان النبي صلي الله عليه و آله قال:

ص: 187

1- سورة الاسراء الآية 60.

2- الدرر المنثور ج 4 ص 191. شرح نهج البلاغة ج 3 ص 444 و ج 4 ص 6. تاريخ الخلفاء ص 9. تفسير النيشابوري، تفسير سورة القدر. مجمع البيان ج 6 ص 424.

«وَيْلٌ لِّبَنِي أُمَيَّةَ وَيْلٌ لِّبَنِي أُمَيَّةَ»(1)

وروي ابن مردويه عن علي عليه السلام أنه في سورة محمد آيةً فينا وآيةً في بني أمية، «اقرأ السورة من أولها إلي آخرها»(2)

وأما الروايات في ذم بني أمية وانهم آفة الدين وآفة هذه الأمة، وانهم اعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وانهم الشجرة الملعونة، فهي كثيرة. (3)

بني الحکم

روي جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنتا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فمر بنا الحكم بن ابي العاص، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «وَيْلٌ لِأُمَّتِي مِمَّا فِي صُلْبِ هَذَا»(4)

بني الحكم، شعبة من بني أمية، والحكم عم عثمان وابن عم أبي سفيان، وكان الحكم في الجاهلية خصماً(5) والحكم هذا هو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي آية: «أنتما الشجرة الملعونة»(6) وكان الحكم جاراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان يؤذيه كثيراً.(7) وروي ابن حجر والسيد احمد الزيني وابن الاثير أن النبي صلى الله عليه وآله قد لعن الحكم

ص: 189

1- النصائح الكافية ص 110. السيرة الحلبية ج 1 ص 355.

2- النصائح الكافية ص 110.

3- راجع كتاب النصائح الكافية ص 111. وكتاب الغدير ج 8.

4- النزاع والتخاصم ص 24. وفي السيرة الحلبية نقله عن جبير عن النبي بلا واسطة و الظاهر انه الأصح إلا اذا كان راوي الحديث هو ابن مطعم بن عبيدة والله العالم.

5- حياة الحيوان ج 1 ص 194. لفظ جزور.

6- الغدير ج 8 ص 248. السيرة الحلبية ج 1 ص 353.

7- سيرة ابن هشام ج 2 ص 25.

و اولاده.(1) وروي في كنز العمال أن النبي صلي الله عليه وآله لعن الحكم و اخبر أنه سيخالف كتاب الله و سنة نبيه و ان دخاناً سيخرج من صلبه يصل الي عنان السماء، فقال بعض الناس للنبي صلي الله عليه وآله: إنَّ الحكم اقلُّ شأنًا من ذلك فأخبرهم النبي صلي الله عليه و آله بان بعضهم سيكون من اتباعه.(2) بعد ان جاء الحكم الي المدينة و اعلن اسلامه، اختار النفاق ثوباً له. و لم يزل يترصد بالمسلمين الدوائر و يتحين الفرص لا يذء رسول الله، فكان يقف خلف رسول الله في الصلوة و يغمز بعينه و حاجبيه و يحرك شفتيه و اصابعه و يتجاسر علي النبي صلي الله عليه و آله و غير ذلك من الحركات و الغمز و اللمز، و قد ذكرت كتب السيرة و التاريخ ذلك. فدعا النبي صلي الله عليه و آله عليه و ابتلي بالرعشة، ولكنه لم ينتهي عن سوء فعالة، و كان النبي صلي الله عليه و آله يعامله بلطف اخلاقه و يحلم معه كعادته مع سائر المنافقين نظراً لتظاهرهم بالإسلام، و لَمَّا لما ينفع مع الحكم ذلك، اضطر النبي صلي الله عليه و آله الي طرده و ولده الي الطائف. و بعد التحاق النبي بالرفيق الاعلي، تشفع عثمان بن عفان للحكم عند ابي بكر ليرجعه الي المدينة، فلم يقبل ابوبكر بذلك، و تشفع له عند عمر بن الخطاب، فلم يقبل، و لما تولي عثمان الحُكم خالف امر النبي صلي الله عليه و آله و اعاد الحكم و ولده الي المدينة متحديا مشاعر و احاسيس المسلمين جميعاً، و قرّب الحكم و ابنه مروان و خلع عليهم و اعطاه مائة الف دينار و منحة ثلاثمئة الف درهم من صدقات قضاة، العائدة لبيت مال المسلمين، و جعل مروان بن الحكم مستشاره و هو الذي وصفه 0.

ص: 190

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 354. اسد الغابة ص 34. مستدرک الحاكم ج 4 ص 381.

2- كنز العمال ج 1 ص 39 حديث 90.

رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله:

«الْوَزْغُ ابْنُ الْوَزْغِ وَالْمَلْعُونُ بِنُّ الْمَلْعُونِ»⁽¹⁾

وزوجه عثمان ابنته واعطاه خمسمائة الف دينار من خمس افريقيا، وكان كل ذلك من جملة اسباب ثورة المسلمين علي عثمان، حيث تعالت صيحات الاعتراض عليه وانتهي الأمر الي قتله.

و الروايات في لعن الحَكَم و اولاده كثيرة⁽²⁾ و من اراد الوقوف علي شرح قبائح فعال و مظالم و جنایات الحكم و مروان ضد المسلمين، و قتل الابرياء و تولية الظالمين امثال الحجاج، و هدم الكعبة و ترويح الفحشاء و المنكر في مدينة طيبة، و اهانة القرآن الكريم و تنصيب الجواري الجُنُب أئمة للجماعة، فليراجع كتب التاريخ و سيرى عَجَبًا!!

فهذه العائلة و بهذه الصفات، كانت شعبة من بني امية و أم الحكم الذي ينسب اليه بني مروان، كانت زرقاء، و قد عدّها ابن الاثير و آخرون من ذوات الرايات الفواحش.⁽³⁾ و من بني امية أيضاً: معاوية بن المغيرة بن العاص، و قد طرده الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله من المدينة هو الآخر، و امهله ثلاثة ايام ليخرج منها، فلم يخرج، فقتله علي عليه السلام و عمّار بأمر النبي صلى الله عليه وآله.

و من بني امية: عبدة بن سعيد بن العاص، الذي قتله الزبير في بدر.4.

ص: 191

1- حياة الحيوان ج 1 ص 62 و ج 2 ص 399.

2- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 444. اسد الغابة ج 2 ص 34. سيرة ابن هشام ج 1 ص 354. السيرة الحلبية ج 1 ص 353-354. حياة الحيوان ج 1 ص 339.

3- النصائح الكافية ص 114.

و منهم: العاص بن سعيد، الذي قتله الإمام علي عليه السلام.

و ممن استلحقّ بني أمية: عقبة بن ابي معيط، و الذي كان يهزأ بالنبي صلي الله عليه و آله و من الدّ معاديه، و كان مجاوراً للنبي صلي الله عليه و آله و يكثر ايداءه، و طبقاً لما ذكره ابن هشام، فان الإمام علي عليه السلام هو الذي قتله(1).

و ابنُ عقبة و هو الوليد الذي نزل فيه قوله تعالى:

«إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ...»(2)

و لَمَّا كان الوليد اخاً لعثمان من أمّه، عزل عثمانُ سعدَ بن أبي الوقاص عن ولاية الكوفة و ولي الوليد عليها، و لما جاء الوليد الي الكوفة قال له سعد:

و الله ما ادري أكست بعدنا أم حمقنا بعدك. فقال له لا تجزعن أبا اسحاق فانما هو الملك يتغداه قوم و يتعشاه آخرون.

فقال له سعد: أراكم ستجعلونها ملكاً.(3) و من بني أمية: أمّ جميل (حمالة الحطب) اخت ابي سفيان و زوجة ابي لهب، التي صرّح القرآن بدمها، و كانت هي التي تحرض ابالهب من بين بني هاشم علي مخالفة النبي صلي الله عليه و آله و ايدائه.

و من اولاد عبد شمس: عتبة بن ربيعة ابن أخ أمية و كان في جيش المشركين يوم بدر، و قُتل و ابنته الوليد، بيد اسد الله الغالب علي ابن ابي طالب عليه السلام(4) و عتبة هذا هو جدُّ معاوية لامّه و قتل اخوه شيبه في بدر بيد حمزة عليه السلام. 1.

ص: 192

1- السيرة الحلبية ج 1 ص 353. سيرة ابن هشام ج 2 ص 356. الكامل ج 2 ص 50.

2- سورة الحجرات الآية 9، و لمزيد الإطلاع تراجع كتب التفسير.

3- اسد الغابة ج 5 ص 91.

4- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 411.

لقد كان عناداً وفساداً أبي سفيان اكبر من عناد كلّ الذين خالفوا دعوة الإسلام والحق الي التوحيد والايمان بالله، ولقد بقي ابو سفيان علي غيّه وطغيانه وعدائه الي آخر لحظة قبل ظفر المسلمين الكامل والقاطع، وكان يتزعم كلّ حملة لاطفاء انوار شمس الإسلام، وقاد الجموع لمحاربة للنبي صلي الله عليه وآله في أحد والخندق، وأحد قادة الكفر والشرك حتي عام الفتح.

ولم يدخر أبوسفيان وزوجته وولده جهداً لم يصرفوه في إيذاء النبي صلي الله عليه وآله واستماتوا في الدفاع عن الكفر والشرك، وقد اشترك ثلاثة من أولاده في بدر وهم معاوية وحنظلة وعمرو، فقتل عليّ حنظلة وأسر عمرو، وفرّ معاوية الي مكة فراراً أدمي قدميه ونفخ ساقيه حين وصلها، وبقي يعالجهما لشهرين متتاليين (1) وفي عام الفتح اسلم ابو سفيان وزوجته هند و من تبقي من ولده، مكرهين و خوفاً من القتل، ولكنهم بقوا علي كفرهم الباطني، وعاش مع المسلمين منافقاً حتي هلك.

و الروايات الواردة في ذمّ ابي سفيان كثيرة، فقد روي ان النبي صلي الله عليه وآله رأي ذات يوم أباسفيان راكباً علي حمار، وكان ابنه معاوية ماسكا بزمامه و ابنه الآخر يزيد يسوق الدابة، فقال رسول الله صلي الله عليه وآله:

ص: 193

1- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 412. سيرة ابن هشام ج 2 ص 294. و طبقا لما اورده العلامة الكراچكي في كتابه «التعجب» فان معاوية كان في اليمن عام الفتح، ولما سمع باسلام ابيه، لامه وويّحه، واضطرّ معاوية الذي كان قد هدير دمه ان يُسلم و كان ذلك قبل وفاة النبي بخمس أو ستة اشهر.

«لَعَنَ اللَّهُ الرَّاکِبَ وَ الْقَائِدَ وَ السَّائِقَ» (1)

وقد سطر المورخون حكايات كثيرة عن نفاق ابي سفيان و عدائه للإسلام و المسلمين.

و من جملة ما استشهر و عُرف عنه، انه كان يقول بعد بيعة عثمان و بداية حكم بني امية:

«تَلَقَّوْهَا يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ تَلَقُّفَ الْكُرَّةِ، فَوَاللَّهِ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ» (2)

و في نقل آخر انه قال:

«فَوَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ أَبُو سَفْيَانَ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ»

و روي ابن عبد البر عن الحسن البصري أن أباسفيان دخل علي عثمان بعدما بويع و قال له:

«قَدْ صَارَتِ الْيُكُومُ بَعْدَ تَيْمٍ وَ عَدِيٍّ فَأَذْرُهَا كَالْكُرَّةِ وَ اجْعَلْ أَوْتَادَهَا بَنِي أُمِيَّةٍ فَإِنَّمَا هُوَ الْمُلْكُ وَ لَا أُدْرِي مَا جَنَّةٌ وَ لَا نَارٌ» (3)

و ذات يوم، كان ابوسفيان في المسجد ينظر الي النبي صلي الله عليه و آله و يفكر في نفسه و يقول: بماذا غلبني محمد؟

«فَضْرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ قَالَ: بِاللَّهِ نَعْلُبُكَ» (4) و وقف يوماً علي ثنية أُحُدٍ وَ كَانَ قَدْ فَقَدَ بَصْرَهُ، فَقَالَ لِسَائِقَةٍ: 6.

ص: 194

1- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 433.

2- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 443.

3- الاستيعاب ج 4 ص 87. و لعمري لقد عمل عثمان بوصية ابن عمه، فولّي من كان من بني امية علي البلدان الإسلامية و سلّطهم علي رقاب المسلمين فعاثوا الفساد.

4- الإصابة ج 2 ص 179 حديث 4046.

«هاهنا رمينا مُحَمَّدًا و قَتَلنا أصحابَهُ»(1)

و من علائم نفاقه، انه قال ذات يوم للعباس ابن عبد المطلب:

«لَقَدْ عَظَمَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ»

فقال له العباس:

«وَيَحَكُّ يَا أَبَا سَفِيَّانٍ إِنَّهَا النُّبُوَّةُ»

و عندما كان بلال يؤذن و يقول: أشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، كان أبوسفيان يقول: «سَعِدَ عَتَبَةٌ و لم يرَ هذا اليوم»(2) و في حنين و لما انهزم المسلمون و تَبَّت رسول الله صلي الله عليه و آله و عليُّ و عدَّة قليلة، صدع أبوسفيان بنفاقه و حقدته الدفين و قال:

«لا تَنْتَهِي هَزِيمَتَهُمْ دُونَ الْبَحْرِ»(3) و كان ابو سفيان في الشام يحرض الروم علي المسلمين، و يتأسف لهزائم الروم.(4) و مضافاً الي نفاق و عناد ابي سفيان للحق، فقد كان زنيماً فاجراً و قد اعترف معاوية بزناه حينما استلحق زياداً به.

ذكر الزمخشري في ربيع الابرار أنَّ اربعة نفر ووطنوا النابغة أمَّ عمروبن العاص و كانت مشهورة بالزنا، منهم: أبوسفيان، فؤلد عمروبن العاص و ادَّعاه الاربعة جميعاً لكن النابغة نسبته الي العاص، لتكفُّله مخارجها، و كان أبوسفيان بن الحارث4.

ص: 195

- 1- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 334.
- 2- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 444.
- 3- سيرة ابن هشام ج 4 ص 72. المختصر ج 2 ص 51.
- 4- ابو الشهداء ص 24.

بن عبد المطلب يقول لعمر بن العاص:

«أبوك أبوسفيان لا شكَّ قد بدت...» (1) وعندما رحل النبي صلي الله عليه وآله الي جوار ربّه، كان ابوسفيان في مكة منهمكاً في اثاره الفتنة علي الإسلام سعيّاً منه في اعادة الجاهلية فإنبري سهيل بن عمر في تلك الحال الي افسال مخططات أبي سفيان و خطب خطبة في الناس و أقسم بالله أنه علي يقين من أنّ هذا الدين سينتشر في شرق و غرب العالم. و أنّ أبأ سفيان يريد أن يظلمهم و أنّ أبأ سفيان يعلم بهذه الحقيقة و لكنّ حسده لبني هاشم عظيم. (2) و جاء ابوسفيان من مكة الي المدينة، و حاول اللّعب بورقة السقيفة و بيعة ابي بكر و غصب الخلافة، محاولاً ايقاد نار الحرب الداخلية بين المسلمين، فجاأ الي أمير المؤمنين علي عليه السلام و قال:

«مُدَّ يَدُكَ لِأَبِيكَ فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتَ لَأَمَلْتَهَا عَلَيْهِمْ خِيالاً وَرَجلاً.» (3)

هند آكلة الأكباد

زوج أبي سفيان و أمُّ معاوية، جدّة يزيد، أشهر من أن يخفي حقّها و عداؤها للنبي و آل النبوة، فلقد كانت كحَمّالة الحطب في تأليبها ضد النبي صلي الله عليه و آله بل لقد فاقتها هند في ذلك.

لقد كانت تُحمّس الرجال علي حرب النبي و قتال المسلمين و تشترك في تعذيب المسلمين الاوائل المستضعفين، و لو لم يكن غير قتلها حمزة عمّ النبي صلي الله عليه و آله

ص: 196

1- تذكرة الخواص - الحاشية ص 209. الغدير ج 10 ص 219.

2- الاستيعاب ج 2 ص 110.

3- الكامل لابن الاثير ج 2 ص 220.

لكفي في إثبات وحشيتها ولؤمها و خسة عنصرها و طبانعها.

فهندُ هذه هي التي أغرت «وحشي» بالمال و الجمال ليغتال سيد شهداء أحد، و وهبت له حُلبيها و منته بامورٍ اخري كي يفتك بجسد حمزة، فمثلت بجسده الشريف و اخذت اذنيه و أنفه و... و جعلتها خلخالاً لها، و مزقت أحشاءه و استخرجت كبده و لاكتته بلسانها، و ارادت ان تتبلعه فلم تقدر. (1) و قد تناولت خطبة العقيلة زينب اخت الحسين عليه السلام في مجلس يزيد هذه الجناية و القسوة و الغلظة، حيث قالت عليها السلام:

«وَ كَيْفَ يُرْتَجَى مُرَاقِبَةٌ مِّنْ لَفْظِ فَوْهٍ اكْبَادَ الْأَرْكَامِ وَ نَبْتِ لَحْمِهِ بِدَمَاءِ الشَّهَدَاءِ»

أضف الي ذلك تاريخ هند في الجاهلية الحافل بالخزي و العار و الشنار فلقد كانت معروفة بالزنا و الفجر، و قد ترجم ذلك حسان بن ثابت فقال:

وَ نَسِيَتْ فَا حِشَّةً أَتَيْتِ بِهَا

معاوية أبو يزيد

و معاوية هو صاحب تلك الصفحة السوداء، ذلك المنافق الذي لم تتجسد علامة النفاق (بغض علي بن أبي طالب) في أحدٍ من الناس كما تجسدت في معاوية، و ما تجرعه المسلمون من ظلم و اضطهادٍ و جنایات معاوية لم يتجرعوه من احدٍ

ص: 197

فموبات وكبائر و مجازر و يدع معاوية فاقت حدّ الاحصاء و الوصف. و ما لم يطالع المرء دورة كاملة في تاريخ هذا العنصر المشنوم، لن يقف علي خبث و لؤم ماهيته و قبيح فعاله، و التي سطرها المؤرخون في صفحات التاريخ. و كما قال ذلك العالم الالمانى الجنسية للشيخ محمد عبده بان معاوية هو الذي سدّ طريق الفتوحات الإسلامية للغرب.

و لقد أشعل معاوية بن ابي سفيان، و طمعاً بالملك و الحكم مستغلاً مقتل عثمان رافعاً شعار الطلب بدمه، حرباً حصدت اكثر من مائة و عشرة آلاف إنسان، و استشهد فيها ثلاثمائة و ستون صحابياً حَصَرَ بيعة الرضوان(1) و لم يكن معاوية بريئاً من التحريض في حربي الجمل و النهروان، و انتهى به الامر الي الخروج علي خليفة رسول الله صلي الله عليه و آله.

و من الواضحات فسق معاوية و عدم ايمانه بالدين و القرآن، و لا مبالاته بالشرف و الوجدان في حياته.

و لا شكّ و لا شبهة في انّ معاوية كان يحاول حرف الإسلام بل القضاء عليه و اعادة الجاهلية السفينانية و حكم آل حرب و طريقة بني غ امية في الادارة، و ما كلّ تلك الحروب و العداء لبني هاشم و خاصة لامير المؤمنين علي عليه السلام، الاّ حرباً للنبي صلي الله عليه و آله و استمرارية لحرب أبيه أبي سفيان و جدّه لأمه و عشيرته مع الإسلام.

و لو اردت ان تعرف من لا نظير له و لا مثيل، في النفاق و الطغيان و انكار الحق و الحيلة و المكر و الغدر و الخيانة و نكث العهود، فعليك بمعاوية.9.

ص: 198

فكما إنَّ عدَّة معدودة من الناس، تصل الي مصافِّ الأخلاق الكريمة و الفاضلة، فكذلك تميّزت عدة من الناس في الرذائل و اثاره الفتن و حبّ الجاه و معاداة اهل الحق، و من جملة هؤلاء: معاوية، عمرو بن العاص، يزيد، مروان بن الحكم، زياد ابن أبيه، مسلم بن عقبة، عبد الملك بن مروان، الحجاج، بسر بن ارطاة، عبيد الله بن زياد، و شمر بن ذي الجوشن، و الذين حازوا المرتبة العليا في خبث السريرة و اللؤم و الخسة من بين افراد طبقتهم من الكفار.

نسب معاوية

المشهور أنَّ معاوية هو ابنُ ابي سفيان، لكنَّ هذا النسب غير مصدَّقٍ من قبل جميع علماء النسب، فان جمعاً من محققي علم الانساب يشككون في صحة هذا الانتساب، و اهم دليل علي قوّة هذا التشكيك هو التحلل الخلقي لبيت معاوية، فالزنا و الفجور و الفسق كاد مستشرياً في بيته و عائلته، و لم يكن هؤلاء يعيرون اي اهمية للشرف و الغيرة، و لقد هجاهم شعراء الجاهلية و الإسلام بهذه الاوصاف القبيحة، و يكفي للتدليل علي هذه القبائح من الصفات استلحاق معاوية لزياد ابن أبيه و نسبة الزنا الي ابي سفيان و عدم تحرُّجه من ذلك، خلافاً لحكم رسول الله صلي الله عليه و آله:

«الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ و لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»

يقول الزمخشري في ربيع الابراز: و كان معاوية يعزي الي اربعة الي مسافر بن عمرو و الي عمارة بن الوليد و الي العباس بن عبد المطلب و الي الصباح عسيماً لأبي سفيان شاباً و سيماً فدعته هند الي نفسها و قالوا ان عتبة بن ابي سفيان من الصباح أيضاً⁽¹⁾ و نقل السبط ابن الجوزي عن الاصمعي و الكلبي في كتابه المسمي

ص: 199

1- النصائح الكافية ص 115، الغدير ج 10 ص 170. شرح نهج البلاغة ج 1 ص 111، المجالس الحسينية ص 134.

بالمثالب قد وقفت علي معني قول (الإمام) الحسن لمعاوية: «قد علمت الفراش الذي ولدت عليه» ان معاوية كان يُقال انه من أربعة من قريش عمارة بن الوليد بن المغيرة و مسافر بن ابي عمرو.. و اما عماره بن الوليد كان من أجمل رجال قريش. قال الكلبي: عامة الناس علي إنَّ معاوية منه (مسافر) لانه كان اشدَّ الناس حبا لهند فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر ان يظهر انه منه فهرب الي ملك الحيرة. و مات هناك من عشقه لهند.(1) وقال الكلبي: جري بين يزيد بن معاوية و بين اسحاق بن طابة كلام بين يدي معاوية و هو خليفة، فافترَّ معاوية ان بعض قريش يزعمون انه ليس لابي سفيان.(2) هذا وقد انفرد العلامة الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء برأي في نسب معاوية و ان بعض الشواهد التاريخية تؤيد ذلك.

أقول: و إن كان الشيخ الجليل كاشف الغطاء لم يذكر تلك الشواهد، و لكننا و ضمن مطالعتنا و تفحصنا، اطلعنا علي بعض تلك الشواهد علي رأيه، لا نريد التعرض لها هنا و نكتفي بآراء القدماء من أهل الخبرة في الانساب.

معاوية في ميزان السنَّة و الحديث

تواتر لعنُّ معاوية في الروايات، و سُحِنَتْ كتب الحديث المعتبرةُ بدمه نكتفي بذكر بعضها:

1 - روي ابن ابي الحديد عن النبي صلي الله عليه و آله انه قال:

ص: 200

1- الغدير ج 1 ص 169. تذكرة الخواص ص 212-211.

2- تذكرة الخواص ص 212-213.

«يَطْلَعُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُحْسَدُ عَلَيَّ غَيْرُ مَلْتِي» فطلع معاوية (1) 2 - عن البراء بن عازب قال: مرَّ أبو سفيان و ابنه معاوية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيس» فقال ابن البراء لابييه:

من الاقييس؟ قال: معاوية (2) 3 - وفي حديث مشهورٍ مرفوعٍ أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: إنَّ معاوية في تابوتٍ من نارٍ في أسفل دركٍ من جحيمٍ ينادي يا حنَّان يا مَنَّان فيقال له: ألأن وقد عصيت قَبْلُ و كنتَ من المفسدين.» (3)

4 - وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم معاوية علي منبري فاقتلوه».

قال الحسن البصري وهو من رواة هذا الحديث: «فتركوا أمره فلم يفلحوا ولم يتجددوا.» (4)

5 - وفي الرواية ان النبي صلى الله عليه وآله ارسل ذات يوم خلف معاوية، فتباطأ واعتذر بانه مشغول بالاكل، فقال النبي صلى الله عليه وآله و آله: «لا أشبع الله بطنه»

وكان معاوية بعد ذلك يأكل فلا يشبع ويقول: تعبت و ما شبعت. (5) هذا و من أراد زيادة اطلاع علي رذائل معاوية في الروايات و كلمات كبار الصحابة و التابعين فليراجع «الغدير» ج 10 للعلامة الاميني. 4.

ص: 201

1- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 444. الغدير ج 10 ص 141.

2- الغدير ج 10 ص 139.

3- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 444. الغدير ج 1 ص 142.

4- شرح نهج البلاغة ج 3 ص 444. الغدير ج 10 ص 142. كنز الحقائق ج 1 ص 19.

5- شرح نهج البلاغة ج 10 ص 444.

قد يتصور البعض أن يزيد بن معاوية هو أول بني أمية في معاقرة الخمرة و حفلات السكر و العريضة و لم يسبقه احد من بني أمية في ارتكاب هذا الذنب الذي حرّمه الشرع و ذمّه العقل و العلم، غافلين عن ان يزيداً قد ورث ذلك عن ابيه و جدّه.

فقصة شرب ابي سفيان الخمرة في بيت ابي مريم الخمار في الطائف، و زناه بسميّه، معروفة و مشهورة.

و مخازي الوليد بن عقبة و هو من بني أمية، معروفة، و قد نقلنا فيما سبق انه صلي الصبح سكراناً في مسجد الكوفة فجاء بربع ركعات بدلاً عن الركعتين، و تقياً في المحراب، و امتنع عثمان عن اقامة الحدّ عليه علي الرغم من اقامة البيّنة عليه، لانه كان أخوه بالرضاعة، فقام علي عليه السلام بجلده حدّ الشرب.

و اما معاوية، فقد ذكرت التواريخ المعتمدة حفلات سكره و معاقرة للخمر و ان الخمر كانت تحمل اليه علانية الي دمشق. فبدلاً من أن يتولي معاوية اقامة حدود الله، كان هو يخرق تلك الحدود و يُجرئ الناس علي هتك الحرمات و النواهي الشرعية، و اذا صادف ان زجره احد عن ذلك، صبّ معاوية ويلات غضبه عليه. و قد روي ابن عساكر و ابن حجر و ابن عبد البر و ابن الاثير و ابن سفيان في مسنده و ابن قانع و ابن منده من طريق محمد بن كعب القرظي قال: غزي عبد الرحمن بن سهل الانصاري في زمن عثمان و معاوية أمير علي الشام فمرّت به روايا خمر لمعاوية فقام اليها برمحه فبقر كلّ راوية منها فناوشه الغلمان حتي بلغ شأنه معاويه فقال دعوه فانه شيخ قد ذهب عقله فقال: كلا و الله ما ذهب عقلي و لكن رسول الله صلي الله عليه و آله نهانا

أن ندخل بطوننا وأسقيتنا خمراً وأحلف بالله لإن بقيت حتى أري في معاوية ما سمعت من رسول الله لأبقرن بطنه أو لأموتنّ دونه. (1)

نفاق معاوية

ورد في كثير من الروايات التي رواها علماء العامة ان «بغض علي بن ابي طالب» من اوضح علامات النفاق، وكما اسلفنا وكما هو واضح للجميع، ان معاوية بن ابي سفيان له السبق في هذه الصفة، فلقد صبّ معاوية جام غضبه وحقده لرسول الله صلي الله عليه وآله علي أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام وحقق انتقامه وانتقام أبيه من النبي الاكرم صلي الله عليه وآله، في عدائه وانتقامه من علي عليه السلام لقد كان معاوية عدوا للنبي ولعلي وللقرآن وللإسلام، ولما يس من عداوته للنبي، ركّز حقه علي آل النبي صلي الله عليه وآله ولم يكن في آل النبي ابرز ولا- اقرب من عليّ اليه، ومن أولي من عليّ عليه السلام في استقبال سهام الكفار والمنافقين، فعلي نفس النبي بصريح القرآن، وعليّ اول المدافعين عن النبي طيلة حياته، وعلي و النبي صلي الله عليه وآله هما من أرسا قواعد الإسلام وغرس شجرته العظيمة وسقاها، بفارق ان محمداً هو النبي وعليّ هو الولي والوصي.

ولذا، ما كانت عداوة معاوية لعليّ عليه السلام من علي منابره، الأ لعن و شتم و سب النبي الاعظم صلي الله عليه وآله، وقد نقل السيوطي أنّ بني امية لعنوا وسبوا علياً من علي سبعين الف منبر. وفي كتاب «العتب الجميل» لمحمد بن عقيل: لما رفع عمر بن عبد العزيز لعن علي علي المنابر، خطب خطيب المسجد الجامع في حرّان خطبته مجردة عن لعن

ص: 203

1- تاريخ ابن عساکر ج 7 ص 211. الاصابة ج 2 ص 401-402. الاستيعاب ج 2 ص 44. اسد الغابة ج 3 ص 299. الغدير ج 10 ص 180-181. النصائح الكافية ص 96.

وسبَّ أمير المؤمنين عليه السلام، ولما نزل من علي المنبر اعترض عليه همج الناس ورعاعهم وصاحوا به:

«وَيْحَكَ وَيَحَكَ.. السُّنَّةُ السُّنَّةُ، تَرَكْتَ السُّنَّةَ...»

فهؤلاء الجهَّال كانوا يظنُّون ان سبَّ ولعن عليّ عليه السلام من اجزاء الخطبة المسنونة. (1)

إنَّ إعلام معاوية في الشام التي كانت بعيدة عن مركز الخلافة، قد أثر في الناس، وصار سبباً في اضلالهم.

لقد استغل معاوية أموال بيت المال، ووظَّف الخطباء والشعراء والمتملِّقين ووعاظ السلاطين ووضع الحديث، لتشويه الإسلام وحرف الدين، واجبرهم علي الطعن بامير المؤمنين عليه السلام وكبار صحابة رسول الله صلي الله عليه وآله واتهامهم والافتراء عليهم، ظنا منه أنَّ ذلك سيحطُّ من قدر بني هاشم بين الناس، ورغبة منه في اثاره الفتن والجهالة واطفاء نور الإسلام واعادة ظلمات الجاهلية الاموية.

نقل ابن الاثير أنَّ شاباً من اصحاب معاوية خرج في حرب صفين وأخذ يرتجز ويضرب بسيفه ويلعن أصحاب عليّ فقام له هاشم المرقال وكان من قادة جيش علي عليه السلام وعظه وخوفه الله الذي هو مسأله يوم القيامة عن قتاله المؤمنين فقال ذلك الشاب سأقول لله إني قاتلتكم لان صاحبكم لا يصلي وانكم لا تصلون!! وأن صاحبكم قتل خليفتنا عثمان وأنكم أعنتموه علي ذلك. فقال له هاشم المرقال: و ما انت وعثمان إنَّ عثمان قتله اصحاب رسول الله وأبناء الصحابة وقراء القرآن الذين لم يعصوا الله طرفة عين. و أما ما قلت من أن صاحبنا لا يصلي فاعلم5.

ص: 204

إن صاحبنا هو أول من صلي بعد رسول الله و أنه أعلم الخلق بدين الله و أقربهم الي رسول الله و أن هذا الجيش الذي تراه هو من القرءاء المحيين الليل بالعبادة و التهجد و اعلم ان هؤلاء الاشقياء (معاوية و حزبه) قد أضلوك.

فقال له الشاب: فهل لي من توبة؟ قال هاشم: نعم، تب يتوب الله عليك و يغفر لك ذنوبك. فرجع الشاب.(1) و ذكر الجاحظ أن قوماً من بني امية قالوا لمعاوية: لقد وصلت الي ما تريد، فاترك سبَّ و لعن علي!

فقال: لا و الله حتي يشبُّ عليه الصغير و يهرم الكبير، و لا يبقي احدٌ يذكر له فضلاً.

و من علامات نفاق معاوية، عداؤه للانصار، لانهم نصرروا النبي صلي الله عليه و آله فكان معاوية يُعَنِّفُهُمْ و يهزأ بهم، و وصل به الأمر الي حجب جابر بن عبد الله الانصاري.

فقد روي المسعودي أن جابر بن عبد الله الانصاري قدم الي معاوية بدمشق فلم يأذن له أياماً، فلما اذن له قال: يا معاوية اما سمعت رسول الله صلي الله عليه و آله يقول: من حجب ذا فاقة و حاجة حجبه الله يوم فاقته و حاجته. فغضب معاوية و قال له: لقد سمعته يقول: انكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتي تردوا علي الحوض. أفلا صبرت؟ قال: ذكرتني ما نسيت و خرج فاستوي علي راحلته و مضى، فوجه اليه معاوية بستمائة دينار، فردّها و قال لرسوله: قل له و الله يابن آكلة الاكباد لا وجد في صحيفتك حسنة أنا سببها أبداً.(2)8.

ص: 205

1- الكامل ج 3 ص 159.

2- مروج الذهب ج 3 ص 58.

و من جملة مخازي معاوية و ذنوبه التي لا تغتفر و غير المسبوقة بمثلها، هو أنَّه عندما اراد الخروج الي صفين و حرب خليفة زمانه و اثاره الحرب اللعينة بين الاخوة، خاف من هجوم الروم علي مواني الشام فعقد مع قسطنطين ملك الروم، يدفع بموجبها معاوية جزيَّةً من بيت مال المسلمين للروم كل سنة. و كان ذلك وصمة عارٍ لطخت جبين كل تلك الفتوحات الرائعة اللامعة في تاريخ الإسلام و مجاهديه و من اطلع علي تاريخ الإسلام جيداً يعلم أنَّ مثل هذا العمل يعدُّ خيانة عظمي، و لا يمكن قبوله بحال من الاحوال و منذ صدر الإسلام.

لقد قدم الجيش الاسلامي التضحيات و التضحيات و مئات آلاف الشهداء و لم يقبل بدلَّةً كهذه، فمثل هذه المعاهدات مع الكفار و اعداء الله، تؤدي الي سيطرتهم و سلطنتهم علي المسلمين و «ما جعل الله للكافرين علي المؤمنين سيلاً.»

و قد اراد معاوية بذلك اسقاط الحكومة المركزية للإسلام، و خالف دستور القرآن «أشداء علي الكفارٍ رُحماءٌ بيِّنُهُمْ» و وقع معاهدة الذل و الهوان و الجزية و الخراج و التبعية للكفار مُعلنًا بذلك اتحاده مع الكفار و حربه ضد المسلمين.

و ليته قد اكتفي بذلك، لكنه و بعد هلاك قسطنطين (سنة 668 م - 47 هـ. ق) جدَّد معاهدة الجزية السنوية مع قسطنطين المعروف ببوكونات، و كان ذلك سنة (60 هـ. ق) المصادف (679 م) قبل هلاك معاوية بعدة اشهر.

بعد أن كسر معاوية حوالي القسطنطينية انكساراً مُرَّاً، عرف أنَّ معنويات جيشه لم تعد قوية كما كانت عليه سابقاً. فقد كانت سياسة الحكم و فساده و ترفه قد أثرت في روحية المقاتلين سلباً، و أضعفت معنوياتهم كما انَّ المسلمين لم يكونوا

مستبشرين بتلك الفتوحات وقلّت رغبتهم في الجهاد إذ أنّ أتعابهم كانت تصبّ في مصلحة فئةٍ محصورة من آل أبي سفيان وإشباع أطماعهم ورغباتهم وتقوية شوكتهم وهم الذين رفعوا راية العدا لآل النبوة وقتلوا الصفوة من الصحابة في مكة والمدينة والكوفة والبصرة، تاركين الأمر بالمعروف والعمل بالأحكام الشرعية.

و من جهة أخرى كان معاوية قد أعدّ العدة لتولية يزيد الحكم عن طريق الترغيب والترهيب والقوة والرشاوي وكان يعلم أنّ الاضطرابات ستعمّ البلدان الإسلامية بسبب هذا الإستخلاف وإنّ يزيد والحزب الأموي لن يقوي علي فتح جبهتين داخلية وخارجية في آن واحد، و لذا فقد استسلم ثانيةً للروم وبعث بعثاً مع بعض النصارى العرب مع هدايا وتُحف الي ملك الروم، يستميله لعقد معاهدة تستمرّ لثلاثين عاماً، يدفع المسلمون الجزية للنصارى علي أساسها!! وتعهد معاوية بدفع ثلاثين ألف سكة ذهبية، وإطلاق صراح ثمانمائة أسير رومي و أن يبعث إليهم بثمانمائة رأس جواد عربي أصيل.

وقد جاء في الفقرة الرابعة من المعاهدة أنّ هذه الأموال تُدفع بعنوان الخراج الي الدولة الرومية!!

هذا وقد تعهد يزيد بعد معاوية لزيادة تلك الاموال ودفعها الي النصارى.(1) وبهذا يكون معاوية وابنه يزيد الذين ارادوا ان يحافظا علي ملكهما باي ثمن كان و لكي يتسلط بنو امية علي رقاب المسلمين قهراً، وان يمحو آثار الإسلام و1.

ص: 207

يهدموا قواعده، قد اذلاً الأمة الاسلاميّة بهذا العار، بقبولهم تلك المعاهدات المهينة.

المستشارون المسيحيون

و من مآثم معاوية التي لا تغتفر تسليط الكفار علي المسلمين و أموالهم باستخدامه مستشارين كفّارَ أجانِب مخالفاً بذلك صريح القرآن المجيد.

فلقد اعتمد علي بعض المسيحيين في ادارة الامور المالية و العسكرية و الادارية، فكان يستشيرهم في برامجهم و خططهم، و اعتبرهم امناء سرّه، منهم سرجون النصراني و ابنه منصور، و الذي أوكل معاوية اليه امر خزينة بيت المال و حسابات الجند، و لذا كان هذا الكافر بمقتضي وظيفته الحساسة، ينفذ الي كل اجهزة الحكم و خاصة قوّاد الجند و المؤسسة العسكرية المهمة و الخطيرة.(1) و الظنُّ، أنّ سرجون و رفاقه الذين كانوا علي إتصال دائم بالروم، كان لهم الدور الكبير في هزيمة المسلمين في القسطنطينية، و التي قُتل فيها ثلاثون الفاً من المسلمين.(2) و لقد كان سرجون و ابنه منصور - كما عن حجة السعادة وزيراً في زمن يزيد ايضاً، و طبقاً لبعض المصادر التاريخية كان لسرجون هذا دور خبيث في قضية

ص: 208

1- يقول «فردينال نوييل» المسيحي في «أعلام الشرق» ان منصور بن سرجون كان مديراً للمالية و حسابات الجيش في زمن معاوية. و يقول العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» ص 168: لقد اوكل معاوية الامور المالية الي سرجون و من بعده الي ابنه منصور. و اصل كلمه مرجون: سرثيوس، كما عن كتاب حجة السعادة ج 2 ص 72.

2- حجة السعادة ج 2 ص 72.

استشهاد الحسين عليه السلام و فاجعة كربلاء، حيث ان يزيداً قد عيّن عبيد الله بن زياد والياً علي الكوفة باشارة من سرجون النصراني هذا. (1) و اذا ما تأملنا في الحوادث التاريخية، و ما سنبينه في الصفحات اللاحقة حول نشأة يزيد و ظروف تربيته، فاننا سنقف علي ان النصراني كان لهم اليد الطولي في رسم سياسة الدولة الاسلامية في زمن معاوية و يزيد، و ان عملاءهم و جواسيسهم كانوا يشغلون مناصب حساسة في اجهزة حكم بني امية، و أنّ حكومة الشام كانت متكية و عميلة للامبراطورية الرومية، بل، و كما يقول العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصل «تمهيدات الحوادث»؛ يستنتج من الادلة التاريخية أنّ بني امية كانوا علي ارتباط بالبلاط الرومي منذ الجاهلية، و كان بعضهم كعثمان و أبي سفيان آلة بيد الروم لتحقيق مآربهم السياسية، و عملاء تجسس للحكومة البيزنطية.

فلا عجب حينئذٍ من استماتة بعض المستشرقين المسيحيين مثل «لانس» البلجيكي، في الدفاع عن معاوية و يزيد، اذ انّ حكومة بني امية كانت تحت نفوذ المسيحيين و انها الحاجز و المانع من انتشار الإسلام في اوربا، و مثل هذه الحكومة لابدّ ان تحظي بتأييد الحكومات الاستعمارية المسيحية.

تجاهر معاوية بالفسق

لم يكن معاوية متمسكاً بالمحرّمات و مخالفة السنّة، كالربا و شرب الخمر و الاكل و الشرب في آنية الذهب و الفضة و لبس الذهب و الحرير. و لقد كان يأسُ

ص: 209

1- مقتل الخوارزمي ص 198. الكامل لابن الاثير ج 3 ص 268. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 84-85.

بالاستماع الي الطرب و الغناء، و يرغب في لذائذ الاطعمة و الاشرية، و يلبس أفاخر الملابس.

و في الجملة كان سلوكه و لبسه و مأكله و مسكنه في القصور الفاخرة(1) و امتلاك الجواري و الغلمان و الحرس و الحشم و الخدم و ملوكية العيش، مخالفاً لطريقة رسول الله صلي الله عليه و آله و كرام الصحابة، و علي غير نهج الإسلام.

كان معاوية يبذل بيت مال المسلمين و يبذره علي حاشيته و خواصه و أن سياسته المالية الخاطئة و السيئة أدت الي فراغ بيت المال فاضطرّ الي أخذ الضرائب الثقيلة من الناس، كما أنه خالف الشريعة في قضية أخذ الجزية من المشركين و غير القوانين المالية الاسلامية كما أنه سنّ لعن أمير المؤمنين عليه السلام علي المنابر و استلحق زياد بن أبيه و استخلف ولده يزيد و استخفّ بمقام النبوة المقدّس حيث كان لا يردع الذين يتجاسرون علي مقام النبوة و يسلمون علي معاوية بالرسالة.(2) و قد تجرّد معاوية عن فضائل الأخلاق كالشجاعة و العدالة و الانصاف و الغيرة و التقوي و الامانة و البطولة، و لم يكن له سهم و نصيب حتي في الحلم و السياسة. و بعض السطحيين و ان كانوا و بمطالعة بعض الحكايات الاسطورية المنقولة عنه، يتصورون انه حلیم مدبر، و لكن و بالتدقيق في مضامين تلك النقولات يظهر أنه كان يتظاهر بالحلم مكرراً و خداعاً، و الوقائع التاريخية تثبت ذلك و7.

ص: 210

1- فلما بني (معاوية) قصر الخضراء بلغ من اعجابه بالبناء ان سأل اباذر داعية الزهد و الكفاف من الرزق: كيف تري هذا؟ فسمع منه جواباً كان خليقا ان يترقبه لو لم يكن لزهوه بما ابتناه لا يصدق ان احداً يراه بغير فراه، قال ابوذر: ان كنت بنيته من مال اليه فانت من الخائنين و ان كنت بنيته من مالك فانت في المسرفين.

2- النصائح الكافية ص 99-94. معاوية في الميزان ص 27 و 37 و 189-187.

وقد أوضح العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصل «الحلم» مفصلاً أن تظاهر معاوية لا يمت الي الحلم بصلية، كما انه ليس كما يتصوره الكثيرون ذو باع في المكر والدهاء والخديعة، وهذا ما نستنتجه من كلام العقاد في فصل «الدهاء».

فسياسة معاوية لم تكن مستندة الي قوة عقلية، كما انه لم يكن في الخدعة والمكر نظيراً لعمر وبن العاص والمغيرة وزياد ابن أبيه.

إن ما ساعد معاوية علي تحقيق طموحاته، هو الظروف المواتية له، وعدم تورعة عن اي جنائية، وهذا ما يجعل من كل سياسي وإن كان في مرتبة متدنية، قادراً علي تحقيق طموحاته والوصول الي مآربه السياسية، والحق ان سياسة معاوية في الامور المالية والاجتماعية والامنية، كانت فاشلة تماماً. (1)

اهداف معاوية

يتضح من مطالعة تاريخ معاوية، أن هدفه من الفتن التي أثارها والحروب التي أشعلها هو الوصول الي السلطة والحكم، وانه كان يحلم بذلك منذ ايام خلافة عثمان. ومع ان معاوية كان يعلم تماماً أنه لا يستحق ذلك وان رصيده التاريخي معدوم تماماً، مع ذلك، اشعل حرباً شعواء علي ولي الله الذي اتفق الصحابة كلهم علي أحقيته بالخلافة.

ص: 211

1- معاوية في الميزان ص 41-75. لقد بين العقاد في هذا الكتاب معالم طريقي علي عليه السلام ومعاوية بكل وضوح. وذكر ان علياً عليه السلام لا يمكنه الانحراف عن طريقه لانه طريق الحق والعدل، واما طريق معاوية فلا يمت الي الحق والعدالة ومصالحة المسلمين باية صلة، ونوصي القراء الكرام لمطالعة هذا الكتاب ونبتهم الي ان الكتاب لا يخلو من الاشتباه.

لقد كان معاوية قد اطلق العنان لنفسه و لم يتقيد بحفظ مصالح الإسلام و المسلمين، كما انه لم يبالي لاحكام الشرع و رعايتها، فكان يستهين بكل شي من اجل تحقيق هدفه.

و لم يكن معاوية صادقاً في الطلب بدم عثمان(1) و انما كانت تلك حجة واهية يتذرع بها لتحقيق مآربه الماكرة، و لذا نراه قد اعرض تماماً عن الطلب بدم عثمان بعد ان تحقق له ما اراد من الحكم، و لم يتتبع احداً من المتهمين بدم عثمان.

و بعد ان صالح معاوية الإمام الحسن عليه السلام الذي خذله اصحابه الذين انخدعوا بحيل معاوية و ابن العاص و غرّتهم امواله، جاء الي الكوفة و خطب في الناس و كشف عن نواياه الحقيقية قائلاً: «يا أهل الكوفة... اني ما قاتلتكم لتصلوا و لا لتحجّوا و لا لتزكوا فاني اعلم انكم تفعلون ذلك، و لكن قاتلتكم لأتأمّر عليكم و قد أعطاني الله ذلك. ألا و اني كنت قد منّيت الحسن بن علي بامور، و اني لن أف بشي منها و هي تحت قدمي»(2)

فمعاوية الذي تعهد في بنود الصلح بامور كثيرة، لم يعمل بايٍ منها(3)، فلقد قتل حجر بن عدي و اصحابه البررة و عمرو بن الحمق الخزاعي، و لم يترك سبّ عليّ عليه السلام، و اخذ البيعة ليزيد من الناس قهراً، و دسّ السمّ للإمام الحسن عليه السلام فقتله، 7.

ص: 212

1- عقد الاستاذ العقاد في كتابه «معاوية في الميزان» فصلاً مستقلاً بعنوان «موقف معاوية من قضية عثمان» و هذا الفصل و ان كان مختصراً و لكن القارئ و بتامل بسيط سيقف علي خبث مخططات معاوية في تلك القضية، و ما ابتليت به الخلافة الاسلامية من انحرافات بسبب الألاعيب و الخدع السياسية التي عقبته غضب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام و مجي بني امية للحكم.

2- شرح نهج البلاغة ج 4 ص 6.

3- شرح نهج البلاغة ج 4 ص 7.

ولم يرع حرمة الشعائر الاسلامية.

فكان لا يخفي حقه الدفين علي النبي صلي الله عليه وآله عندما كان يسمع اسمه ينادي به في الاذان خمس مرات في اليوم والليله، و يتوعد بمحوه حتي لا يبق أثراً للإسلام.

يقول المسعودي نقلاً عن كتاب «الموفقيات» لابن بكار، ان المطرف بن مغيرة بن شعبة: وفدت مع ابي المغيرة الي معاوية فكان ابي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف الي فيذكر معاوية و يذكر عقله و يعجب مما يري منه اذ جاء ذات ليلة فامسك عن العشاء فرأيته مغتماً فانتظرتة ساعة و ظننت أنه شيء حدث فينا أو في عملنا فقلت له: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة. قال يا بني: جئتك من عند أخبت الناس فقلت له و ما ذاك. قال: قلت له و قد خلوت به إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً و بسطت خيراً فانك قد كبرت و لو نظرت الي اخوانك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي هيهات هيهات ملك أخو تيم فعدل و فعل ما فعل فوالله ما غدي أن هلك فهلك ذكره الا أن يقول قائل أبوبكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد و شمّر عشر سنين فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره الا أن يقول قائل عمر ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل و عمل به فوالله ما عدي أن هلك فهلك ذكره و ذكر ما فعل به و ان أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله فأبي عمل يبقي مع هذا لا ام لك لا والله الا دفناً دفناً. (1) و هذه الحكاية تؤيد ما نقول، فان معاوية كان يهدف مضافاً الي تحقيق اغراضه السياسية، محو كل ما يمتُّ الي السماء بصله من ملامح الإسلام حتي اسم.

ص: 213

1- مروج الذهب ج 3 ص 362.

و لو اردنا ان نطلق العنان لاقلامنا لكتابة جرائم و جنایات معاوية فاننا سنتعّب انفسنا و قراءنا الكرام بكتابة و قراءة كتاب كبير، و نكون بعدها ملزمين بالاعتذار لعدم اداء حق الموضوع كما يجب. و لذا فاننا سنحيل القارئ العزيز الي مطالعة شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد و كتب التاريخ و كتاب الغدير للعلامة الاميني الجزء العاشر، و كتاب «النصائح الكافية» و حينئذ سيتضح للقارئ ان كل ما قلناه و ما سنقوله في مطاعن هذا العنصر الخبيث، ليس الا قطرة من بحر لؤمّه و خستّه و وحشيته. (1) و نقل عن كتاب «التعجب» للكراچكي، أنّ معاوية لم يسلم و أنه كان باقيا علي شركه، و مكذباً الوحي، مستهزئاً بالشرع، و انه كان عام الفتح في اليمن و عندما سمع باسلام أبيه - نفاقاً و خوفاً - كتب اليه شعراً و نثراً يذمّه فيه، و انه بقي علي شركه و هرب الي مكة فاضطر لخوفه من هدر دمه ان يذهب الي النبي و شفّع العباس عمّ النبي اليه فعفا عنه رسول الله صلي الله عليه و آله و كان اسلامه - الكاذب - قبل رحلة النبي الي جوار ربّه بخمس أو ستة أشهر فقط، و كان مع النبي صلي الله عليه و آله في ذلك الوقت اربعة عشر كاتباً و لم يُعهد ان معاوية هذا قد كتب شيئاً للنبي صلي الله عليه و آله من كتبه و رسائله، و حتي لو فرضنا انه كتب كتاباً، فان ذلك لا يعدّ فضيلةً لمثل معاوية الاّ إنّّه من «المؤلفة قلوبهم».3.

1- شرح نهج البلاغة ج 1 ص 12. ابو الشهداء ص 75. معاوية بن ابي سفيان ص 163.

انّ من هوان الدنيا وعبرها، ان يكون يزيد بن معاوية حاكماً علي المسلمين و علي كبار الصحابة و التابعين!

فانّ اشدّ صفحات التاريخ البشري ظلماً و سواداً، هي تلك الصفحات التي تناولت حياة يزيد. فضائح بني امية و جنايااتهم المشهورة من بين جناة التاريخ قد جعلتهم في مصاف الفاسدين لكنّ يزيد بن معاوية يعدّ وصمة عارٍ حتي في جبين بني امية أنفسهم حتي كادت فضائحه ان تُنسي الناس فضائح سائر بني امية، و تجعل يزيداً بطل الشرّ و الكفر و الطغيان و السخف و الدناءة و العداء لاهل بيت رسول الله صلي الله عليه و آله.

فيزيد هو النقطة الاشدّ سواداً في صفحة تاريخ بني امية الحالكة الظلمة، و مصداق «ظلماتٌ بعضها فوق بعض.»

نشأة يزيد

يقول العلايلي: لنفهم مصرع الحسين عليه السلام يلزمنا ان نعرف من يزيد؟

ولكي نعرف يزيد لابد من مطالعة تربيته الأسرية، اذ من الواضح ان للبيئة و المحيط أثرهما في بناء شخصية الانسان سلباً أو ايجاباً. فالحجر و اللبن و الأم و سلوك الاب و العادات العائلية كلها تؤثر في أخلاق الانسان و هذا ما يؤيده علماء الأخلاق و النفس، و قد اكدت الشريعة عليه تأكيداً كبيراً.

فكم من فرق بين من تربّي في بيئة سليمة ملؤها الصدق و العفة و الصلاح و

بين من تربّي في بيئة سيّئة ملؤها الظلم و الفجور و الفساد و الكفر و الإجرام. (1) و علي هذا تكون مطالعة ظروف التربية العائلية لرجالات التاريخ، و قراءة العوامل المحيطة المؤثرة في رشد افكارهم و سلوكهم و نفسياتهم، ضرورية و لازمة، و لقد كان يزيد من جملة الذين ترتبط أعمالهم و سلوكهم بالمحيط الذي تربوا فيه ارتباطاً مؤكداً، و لقد كان نسخةً طبق الأصل.

و لقد تناولنا فيما مضى بعض أفراد اسرة يزيد كابيّه معاوية و اجداده و جدّته و بعض بني عمومته، و قد نفصّل فيما ياتي عنهم قليلاً و لكننا لم نتعرض لحدّ الآن الي هويّة أمّ يزيد، فمن هي أمّ يزيد؟

ميسون:

ميسون أمّ يزيد بنت بجدل الكلبي، و طبقاً لنقل كتاب «تجارب السلف» و «الزام النواصب» و «ربيع الابرار للزمخشري» و اشعار النسابة الكلبي، فان يزيداً مطعون في نسبه، مردودٌ انتسابه الي معاوية، فان ميسون لما جي بها الي معاوية كانت حبلي بيزيد من غلامٍ لأبيها. (2)

ص: 216

1- ان هذه القاعدة يمكن ان تتخلف، و بعبارة اخري، فان المحيط و البيئة التي يعيش فيها الانسان ليست هي العدّة التامة لصياغة شخصيته، فكم من مؤمن صالح نشأ في بيئة فاسدة و من ابوين فاسدين، و كذلك العكس و صدق تعالي حينما قال: «يخرج الحيّ من الميت و يخرج الميت من الحي» و لكن يبقى للبيئة أثرها علي نحو الموجبة الجزئية، فيمكن ان يعتك الانسان مع المحيط الفاسد و يتغلب عليه فلا يكون المحيط فاسداً أبداً عذراً للفساد و الأخلاق القبيحة.

2- راجع القمقام الزخّار ص 229. المجالس الحسينية ص 134.

يقول العلايلي: وإنَّ أهم ما يلزمنا أن نعرف هنا من أمر يزيد ناحيتان:

نشأته المسيحية أو بالأحرى التي كانت أقرب إلي المسيحية، وعقليته التي كانت في نظري غيبية جداً، و تبعد كثيراً عن العقلية الواقعية العملية التي امتاز بها أبوه.

يبدو مستغرباً بادئ ذي بدء، أن نعرف أن يزيد نشأ نشأة مسيحية تبعد كثيراً عن عرف الإسلام، و تزيد القاري دهشة الي حد الانكار، و لكن لا- يبقى في الأمر ما يدعو الي الدهشة، إذا علمنا أن يزيد يرجع بالأومومة إلي بني كلب، هذه القبيلة التي كانت تدين بالمسيحية قبل الإسلام، و من بديهيات علم الاجتماع أن انسلاخ شعب كبير من عقائده يستغرق زمناً طويلاً، بين معاودات نفسية و رجعات ضميرية و ذكريات وجدانية. و بالأخص إذا كانت عقيدة سيطرت علي الافكار و العادات و العرف العام.

و التاريخ يحدثنا أن يزيد نشأ فيها الي طور الشباب أو حتي جاوز طور الطفولة، و معني هذا أنه أمضي الدور الذي هو محطُّ أنظار المرَّبين و عنايتهم، و بذلك ثبت علي لون من التربية النابية تمازجها خشونة البادية، و جفاء الطبع.

علي أن طائفة من المؤرخين ترجِّح و لا يبعد أن يكون صحيحاً، أن من أساتذة يزيد بعض نساطرة الشام من شارقة النصاري، و ربما شهد لهذا التقدير ما جاء في تاريخ الشام لابن عساكر من أن يزيد كان يعرف طرفاً من الهندسة هذا الفن الذي كان مجهولاً من العرب، مما يضعنا أمام الأمر الواقع الذي يتسق تفسيره علي هذا الوجه. و لا يخفي ما يكون لهذه التربية من أثر سبي فيمن سيكون ولي أمر المسلمين.

و هذه التربية تصحح الرواية الأدبية القائلة بأن يزيد أراد كعب بن جُعيل علي هجاء الأنصار، فاستأبى عليه تأثماً لمقامهم الديني و دله علي الأخطل التغلبي الشاعر النصراني، و من ثم أطردت الصداقة بينهما. و نحن نشك في صحة هذه الرواية و نعزو الاتصال بينهما الي مكان التربية عند يزيد، فقد كان يتزيد في تقرب المسيحيين و يستكثر منهم في بطانته الخاصة، لما أنه يقع بينهم علي من يمتزج به و ينسجم معه (علي ما يقولون). و لقد اطمأن إليهم حتي عهد بتربية ابنه الي مسيحي علي ما لا اختلاف فيه بين المؤرخين. و لا يمكن أن نعلل هذه الصلة الوثيقة و التعلق الشديد بالأخطل و غيره إلا إلي مكان التربية ذات الصبغة الخاصة و اللون النابي.

إذا كان يقيناً أو ما يشبه اليقين، أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة و بعبارة اخري كانت مسيحية خالصة، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفاً بما عليه الجماعة الاسلامية، لا يحسب لتقاليدھا و اعتقادھا أي حساب و لا يقيم لها وزناً، بل الذي يستغرب أن يكون علي غير ذلك. (1) و من ثم وجدنا يزيداً يشارو المسيحيين و الاجانب امثال سرجون الرومي و يعمل بما يملوه عليه و كما قلنا سابقاً فانه جعل عبید اللہ بن زياد والياً علي الكوفة باشارة من سرجون المسيحي (2) و مضافاً الي ذلك، فان يزيد قد ترعرع و نشأ في البادية عند اخواله بني كلب، و لم يكن تأثره بعادات البداوة بأقل من تأثره بالمسيحية في ردائل الأخلاق و وحشية الطباع، إذ أن معاوية ترك ميسون امّ يزيد و ارسلها الي البادية، فكانت 6.

ص: 218

1- سمو المعني ص 66-67. مروج الذهب ج 3 ص 3.

2- الكامل في التاريخ ج 3 ص 268. الحسن و الحسين سبطا رسول اللہ ص 84-85. حجة السعادة ج 2 ص 6.

ولادة يزيد فيها، و متاركة ميسون لمعاوية و ان فسّرهما البعض بكراهة ميسون حياة القصور و الحضارة، و منادمة الجوّاري الحسان و القيان و أنية و الذهب و الفضة و السجّاد، و لكن الحق أنّ دواعي الفراق الحقيقية هي الحنينُ الي ذلك الغلام و ثورة العشق المتأججة في قلب ميسون له، فطالما سمع معاوية أشعار ميسون الغزلية لعشيقها و هي في قصره، و طالما احسّ معاوية بسهرها و لوعتها علي فراقه، فاضطر الي إرسالها الي عشيقها و هجرها.

أخلاق يزيد

يقول العقاد: فتي عربيّد يقضي ليله و نهاره بين الخمر و الطنابير، و لا يفرغ من مجالس النساء و الندمان إلا ليهرع إلي صيد فيقضي فيه الأسبوع بعد الأسبوع بين الأديرة و البواري و الآجام، لا يبالي خلال ذلك تمهيداً لملك و لا تدريباً علي حكم و لا استطلاعاً لأحوال الرعية الذين سيتولاهم بعد أبيه، ثقة بما صار اليه من التمهيد و التوطيد و ما سوف يصير. (1) و يقول ايضاً فكان كلفه بالشعر الفصيح مغرياً له بمعاشرة الشعراء و الندماء في مجالس الشراب، و كان ولعه بالصيد شاغلاً يحجبه عن شواغل الملك و السياسة، و كانت رياضته للحيوانات مهزلة تلحقه بأصحاب البطالة من القرايين و الفهادين، فكان له قرد يدعو «أبا قيس» يلبسه الحرير و يطرز لباسه بالذهب و الفضة و يحضره مجالس الشراب، و يركبه أتاناً في السباق و يحرص علي أن يراه سابقاً مجلياً

ص: 219

علي الجياد.(1) ولم ينته يزيد عن معاقرة الخمرة والمآثم حتي في مدينة النبي صلي الله عليه وآله.

قال الحسين عليه السلام في يزيد لمعاوية: وقد دل يزيد من نفسه علي موقع رأيه فخذ ليزيد في ما اخذ به من استقراءه الكلاب المهارشة عند التحارش و الحمام السبق لاترابهن و القينات ذوات المعازف و ضروب الملاهي تجده ناصراً.(2) و يقول محمد رضا رشيد هذه نشأة أولاد الطبقة الارستقراطية عادة، فهم لا- يعأون بالتعاليم الدينية و لا يعرفون الحلال من الحرام و إنما همهم التعلق بأنواع المسليات و الملاهي و الصيد و القنص و الرقص و الغناء و شرب الخمر. فتربية يزيد كانت خلاف تربية أولاد الصحابة إذ كانت تربيتهم دينية محضة. وقد استطاع معاوية بسلطته أن يأخذ البيعة لانه من أهل الشام لكنه لم يستطع أن يؤثر في أهل المدينة، فلما مات جنح يزيد إلي استعمال القوة في حملهم علي مبايعته و قال: «و الله لأطأنهم و طأة آتي منها علي انفسهم».(3) و يقول المسعودي: كان يزيد صاحب طرب و جوارح و كلاب و قرود و فهود و منادمة علي الشراب و جلس ذات يوم علي شرابه و عن يمينه ابن زياد و ذلك بعد قتل الحسين عليه السلام فأقبل علي ساقيه و قال:

أسقني شربة ترؤي فؤادي0.

ص: 220

1- ابو الشهداء ص 77.

2- الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 60.

3- الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 60.

ثم أمر المغنّين فغنّوا(1) و غلب علي أصحاب يزيد و عماله ما كان يفعله من الفسوق وفي ايامه ظهر الغناء في مكة و المدينة و استعملت الملاهي و أظهر الناس شرب الشراب و كان له قرد يكني أبا قيس، يحضره مجلس منادمته و يطرح له متكأ... الي أخره.

و كان عمّال يزيد و حاشيته يشاركونه في مجونه و فسقه، و انتشر ايام حكومته الغناء و الطرب في مكة و مدينة، و استعملت آلات الموسيقي و القمار، و ابيحت حانات الخمر و الميسر.

ثم يذكر المسعودي قصة قرد يزيد المسمي «ابو قيس» و حضوره مجالس الشراب و اللهو.(2) يقول الكيا الهراسي الشافعي: و كيف لا يكون كذلك و هو المتصيد بالفهد و اللاعب بالنرد و مدمن الخمر و من شعره في الخمر قوله:

أقول لصحبٍ ضمّت الكأس شملهم

و كتب فصلا طويلاً في مذمة يزيد و قال:

«و لو مُدِدْتُ ببياضٍ لأطَلَقْتُ العنان و بسَطْتُ الكلام في مخازي هذا الرجل»(3)4.

ص: 221

-
- 1- مروج الذهب ج 3 ص 15. تذكرة الخواص ص 290.
 - 2- مروج الذهب ج 3 ص 16-15. ابو الشهداء ص 75.
 - 3- حياة الحيوان ج 2 ص 224.

1 - إنَّ اعظم جناية ارتكبها يزيد هي قتله للامام الحسين عليه السلام وشباب بني هاشم و خيار و افاضل قرابة الرسالة و اصحابه الابرار، و أسر بنات النبوة.

فعبىد الله ابن زياد قتل الحسين عليه السلام بأمر يزيد، و أسدّر أهله و نسائه و بناته اسر الكفار، و ارسلهم مع رأس الحسين عليه السلام الي الشام بطلب يزيد نفسه، و بامر من يزيد، و أوقفهم بباب مسجد دمشق يتفرج عليهم الناس كما يتفرجون علي اسري الديلم و الكابل.

و يزيد، ليس فقط لم يتبرأ من فعل ابن زياد، و انما كافأه و حباه و قرّبه و ادناه بدلاً عن أن يلومه علي منع اطفال محمد صلي الله عليه و آله من شرب الماء، و قتله الرضّع و العجائز. و لَمَّا قدم ابن زياد الي دمشق اجلسه في مجلسه و احتفل بجريمته و نادمه و أشعر فيه و تغني بوحشيته في كربلاء حتي قال فيه:

قَاتِلِ الْخَارِجِيَّ أَعْنِي حُسَيْنًا وَمُبِيدَ الْأَعْدَاءِ وَالْحُسَّادِ!

كتب ابن عباس رداً علي كتاب يزيد اليه: بلغني كتابك تذكر فيه اني تركت بيعة ابن الزبير و فاءاً مني لك و لعمرى ما أردت حمدك و لا وذك تراني كنت ناسياً قتلك حسيناً و فتيان بني المظلب مضرّجين بالدماء، مسلويين بالعراء تسفي عليهم الرياح و تتنابهم الضباع حتي أتاح الله لهم قوماً و ااروهم فما أنس ما أنس طردك حسيناً من حرم الله و حرم رسوله و كتابك الي ابن مرجانة تأمره بقتله و اني لارجو من الله أن يأخذك عاجلاً حيث قتلت عترة نبيه محمد صلي الله عليه و آله و رضيت بذلك و أما قولك انك غير ناس برّي فاحبس ايها الانسان برّك عني و صلتك فاني حابس عنك و دّي و لعمرى انك ما توتينا مما لنا من قبلك الا اليسير و انك لتحبس عنّا منه

العرض الطويل. ثم انك سألتني أن أحت الناس علي طاعتك وأن أخذلهم عن ابن الزبير فلا مرحباً ولا كرامة تسألني نصرتك و مودتک و قد قتلت ابن عمي و أهل رسول الله مصابيح الهدى و نجوم الدجى غادرتهم جنودك بأمرک صرعا في صعيد واحد قتلي أنسيت إنفاذ اعوانك الي حرم الله لتقتل الحسين فما زلت ورائه تخيفه حتي أشخصته الي العراق عداوةً منك لله ورسوله و لأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً فنحن اولئك لأبائك الجفات الطغاة الكفرة الفجرة اكباد الإبل و الحمير الاجلاف أعداء الله و أعداء رسوله الذين قاتلوا رسول الله في كل موطن و جدك و أبوك هم الذين ظاهرُوا علي الله ورسوله و لكن إن سبقتني قبل أن أخذ منك ثأري في الدنيا و قد قتل النبيون قبلي و كفي بالله ناصراً. (1) 2 - و بعد فاجعة الطف الاليمة، و قبل ان تجفّ دموع اهل المدينة علي مقتل ابي عبد الله الحسين عليه السلام، حدثت واقعة الحرّة في المدينة المنورة و التي فجعت أهلها بافضع الجرائم التي يندي لها جبين البشرية جمعاً، و التي كشفت القناع عن كفر يزيد و أبيه، و اشعرت الناس جميعاً بالخطر الذي يتهدد اساس و مقدسات الإسلام من جهة بني امية.

فبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و انتشار الخبر، احسّ المسلمون عموماً بخطر يزيد علي الإسلام، و تيقنوا ان من جملة غاياته، هتك المحرمات و الغاء احكام الشرع و اهانة مقام الرسالة، و ان جرائمه و شنائع افعاله لن تتوقف عند حدّ معين.

و كان يزيد قد منع العطاء عن اهل المدينة، فتهيأت اسباب مقدمات ثورة2.

ص: 223

1- تذكرة الخواص ص 275-276. القمقام الزخار ص 584. تاريخ يعقوبي ج 2 ص 221-222.

عارمة عليه فيها.

وعزل يزيد والي المدينة الوليد بن عقبة وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان و كان فتياً غزاً لم يجرب الامور ولم يحنكه السن، ولم تضرسه التجارب، وبعث الي يزيد وفداً من اهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، و عبد الله بن ابي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي و المنذر بن المنذر رجالاً كثيراً من اشراف اهل المدينة، فاجتمعوا بيزيد و وهب لهم هدايا و الجوائز(1). و بعد ان شاهدوا باعينهم فساد يزيد في قصره و مجونه و طربه و معاقرته الخمرة، شتموا يزيداً و عتبه و قالوا:

انا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر و يعزف بالطنابير و يضرب عنده القيان(2) و يلعب بالكلاب و يسامر الخراب و الفتيان، و انا نشهدكم انا قد خلعناه»

و في بعض التواريخ المعتبرة ان اهل المدينة ثاروا علي عامل يزيد و اخرجوه بعد ان ثبت عندهم فسقه و اسرافه في المعاصي، و جوره و ظلمه و ظلم ولاته.

فارسل لهم يزيد جيشاً بامرة مسلم بن عقبة المعروف بقساوته و ظلمه و تعديه علي المقدسات الدينية و كان من تربية معاوية و معتمديه، فامرهم يزيد ان يستحل المدينة لثلاثة أيام، و كان النبي الاكرم صلي الله عليه و آله يقول:

«من أخاف أهل المدينة أخافه الله و عليه لعنة الله و الملائكة و الناس اجمعين.»ة.

ص: 224

1- و خصّ زعماء الوفد برعايته و اكبر مبلغ من المال و هو واثق من ان الوفد سيرجع بغير الروح التي كان يحملها عندما خرج من المدينة و لكن سهامه قد طاشت و ظنونه قد خابت فلم يحصل منهم غير الهجاء و السباب بعد رجوعهم من عنده الي المدينة.

2- جمع قينة و هي المغنية.

وسار ابن عقبة بالجيش الشامي و كان اهل المدينة قد حفروا خندقاً لالتقاء الجيش و حتي لا تكون المعركة في شوارعها كما فعل رسول الله صلي الله عليه و آله في وقعة الاحزاب حينما جمع جدُّ يزيد المشركين لغزوها. و لكن ذلك لم يمنع غزاة يزيد من اقتحام المدينة و انتهت المعركة بهزيمة اهل المدينة لعدم تكافؤ القوتين فقد بلغ جيش الغزاة نحواً من ثلاثين الفاً و عدد المقاتلين في المدينة لم يتجاوز الالفين، و لمساعدة مروان بن الحكم و خيانة رجل من بني حارثة، فاستباحوا المدينة ثلاثة ايام بلياليها و دخلت خيلهم مسجد النبي صلي الله عليه و آله و بقروا بطون الحوامل و استباحوا الاعراض، و استثنى من ذلك الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام و ال رسول الله صلي الله عليه و آله لعدم اشتراكه في الاحداث التي تسببت في ذلك.

هذا و قد قُتل في هذه الواقعة الفجيعة ثمانون صحابياً من اصحاب رسول الله صلي الله عليه و آله و سبعمائة من اولاد المهاجرين و الانصار و اكثر من عشرة آلاف من سائر الناس.

دخل أحد جنود مسلم ابن عقبة الي دار امرأة انصارية كانت ترضع طفلها فأراد أن ينهب أثاث المنزل فقالت له: و الله لم يبق لنا رفاقك شيئاً. قال: لا بد أن تعطيني شيئاً أو قتلت طفلك. قالت المرأة: و يلك إنه ولد ابن أبي كبشة الانصاري من أصحاب رسول الله صلي الله عليه و آله و إني من النساء اللاتي اشتركن في بيعة الشجرة و قد بايعت علي أن لا أزني و لا أسرق و لا أقتل ولداً و قد وفيت ببيعتي، فخف الله ربك. ثم نظرت الي طفلها و قالت: بني لو كان عندي ما أفنديك به لفعلت.

لكنَّ الرجل لم يرحمها و لم يرحم طفلها فأخذ الرضيع من علي صدرها و ضرب رأسه بالجدار فتناثر مخَّ الصبي أمام عيني امه.

و طبقاً لبعض النقول التاريخية فان هذا الرجل لم يخرج من تلك الدار الا و

قد اسودّ نصف وجهه.(1) والحاصل، إنّ استهتار يزيد و امير جيشه مسرف ابن عقبة (كما يسميه البعض) بلغ حداً أن وطئت خيولهم مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وبألت وراثتً بالقرب من قبر النبي صلى الله عليه وآله و منبره الشريف، وقتلوا كل من لاذ بقبر النبي صلى الله عليه وآله فسالت الدماء في المسجد النبوي و شوارع المدينة.

و كل هذه الجرائم كانت بامر ابن ميسون، و لما انتهت الواقعة اكرم يزيد مروان الذي اعان مسرف بن عقبة علي تنفيذ اوامر سيده يزيد.

3 - و من جملة شنائع افعال يزيد انه اجبر اهل المدينة علي بيعته علي انهم عبيد قنّ له، و ختم اعناقهم بختم العبيد!!

و لما انقضت الايام الثلاثة أمر اللعين مسرف بن عقبة باحضار الاسري مكبلين بالاصفاد، و احضر سائر الناس و من نجى من القتل و أخذ منهم البيعة ليزيد قسراً علي ان تكون اموالهم و ارواحهم ملكاً ليزيد يفعل بها ما يشاء!! و من رفض او اعتذر قتل فوراً.

و اول من جى به لاختذ البيعة هو عبيد الله بن ربيعة ابن أمّ سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله و عندما طُلب منه البيعة قال: اباع علي كتاب الله و سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال له مسرف: تباع علي انك مملوك ليزيد يفعل بمالك و اولادك ما يشاء! فامتنع عبد الله من ذلك فامر اللعين مسرف بضرب عنقه.

و هكذا اخذ مسرف البيعة من كبار الصحابة و التابعين و سائر الناس الأ علي بن الحسين عليهما السلام، علي انهم عبيد قنّ و ختم اعناقهم كما يختم علي الجياد بعلامة2.

ص: 226

1- البداية و النهاية لابن الاثير. تاريخ الطبري ج 4 و ج 5. مروج الذهب ج 2.

الملكية، وكذلك ختم علي راحة أيديهم كما يُفعل بالعبيد.

وبهذا يكون اهل المدينة قد دفعوا لبني امية ضريبة خدماتهم للاسلام والتوحيد والنبوة والمسلمين زمن هجرة النبي صلي الله عليه وآله اليهم، فانتقم يزيد منهم لوقوفهم الي جنب النبي معرباً عن حقه وحقه آباءه الدفين تجاه الانصار.

4- والفاجعة الرابعة هي تعرّض يزيد وهجوم جيشه علي بيت الله الحرام وهتك حرمة الكعبة الشريفة وضربها بالمنجنيق واحراق ستائرهما وهدمها وهي قبلة المسلمين وملاذهم وامنهم (1)

كفر يزيد

مما تقدم في ذكر قبائح أفعال يزيد، يزول الشك في كفره عند المنصف المتجرد عن العناد والتعصب. حيث تبين ان يزيد بن معاوية لا يري ايّ قدسية واحترام لمسجد وروضة النبي صلي الله عليه وآله والكعبة المشرفة، ولم يكن مؤمناً أبداً برسالة ونبوة محمد بن عبد الله صلي الله عليه وآله ولولا ذلك لما تجاسر بتلك الوحشية والاسراف وهتك حرمة تلك المقدسات الاسلامية. وبالتدقيق في تصرفاته وتصرفات ابيه، يتضح جلياً انه لم يكن ليستحي من ارتكاب ما ارتكب حتي لو كان النبي صلي الله عليه وآله علي قيد الحياة اذا تمكن وقدر علي ذلك، ولم يتواني عن قتل رسول الله صلي الله عليه وآله سائراً علي درب

ص: 227

1- لمزيد الإطلاع علي واقعة الحرّة وختم اعناق المسلمين وتلك البيعة الخبيثة وهدم الكعبة، راجع: الامامة والسياسة ج 2 ص 220-232 و ج 2 ص 11. تاريخ الخلفاء ص 139-140. السيرة الحلبية ج 1 ص 199-195. الاخبار الطوال ج 1 ص 220-237. تاريخ يعقوبي ج 2 ص 223-224. مروج الذهب ج 3 ص 17-19. تذكرة الخواص ص 289-299. شرح نهج البلاغة ج 3 ص 470. تاريخ الطبري ج 4 ص 370. الكامل لابن الاثير ج 3 ص 310.

اسلافه من بني امية في حرب بدر واحد و خندق.

و مضافاً الي تجسيد يزيد الكفر عملياً، فقد كان يصرح بلسانه و اشعاره بكفره و عدم ايمانه، و قد ورد انه لَمَّا وضع رأس الحسين بن علي عليهما السلام بين يديه، أخذ يضرب الراس الشريف بعود خيزران و انشد يقول:

يا غُرَابَ الْبَيْنِ ما شِئْتَ فُؤَل

يقول ابن عقيل: و من الادلة علي كفر و زندقة يزيد اشعاره المتضمنة لمعاني الكفر و خبث السريرة و لؤم العنصر، و من جملتها:

عُلِيَّةُ هَاتِي و اَعْلَنِي و تَرْتَمِي

ألا هاتِ فاسقيني علي ذاك قَهْوَةَ 8.

ص: 228

ولا بُدَّ لي من أن أزوّر مُحمّداً بمشمولةٍ صفراءٍ تروي عظامياً

و من جملة أشعاره ايضاً:

مَعَشَرَ النَّدَمَانِ قُومُوا

و من اشعاره الدالة علي كفره:

لَمَّا بَدَّتْ تِلْكَ الحُمُولُ وَأَشْرَقَتْ

الحالة الاجتماعية في عصر يزيد

يعتقد محققوا علم التاريخ و الاجتماع إنَّ الانحطاط الاجتماعي و الاخلاقي للمسلمين تسارع منذ عهد عثمان بن عفّان و تسلط بني امية علي رقاب المسلمين.

و في عصر معاوية و بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام كان إنحدار المجتمع الاسلامي سريعاً جداً، فظهر التفاوت العجيب بين حالة المجتمع و قنذاك و حالته زمن النبي صلي الله عليه و آله و خلافة أمير المؤمنين فالمبادئ الفكرية انحرفت، و الأخلاق تغيرت، و العادات و السلوك الاجتماعي تبدّل، و دبّ الفساد الاداري في مرافي الدولة، و عادت مظاهر حكومات ايران و الروم التي كسحتها المفاهيم الاسلامية و

ص: 229

القيم السماوية، وبدأ تأويل الشريعة والقران و الاحكام، بما ينسجم مع الميول و الرغبات الشخصية، وبدأ التفتيش في عقائد الناس و التجسس علي معتقداتهم و محاربة المعتقدات التي تخالف منهج بني امية في الحكم، وابتدأ تطبيق منهج جديد في تربية الناس علي الخنوع و الخضوع و الاستسلام للظلم و السكوت عن الحق و التملق و التزلف للولاة و الجباة و الظلمة، و اشاعة فكرة أحقية معاوية و استخلافه و سعة صلاحياته.

و اما في الامور التي ينبغي الرجوع فيها الي آراء عامة الناس (كالبيعة) فلم يكن غير رأي الحاكم و ارادته محترماً، و كانت الآراء تؤخذ تحت بريق السيف و لمعان رأس السنان و صليل الحراب، و بما يتناسب مع ميول بني امية، و كانت الاستفتاءات التي يعبر عنها في ذلك الوقت بالشوري!! مجرد مسرحيات سافرة.

فلقد كان معاوية يرتقي المنبر في مجمع كبير مثل مسجد النبي صلي الله عليه و آله حيث يجتمع المخالفون لولاية عهد يزيد، و يعلن بكل وقاحة و صلافة، انّ المسلمين اجمعوا علي انتخاب يزيد و بيعته و انّ اهل الحلّ و العقد هم الذين رشّحوا يزيداً لولاية العهد!! و الحال، إنّ الجلادين و القتلة يصطّفون تحت منبره لقمع و كتم انفاست ايّ معترض مهما علا شأنه.

فرجال الإسلام الذين جاهدوا لمرضاة الله و استقبلوا الموت في سبيله بافتخار، و قطعوا طمعهم عن الدنيا و ملذاتها و قنعوا ببساطة العيش الكريم و ذابوا في حبّ العدالة الاجتماعية، و لم تأخذهم في الله لومة حاكم او جائر و ظالم و كانوا كابي ذر الغفاري رضوان الله تعالي عليه جادّين من اجلّ تعاليم القران و المطالبة بتطبيق احكام الشرع المبين، هؤلاء تخلّوا عن مواقعهم لا ناس انكبوا علي الدنيا و زينتها و أموالها، و اعمت بصائرهم الشهوات و الملذات و طيب العيش و القصور و

الموائد اللذيذة، و اضعف قواهم الاخلاقية حبّ الدنيا، فقبلوا الذلّة و الاستكانة و الخنوع طمعاً في الدراهم المعدودة التي يستلمونها من بيت المال، و اطاعوا الفرامين الجائرة و سكتوا عن الحق و تخلوا عن الغيرة و الرجولة و العزّ و الشرف و الكرامة و الإنسانيّة.

و لم يُعدّ هناك من يأتّمر باوامر رئيسه اذا ما دعاه الي العمل بالقانون، و لم يُعدّ هناك من يتمرد علي اوامر رئيسه اذا ما دعاه الي مخالفة القانون، فلقد باع الجميع انفسهم بالجوائز و الهبات الحقيرة، فصاروا عبيداً لمعاوية و يزيد و زياد و شمر و الاخرين من نظائرهم المتردية و النطيحة، فلم يُعدّ للقوانين معني إلاّ تلك التي تصدر عن بني اميّة.

و ان وُجد من يتمنع من اجراء القوانين الظالمة - كوالي خراسان فانهم يتعرضون للتصفية الجسدية و يُبعدون عن ساحة الاحداث.

و لم يُعدّ مهماً للمسلمين أيّهما يحكم، يزيد و معاوية ام الحسين و علي عليهما السلام، فان المهم عندهم هو مصالحهم الشخصية التي تتحقق لهم في حكومة بني اميّة فوالوا حكومة بني اميّة.

كان الخمول و الركود و الخنوع و السكوت و الخوف قد عمّ كل نواحي الحياة الاجتماعية، و تُرك الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و كانت اجهزة السلطة الاموية تمنع منهما.

و لم يعد للخطباء دور إلاّ التمجيد و الدعاء و الثناء للولادة و لمعاوية و يزيد، و لعن و ذمّ الاخير و الصلحاء و اولياء الله. و قد أخذ الفقر و الفاقة مأخذهما من الناس، و صرفت اموال بيت المال في البذخ و الحفلات الماجنة و الجوائز و الهبات و العطايا و الصلوات لغير مستحقيها، بدلاً من صرفها في مصالح المسلمين و التوسعة

عليهم و تطوير اقتصاد الدولة الاسلامية و اعمارها، فاستشرت تجارة الغلمان و الجواري و مجالس اللهو و الطرب و الخمر و القمار و الرقص.

وقد انحدر مستوي الثقافة و العلم و الفكر و التدبُّن و الايمان حتي وصل الي ادني مستوياته و ضعفت الارادة الاجتماعية و العزم الوطني الاسلامي الي درجة ان احداً لا يمكنه الاعتراض علي موظفٍ صغير في جهاز الحكم علي مخالفاته القانونية.

و وصل القمع الفكري و الديني الي حدّ لم يبق معه من الإسلام الا اسمه و من القران الا رسمه، و تقشّري التلاعب بالاحكام و القوانين الاسلامية، و انحصرت الملاكات و موازين الامور في ارادة الحاكم و مزاج جهاز الحكم.

و سقطت اسلامية القوانين عن الاعتبار، و عمّ القمع الي درجة ان معاوية نفسه يمنع عبد الله بن عباس و هو من كبار الصحابة و المعروف بحبر الامة، من تفسير القرآن و بيان الحقائق، و مُنع تداول احاديث اهل البيت و نقلها، و كان البحث العلمي و التفسير و الحديث، و بيان احكام الحلال و الحرام، تحت مراقبة اجهزة السلطة الاموية و عيون بني امية.

و الحاصل، و كما قال الإمام الحسين عليه السلام: «لقد أماتوا السنة و احيوا البدعة، و الحق لا يُعمل به و الباطل لا يتناهي عنه».

و اوضح دليل علي ما قلناه هو تخاذل الناس عن نصره الإمام الحسين عليه السلام، أولئك الذين كانوا يتمتعون بالقدرة القتالية و التسليحية و الرغبة في الخلاص من حكم بني امية في وجدانهم، و الذين كتبوا الي الإمام الحسين عليه السلام ان اقدم الينا فقد اينعت الثمار و اخضرّ الجناب... الخ و بايعوا سفيره مسلم بن عقيل علي اقامة العدل و محاربة الظلم و الجور و الكفر، و احياء الدين و الشرع الحنيف، و لكن و بمجرد ان جاء عبيد الله بن زياد و خوّفهم بجيش و همي و رغّبهم بالمناصب و طمعهم بالاموال

و المنال، باعوا دينهم بدنيا غيرهم و نكثوا بيعتهم، بل و انضمّوا الي صفوف المحاربين لامامهم و تركوه لدي الهياج و حيداً حتي قُتِل هو و اهل بيته و اصحابه البررة و أسد رت نساؤه و اطفاله و جي بهم الي الكوفة امام أعين اولئك الذين كاتبوه و بايعوه و عاهدوه علي التضحية من اجله و اجل اهل بيت الرسالة!! فأي دليل علي انحطاط المجتمع فكرياً و عقائدياً و اخلاقياً اوضح من هذا التخاذل؟؟

و لقد ذكرنا سابقاً بهذا التدني الاخلاقي و قلنا أنّ جيش الكوفة كان جيشاً حاربت يدها و رجلاه و لسانه، و جدانته و فكره و روحه، و كما وصفهم الفرزدق:

قلوبهم معك و سيوفهم عليك!

إنّ الذي جاء بعمر بن سعد و شيبث بن ربعي و عمرو بن الحجاج و حجار بن ابجر و الاخرين الي كربلاء، لم يكن الا حُبّ الدنيا و الخوف من خسارة المال و المنصب، لا عدم القناعة بالواقع المرّ.

تأملوا في اجوبة عمر بن سعد للإمام الحسين عليه السلام فيما طلب منه أن يلتحق به و يترك بني امية، لم يقل عمر بن سعد: إنّ الحق مع بني امية، و لم يقل إنّ الحسين علي باطل او إنّ حركته ليست اصلاحية، لكنه قال: اخاف أن يخرب داري!

فقال له الإمام عليه السلام: اعوضك بخير منها.

فقال: اخاف ان يصادر ضيعتي.

قال الحسين عليه السلام: انا اعوضك بضبعة لي في الحجاز.

قال: اخاف علي اهلي يقتلهم ابن زياد.

فانت تري ان كل اعذار عمر بن سعد ناجمة عن خوفه و عن طمعه بالدنيا و المال، و كان دافعه الأول و الأهم هو ملك الريّ و هكذا حال الاكثر من اولئك الذين حاربوا الحسين عليه السلام فلقد كانت روح اليأس و الخوف و الانحطاط الفكري و

التدني الخُلقي و الطمع في الدنيا وزينتها الزائلة، فكانت الأمة في سُبات و خمول و خنوع و جُبْن، و فقدان ارادة و عزيمَة.

و كيف يرتجي غير ذلك من أمةٍ يتسلط عليها امثال معاوية و يزيد و مسلم بن عقبة و زياد و المغيرة و عمرو بن العاص و الحصين بن نمير و عبید الله بن زياد؟

كيف يرتجي منهم غير الدناءة و الرذالة و الخسّة و الفساد و دنو الهمة و الضعة و السفالة؟

و مثل هذه الامة، لا يُتوقع منها ان تقف الي جنب المصلحين و الرساليين و اولياء الله، و لا يرتجي منها الفداء و التضحية من أجل المبادي و المثل السامية، و ان مثل هذه الامة الميته تحتاج الي حركة اصلاحية قوية كحركة الإمام الحسين عليه السلام تهزُّ ضميرها و توقفها من سبات الخنوع و الذلّ.

ص: 234

البحث الثالث: دواعي ثورة الحسين عليه السلام

إشارة

ص: 235

قد يكون المحرك والدافع لثورة ونهضة ما هو المنافع المادية والامور الدنيوية والاغراض الشخصية وبعبارة، هوي النفس و طلب الشهرة والمقام.

وقد يكون الدافع مقدساً كحبّ الخير والفضيلة والاصلاح وامثال التكليف الالهي والوظيفة الشرعية.

ص: 237

1- لا يخفي عدم وجوب معرفة علل و اسرار افعال النبي و الأئمة عليهم السلام و لا معرفة الحكمة و المصالح الكامنة في ما يقوم به، و ذلك لا يوجب خللاً في مقام النبوة و الامامة، بعد ان ثبت عصمتهم و وجود الملائكات في ما يقولون او يفعلون او يتركون و يحرمون، نظير مجهولية كثير من مصالح الخلقة في عالم التكوين لدي البشر، و لا- يجيز ذلك إنكارها و انكار حكمة خالق الكون، و يعود ذلك الي محدودية تعقلات الكائن البشري و ضيق قطر دائرة ادراكه لاسرار عالم التكوين. و كذا الحال في عالم الشريع و منهج الانبياء و الاولياء، فاذا لم يبيّن نفسُ الأنبياء و الأولياء المصالح و الملائكات في افعالهم، فانهي ستبقي خافية علي الذهن البشري العام، و مثال ذلك ما ورد في قصة النبي موسي عليه السلام و الخضر عليه السلام. فنحن عاجزون عن ادراك علل افعال الإمام الحسين عليه السلام و بحثها و التحقيق فيها. و عليه فما سنقول في هذا القسم من الكتاب في دواعي نهضة الحسين عليه السلام لا يُعدُّ توجيهاً و تصويماً لثورته الشريفة، اذ اننا نعتقد ان كل ما يقوم به الإمام عليه السلام و من جملة ذلك حركته في كربلاء، هي عين الصواب و الحق، كما اننا لا ندعي الاحاطة بكل حِكْم و مصالح هذه الثورة المقدسة، اذ يسع مياة البحر الآ البحر نفسه، و انما غرضنا من هذه البحث هو توضيح بعض الافكار و تقوية مباني الأخلاق و الايمان عند طبقة الشباب من المجتمع.

و من الضروري، أنّ الدوافع المادية الشخصية تجرّد العمل عن قدسيته و ممدوحيته و سُمُوّه، و يكون اقرب للغرائز و الميول الحيوانية، بحثاً عن العلف و الطعام، و اكثر الناس لا تسمو أهدافهم و أغراضهم عن الرغبات الحيوانية.

اجل، إنّ هؤلاء الناس، اذا ما سعوا للحصول علي المنافع المشروعة حتي المادية منها، و لم يخونوا الاخرين و لم يظلموا حقوقهم و لم يعمهم الطمع و الجشع، و كانوا مراعين للآداب الشرعية و الاخلاقية، حينئذٍ لا يمكن ملامتهم و ذمّهم، بل يقال عن مثل هؤلاء انهم اجتازوا عالم الحيوانية و وضعوا اول قدم في عالم الإنسانيّة المقدس، و سوف يثابون علي أعمالهم، فهم مصداق قوله تعالى:

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً» (1)

و أمّا اذا حاولوا الوصول الي مرادهم و اغراضهم عن طريق هضم حقوق الآخرين و بالطرق اللامشروعة، استحقوا الذمّ و الملامة، بل و المحاسبة و المعاقبة و صاروا في عداد الطغاة و الظالمين و السارقين و المرابين و القتلة و الفساق و...

نظائرهم.

ولذا، فان اكثر أختيار المجتمع هم اولئك الذين يتوسلون بالطرق المشروعة لتحصيل اغراضهم المادية الشخصية، كما إنّ اكثر رواد الطرق الملتوية المنحرفة عن الشرع، هم اولئك الذين يحاولون اشباع حاجاتهم باي وسيلة حتي لو كانت محرمة، فالحرام و الحلال مترادفان في قاموسهم، و ليس للطمع و الجشع عندهم حدّ ادني أو أقصى.

و متي ما كان المحرّك، حبّ الخير و امتثال التكليف الالهي، و الخلوص لله، و1.

ص: 238

خدمة الإنسانية، كان العمل منتسباً الي الإنسانية و الكمال، و تبعاً لذلك يستحق فاعله المدح و الثناء و التشويق، و المحبوبة عند الناس لحسن ذلك العمل عقلاً و بالذات.

و لعلّ من ابرز ما اكد عليه الانبياء في منهجهم التربوي، هو ايصال الناس الي الكمال بحبّ الخير و اشاعة المحبة و العلم و العدالة و هداية المجتمع و سوقه نحو هذا المحور المقدس، لتتمركز المصالح و الاغراض في نقطة واحدة و مركز متوحد فيكون سير البشرية اجمع نحو ذلك المركز و يتحقق الكمال الاجتماعي البشري العام.

و ما ذكر، ليس الا اشارة الي هذا البحث العميق، و تفصيل الكلام فيه يوجب الاطالة و يُبعدنا عن المقصد من هذا الكتاب.

و هناك صنفٌ من البشر، يسمو محرّكهم و ترقّي دواعي افعالهم علي كل هذه العوامل و تتفاضل علي كل تلك المقاصد فهؤلاء هم عباد الله الحقيقيين، و الخواصّ من اوليائه، فلا يعينهم ما سوي العبودية لله و الطاعة لاوامره و الامثال لاحكامه.

فلا تستند حركاتهم و سكناتهم إلا الي معرفتهم باستحقاق الله لهم، فليست مصلحة المأمور به و لا مفسدة المنهي عنه، يعبدون، و لا للفائدة و الملاكات يمثلون. فان ذلك في قاموسهم تجاوز علي الحدود و فضولية و جراً علي المولي، بل لانهم وجدوا الله أهلاً للامثال فامتثلوه، فالموثر الوحيد و المحرك الفريد لهم و المتصرف الكامل بهم و باموراتهم هو الله و الداعي الي نهضتهم و ثورتهم و سكوتهم هو الأمر الالهي، اولئك الذين صدق في حقهم:

«عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْلَمُونَ» (1)7.

ص: 239

وكلما علت و خلصت مرتبة توحيدهم، كلما كمل تسليمهم و نياتهم من جهة الامتثال، حتي يصلوا الي مرحلة فناء مقاصدهم و مطالبهم و رغباتهم في المطلوب الحقيقي و المقصود بالذات و منتهي الآمال، و تمحي من صفحة وجودهم إنياتهم و آمالهم الشخصية. فالتوحيد و ايمانهم الخالص و المنزه من الشوائب، يسوقهم نحو الله لا غير، و كما ورد في كلمات ابي عبد الله الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة:

«أنتَ الَّذِي أزلتَ الأغيارَ عَن قلوبِ أحبَّائِكَ حتَّى لم يُحبُّوا سِوَاكَ وَ لم يَلجئُوا الي غَيْرِكَ»

اذن، فعلل و دواعي حركتهم ليست إلا الأمر الالهي و حبّ الله و رضاه، و لذا يقولون:

«اللهم إرزقني حُبَّكَ وَ حبَّ كلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي الي قُربِكَ»

و شعائرهم و ذكرهم:

«لا إله إلا الله و لا حَوْلَ وَ لا قُوَّةَ إلا بالله و أفوضُ أمري الي الله و حسبنا الله و نعم الوكيلُ و الله أكبر.»

طاعتهم اسمي من طاعة الطمع بالحدود و قصور الجِدَّة و الثواب و اعلي من طاعة الخوف من النار و العذاب و العقاب يوم النشور، و انما طاعتهم ممحضة و خالصة من كل نفع إلا القرب من الله بامتثال امره، و كل ما سوي ذلك ذنبٌ عندهم.

و لقد كان الانبياء و الائمة الطاهرين و هم الادلة علي التوحيد الخالص و السابقون في قافلة الموحدين و عباد الله المخلصين، هم خيرة هؤلاء المكرمين و سادة الخلق اجمعين.

فمطالعة تاريخ سيرة هؤلاء هي اسمي درس تتعلمه الإنسانيّة.

يقول ابراهيم الخليل:

ص: 240

«إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّهَدِينَ»(1)

و يقول:

«إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(2)

و كان خاتم الانبياء صلي الله عليه و آله يقول:

«إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ»(3)

و لقد كان أمير المؤمنين و اولاده المعصومين من بعد النبي النموذج الاعلي للتوجه الخالص للمبدأ و في التوحيد.

فعلِيُّ هو الذي وصفه النبي صلي الله عليه و آله بان السماوات و الارض لو وضعت في كفة ميزان، و وضع ايمان عليّ في الكفة الاخرى لرجح ايمان علي عليه السلام.

فطلب الحق و العدل و العبودية لله و الزهد و التقوي و الشجاعة و الصراحة و كل الصفات الإنسانيّة السامية، قد تجسدت في علي و آله عليهم السلام و لقد كان عليه السلام ثمرة شجرة التوحيد و عبادة الله و التسليم الخالص للمبدأ عزوجل، و كان اذا خُيِّرَ بين أمرين اختار أشدهما عليه و ارضاهما لرَبِّه.

و من أوضح مظاهر الخلوص و الطهارة، و تجلّيات الحقيقة و طلب الحق و اهل هذا البيت، ثورة الحسين عليه السلام ضد يزيد و حكومة بني امية، فكانت ثورة الهية خالصة و نهضة دينية صادقة.».

ص: 241

1- سورة الصافات، الآية 99.

2- سورة الانعام، الآية 79.

3- مستلهم من الآيات 161-162 من سورة الانعام. «قُلْ ان صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ...».

فالحسين عليه السلام في ثورته لم يكن طالبَ حكمٍ و سلطان و مقامٍ دنيوي، و لا طامعاً في نفوذ و مالٍ و ثروة، و انما امتنع عن بيعه يزيد، طاعةً لله تعالى، و ترك الحرمين الشريفين مهاجراً الي العراق امثالاً لامر الله عزوجل، و جاهد في الله لله، و لم يدعُ الي تلك الحركة الا امر الله و أداء التكليف.

و لذا، فان افضل ما يمكن التعبير به عن علل ثورته عليه السلام، هو الأمر الالهي، و هذه حقيقة يؤيدها التاريخ و الدين و سيرة الحسين عليه السلام.

فالتاريخ شاهدٌ علي ان اوضح دليل علي خالص نية الحسين عليه السلام، و عظيم اثرته و محض تسليمه لامر الله، هو توضيح الحسين عليه السلام و فداؤه.

و ايُّ دليل و شاهد علي طهارة النية و صفائها، و شفافية الباطن، و التوحيد الخالص، أفضل من عزم الانسان علي ملاقات الحتوف في سبيل الله، و استقبال المصائب و البلايا في رضا الله، و افتجاعه بفقد اعزّ اولاده و إخوته و اصحابه، و أسر أطفاله و نسائه، و آهات و أثات العطاشي و الثكالي؟

و من ثمّ، فمشتبهٌ تماماً من يتخيل أنّ المصالح السياسية و المنافع المادية الشخصية او الصراعات القبلية العشائرية و العائلية، كان لها ادني مدخلية في ثورة الحسين عليه السلام، فضلاً عن تصور كونها العلل الاهم في ذلك، فان الحسين عليه السلام هو ولي الله الكامل، و العبد الذي عرف معني العبودية الخالصة لله، و اندكّ مرادّه في ارادة الله فلم يعد لما تريده نفسه اي معني في قبال ارادة ربّه.

لقد كان الحسين عليه السلام علي يقين علمي و عملي بان الله رقيبُه و حافظُه، و كان الحسين عليه السلام يري الله بعين المعرفة و بصيرة الايمان، و لذا كان كلامه و خطابه:

«عَمِيَّتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيْبًا، وَ خَسِرَتْ صَفَقَةً عَبْدٌ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيْبًا»

و ادعية الحسين عليه السلام يوم عرفة و يوم عاشوراء وغيرها ترشدنا الي رفيع أحاسيسه الروحانية، وذوقه و دركه الوجداني اللطيف، و الي تجلّي عميق ارتباطه باللّه، و من حمل مثل هذه المعرفة باللّه، و هذه المرتبة العالية من الاخلاص، محالّ ان يخطو خطوة في غير رضا اللّه تعالي و امتثال أمره.

كما ان كل الروايات و الاحاديث الواردة في سيرة الحسين عليه السلام و سماته و صفاته و اخلاقه، تدل علي محض الامتثال، كما انها واضحة في ان النصر العسكري الظاهري، لم يكن منظوراً ابداً للحسين عليه السلام، و لم يكن في حسابانه تحقيق المكاسب السياسية و الزعامة و السلطة، بل كانت حركته اصلاحيّة محضّة، كما كانت حركة جدّه رسول اللّه صلي اللّه عليه و آله و دعوته، دعوة و نهضة الهيّة سماويّة لهداية البشرية، و لم تهدف يوماً مّا تحقيق مآرب سلطوية فئوية، و نيل مكاسب دنيوية عابرة، فالملاك كل الملاك في الحركتين هو امتثال امر اللّه، و من هنا كانت حركة الحسين عليه السلام امتداداً لدعوة النبي صلي اللّه عليه و آله و مكملّة لها:

«إِنْ كَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ لَا يَسْتَقِمُّ إِلَّا بِقَتْلِي يَا سَيُوفُ خُذْنِي»

فمهما قيل في تفسير ثورة الحسين عليه السلام، و اي تعبير استعمل لترجمتها و سواءً قيل انها امتحان و ابتلاء الهي، أو انها حركة لتحقيق اهداف الانبياء و الاولياء، أو أنّها محاولة لتأسيس أو تجديد الحكومة الاسلاميّة العادلة، أو انها مامورية و تعهدّ التزامه الحسين عليه السلام علي نفسه من عوالم الغيب، أو انها مشاهد لتجلّي اعلي مراتب الخلوص لله عند البشر، و الدفاع عن الحق و العدل و الدين، أو أنّها أبرز تجلّيات الصبر و الصمود و العزّة و الاباء و الفداء و كمال الروح و النفس، و مهما فسّر العارف و الفيلسوف و المورخ و المحدث و الشاعر، و مهما قيل في عظمة هذه الثورة المقدسة، فالكل ينتهي الي معنيّ واحد و هو إنّ ما قام به الحسين عليه السلام ليس إلاّ

مامورية إلهية متميِّزة، ورمزاً غيبياً و سراً سماوياً، وإنّ الذي دعي الحسين عليه السلام الي تحمل كل تلك الرزايا و البلايا هو الأمر الالهي و حسب.

وقد جرت العادة في الثورات و الحركات السياسية أن يتشبث قاداتها بشتي الوسائل و الطرق - حتي المحرمة و القبيحة - لتحقيق مآربهم و تحشيد القوي و الطاقات و تجميع الاسلحة و المعدات الضرورية لحركاتهم.

و حتي قادة الحركات النزيهة و الشريفة فان لهم بعض الثوابت التي تعدُّ ضرورية و لازمة لنجاح حركاتهم و كسب الأنصار و المؤيدين، من قبيل إشاعة روح النصر فيهم و عدم إخبارهم باحتمال الهزيمة و الانكسار أو القتل و الشهادة أو الأسر فضلاً عن أسر النساء و قتل الاطفال و نزول البلايا و المصائب بهم.

كما ان هؤلاء يختارون الاماكن الآمنة لهم و لاتباعهم و خاصة تلك الاماكن المقدسة المحترمة عند الجميع و التي يضطر العدو الي عدم مهاجمتها لعلمه المسبق بالعواقب الوخيمة لهذا العمل.

و اما لو كان العكس، فاخبر القائد قواته بالمصير المأساوي الذي ينتظرهم و انهم مقتولون لامحالة، و أن عوائلهم ستسبي و أن اموالهم ستتهب و أن اطفالهم ستقتل و ان رؤوسهم ستقطع، و خيّرهم بالانصراف و اذن لهم بالرحيل عنه، و ترك المكان الآمن و اختار صحراء قاحلة بعيدة عن الاعلام و دعاهم الي استقبال الموت و الشهادة و كان هوفي مقدمة الفدائيين المستميتين و المضحين بكل غالٍ و نفيس حتي الرضّع من اولاده، فمثل هذا القائد لا يمكن اتهامه بطلب الرئاسة و الزعامة و المال و النفوذ بل سينظر الناس اليه علي ان ثورته ثورة صادقة مبدئية، و مثل هذا القائد لا يجتمع اليه اهل الطمع و المرتزقة و طلابّ الدنيا و المال و المقام الذين ينخرطون مع كل حركة و ثورة من اجل المكاسب و الغنائم.

والآن تعالوا معنا لقراءة ثورة الحسين عليه السلام من هذا المنظار:

ألف: النبوء بالقتل

لقد جاء في روايات متواترة لفظاً ومعني ان الرسول الاكرم محمد صلي الله عليه وآله أخبر باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهذه الروايات ضبطت في أصح كتب التاريخ والحديث، وقد نقل هذه الاخبار صحابة النبي صلي الله عليه وآله وزوجاته مباشرة أو بوسائط.

وعندما عزم الحسين عليه السلام علي ترك المدينة الي مكة، وكذلك عندما ارد الخروج من مكة الي العراق، جاءه كثير من اصحاب النبي صلي الله عليه وآله وكبار رجالات الإسلام والشخصيات المعروفة عند عامة المسلمين وحاولوا اقناعه بعدم الخروج وحذروه من القتل في العراق، مندفعين من أمرين:

الأول: علمهم و يقينهم باستشهاد الحسين عليه السلام في هذا الخروج لما بلغهم من كلام الرسول صلي الله عليه وآله وما سمعوه عنه مباشرة و اخباراته المتكررة بقتله عليه السلام.

الثاني: بملاحظة الاوضاع السياسية القائمة آنذاك واستيلاء بني أمية ببطشهم و طغيانهم، و ظلمهم الذي عمّ كل انحاء البلاد الاسلامية و خنوع الامة الاسلامية و سكوتها عن الحق. فقد عاش هؤلاء فشل اهل الكوفة زمن أمير المؤمنين و الإمام الحسن عليهما السلام في الدفاع عن الامامة و الحق، فكان مصير الحسين عليه السلام واضحاً و انه يسير نحو الشهادة و القتل، و ان احتمال نجاح حركته ضعيف جداً.

فلو كان احتمال انتصار الإمام الحسين عليه السلام عسكرياً قائماً بنسبة 50% أو 20% لتبعه كثير من الناس المؤمنين به و المحبين لآل بيت الرسول صلي الله عليه وآله و لما تخلي عنه امثال عبيد الله بن الحر الجعفي، و لكن ولأن امثال هؤلاء كانوا من طلاب

الزعامة و السياسيين الذين يعتمدون علي الحسابات السياسية، فكانوا يعرفون بنتيجة هذه الثورة، و لم يكونوا كزهير بن القين الذي تخلّي عن كل امواله و حياته في سبيل الله و نصره ابن بنت رسول الله صلي الله عليه و آله، كما أن هؤلاء لم يسمح لهم وجدانهم و ضمائرهم التي كانت لا تزال تذكر صوراً رائعة من حياة ال بيت الرسول صلي الله عليه و آله الي الاصطفاف في صف بني امية لقتال ابن فاطمة الزهراء، فبقوا علي الحياد و حُرّموا سعادة الشهادة و نصره إمامهم.

فلم يعدّ المسلمون، مسلمو زمن النبي صلي الله عليه و آله، فلقد أثرت فيهم و غيرتهم المظاهر الدنيوية الخلابّة، و خدعتهم حلاوة الملك و السلطة و الزعامة، و ذاقوا طعم الثروة الطائلة و الاملاك و الغلات و الغلمان و الجواري، فازداد تعلقهم بالدنيا و قلّ نصيبهم من الايمان.

فلا- معروف يؤمر به، و لا- منكر يُنهى عنه، و لا- زهد و لا- تقوي فضلاً عن الفداء و التضحية في طريق الحق، و لقد اعمى حبّ الدنيا أبصارهم، و اصمّ آذانهم، و سوّد قلوبهم.

و أمّا اولئك الذين كانوا علي سدة الحكم، فامرهم واضحٌ جليّ، فلقد مضوا اعمارهم باللعب بالقردة و الكلاب و القمار و الشراب و الرقص و المجون و الطرب و اللهو، و تقسيم أموال بيت مال المسلمين الي حاشيتهم و اقربائهم، و اشتروا ضمائر قادة المؤسسات الحكومية بالاموال و اشباع الشهوات، و مسخوا شخصياتهم فلم يعدّ للغيرة و الشرف و الدين وجود في قاموسهم.

و من لم يكن مع بني امية، فقلّ ما يتحمّله من عقاب هو قطع عطائه و حرمانه من أبسط حقوقه الاجتماعية.

و في مثل هذه التركيبة الاجتماعية و السياسية المضطربة، لا يمكن توقع احتمال

اندلاع ثورة علي الحكم الاموي، ولا يمكن توقع اجتماع الناس حول قائد ديني وزعيم وطني يحاول الاصلاح.

ومن هنا، وجدنا هؤلاء الناس كيف اداروا ظهورهم لنهضة الحسين عليه السلام ولم يلتحقوا بركب الشهادة والسعادة ورضوا بالدين من الدنيا وتركوا الحسين عليه السلام وحيداً في مواجهة الباطل(1).

وكما اسلفنا فان الناس كانوا يهونون الحسين عليه السلام ويحبونه ومقتنعين بافكاره وحركته بل إن بعضهم هو الذي طلب منه القيام، و لكن كانت تقصصهم الشجاعة والاقدام والرشد الفكري والروحي والايماي، فلم يصلوا الي مستوي حبيب بن مظاهر ومسلم والحر وزهير وعابس الذين ضحوا بالمناصب والميزات الاجتماعية والمالية من اجل الدين ونصرتة والانتصار للحق والمظلومين.ة.

ص: 247

1- الانصاف ان اهل اكوفة لم يكونوا الوحيدين في الاقبال علي الدنيا والادبار عن الحق، فلا ينبغي ان نحصر اللوم والتوبيخ بهم، فقد كان لهم نظائر علي مر العصور كاولئك الذين تخلوا عن نصرة قادة الاديان وزعماء الحركات الاصلاحية التغييرية المحققة، مع فارق ان هؤلاء الزعماء لم يكن لهم ما كان للامام الحسين عليه السلام من مقام وعظمة وسابقة، ولكن كان منهم من ثار علي منهج الحسين عليه السلام وداعيا الي مبادئه ومأساة المسلمين اليوم هو ابتلاؤهم بضعف الارادة وسبات الضمير وتفرقهم واختلافاتهم وحبهم للدنيا وخوفهم من الموت. وكما ورد في الخبر عن النبي صلي الله عليه وآله قال: «كيف بكم اذا تداعي عليكم الأمم كما تداعي الأكلّة علي القصاص؟ قالوا: أمن قلة يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل من كثرة ولكنكم غثاء كغثاء السبيل قد أوهن قلوبكم حب الدنيا وكرهية الموت» ولا يخفي ان هذا الخبر ورد بلفظ آخر وهو: «كيف بكم اذا تداعي عليكم بنو الأصفر» وعلي هذا التقدير يكون المراد من بني الاصفر هو بني امية وبني مروان لان اصل بني امية من الروم أو علي الاقل ان بني مروان من الروم كما ذكر ذلك العقاد وآخرون، فهؤلاء يسعون الي الهيمنة علي المجتمع الاسلامي كله، مع ان عدد المسلمين كبير، إلا ان حب الدنيا والخوف من التضحية والاقدام، منعهم من الدفاع عن الإسلام، فخسروا حقوقهم المشروعة.

و ما اروع ما عبّر به الفرزدق عن حالتهم تلك، عندما قال للحسين عليه السلام:

«قُلُوبُهُمْ مَعَكَ وَ سِيُوفُهُمْ عَلَيَّ»⁽¹⁾

فهذه الجملة تبين حقيقة محبة الحسين عليه السلام في قلوب عامة المسلمين كما انها تبين الهزال الروحي و الفقر الفكري و ضعف الأقدام و المسكنة الاخلاقية عندهم.

وقال له مجمع بن عبيد العامري: أما اشرف الناس فقد اعظمت رشوتهم و ملئت غرائرهم فهم ألب و احدٌ عليك، و اما سائر الناس بعدهم «فان قلوبهم تهوي اليك و سيوفهم غداً مشهورة عليك»⁽²⁾

و الحاصل إن الصحابة و سائر الناس و بعض بني هاشم كانوا في خضم الحسابات السياسية، و أمّا اصحاب الحسين عليه السلام فكانوا سائرين الي الشهادة عن علم و يقين و اصرار.

وقد نقل عن ابن عباس انه كان يقول ان اهل البيت كانوا يعلمون بان الحسين عليه السلام سيقتل بالطف.⁽³⁾ و هاهم عبد الله بن عباس، عبد الله بن عمر، محمد بن حنظلة و عبد الله ابن جعفر الطيار و غيرهم من كبار الصحابة يقترحون علي الحسين عليه السلام ان لا يخرج لعلمهم بما سمعوه من النبي صلي الله عليه و آله باستشهاد هذا الإمام المظلوم في كربلاء و انه نورُ الله في الارض و الهادي للناس و الأمل للمؤمنين.⁽⁴⁾ و الاكثر من هذا و ذلك فان الإمام نفسه كان علي بصيرة تامة من أمره، لما8.

ص: 248

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 290. تذكرة الخواص ص 251.

2- ابصار العين ص 86. ابو الشهداء ص 73 (طبع الشريف الرضي). بطلة كربلاء ص 108.

3- مقتل الخوارزمي ف 8 ص 160.

4- مقتل الخوارزمي ف 10 ص 218.

عرفه عن مصيره من جدّه وأبيه، ولعلمه باحوال الناس و اخلاقهم، فهو الاعرف بهم من سائر الناس ولذا كان عليه السلام يقول: «الناسُ عبيدُ الدنيا و الدّينُ لعقُّ علي السّنتِهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الدّيانون»

ولذا نراه يقول لرجل من بني عكرمة عندما التقاه و حدّره المسير الي الكوفة و انه لن يرد إلاّ علي سيوف و رماح:

«يا عبد الله إنّه ليس بخفيّ رأيي و لكن الله لا يغلب علي أمره»⁽¹⁾

باء: الاخبار باستشهاده

إنّ من ضروريات حنكة القائد الذي يسعى لتغيير نظام حكمٍ ما و السيطرة علي زمام الدولة، ان يبث روح النصر في جنوده و يحارب العدو إعلامياً و نفسياً، و يشيع قوة احتمال انتصاره و كسر عدوه، و يرتجز الاشعار الحماسية ليقوي عزائم انصاره، و يبثّ الرعب في قلوب اعدائه.

أمّا ان تجد قائداً يتحدّث لجيشه عن استشهاده و قتله و قتل انصاره، و يصرّح أو يلمح بالمصير القاسي الذي ينتظرهم، و هو الذي يُضعف عزيمة الجيش إلاّ من تحلّي منهم بالايمان القوي و روح الفداء من اجل المبادئ، فان ذلك يدلّ علي ان مثل هذا القائد لم يتحرك او يُقاتل بدافع الملك و الحكم و الزعامة، فانه مضافاً الي عدم استعداده المسبق للقتال، فهو لا يُبقي علي الاستعدادات الموجودة ايضاً، و هذا المنطق لا يتلائم مع رجاء تحقيق الاغراض السياسية و الملك و لابد ان يكون مثل هذا القائد يبحث عن اهداف اخري و تحركه دواعٍ وراء تلك الدواعي الدنيوية

ص: 249

1- الطبري ج 4 ص 31. الكامل ج 3 ص 278.

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام من الصنف الثاني، وكان يكرر القول علي الاسماع بانه مقتول، ولم يؤثر عنه انه وعد بخلع يزيدٍ أو تغيير حكم بني امية أو التمكّن من السلطان و حكومة البلاد الاسلامية، مع انه القي الحجة علي الجميع بضرورة الاشتراك معه في نهضته و نهاهم عن بيعة يزيد و حرّضهم علي الثورة ضده، ولكنه كان يعلم ان ذلك لن يتم، وانه سيبقي وحده مع تلك القلّة المؤمنة من آله و صحبه و انهم سيقتلون بأجمعهم، ولذا فقد اعلن مراراً عن مصرعه، و كان احياناً يجيب اولئك الذين كانوا يحاولون ان يشنوه عن الخروج قائلاً: اني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلي الله عليه و آله و أمرتُ فيها بأمرٍ انا ماضٍ له عليّ كان أوبي؛ فقيل له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثت احداً بها، و ما أنا محدّث بها حتي القي ربي. (1)

ثم ان عبد الله بن عمر قال للحسين عليه السلام اكشف لي عن موضع تقبيل رسول الله لك فكشف له الحسين عن بطنه فقبلها ابن عمر ثلاث مرات و بكى و قال استودعك الله فانك مقتول في سفرك هذا. (2) و روي ابن الأعمش الكوفي ان الحسين عليه السلام خرج الي قبر جده فصلي ركعات فلما فرغ من صلاته جعل يقول اللهم إن هذا قبر نبيك محمد صلي الله عليه و آله و أنا ابن بنت نبيك و قد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم اني احب المعروف و انكر المنكر و اني اسئلك يا ذا الجلال و الاكرام بحق هذا القبر و من فيه الا اخترت لي من امري ما هو لك رضا و لرسولك رضا و للمؤمنين رضا ثم جعل يبكي عند القبر 3.

ص: 250

1- تاريخ الطبري ج 4 ث 292. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 91-92.

2- القمقام الزخار ص 333.

حتى اذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه علي القبر فأغفي فإذا هو برسول الله قد اقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه و شماله و بين يديه و من خلفه فجاء حتى ضمّ الحسين الي صدره و قبل بين عينيه و قال حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمانك مذبوحاً بأرض كربلاء بين عصابة من أمّتي و أنت في ذلك عطشان لا تسقي و ظمآن لا تروي و هم في ذلك يرجون شفاعتي ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة و ما لهم عند الله من خلاق. حبيبي يا حسين ان أبأك و امك و أخاك قدموا عليّ و هم اليك مشتاقون و ان لك في الجنة لدرجات لن تنالها الاّ بالشهادة، قال فجعل الحسين في منامه ينظر الي جده محمد صلي الله عليه و آله و يسمع كلامه و يقول له يا جداه لا حاجة لي في الرجوع الي الدنيا فخذني اليك و أدخلني معك الي قبرك فقال له النبي صلي الله عليه و آله: يا حسين لا بد لك من الرجوع الي الدنيا حتى ترزق الشهادة و ما قد كتب الله لك من الثواب العظيم فانك و أبأك و امك و أخاك و عمّك و عمّ أهلك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة. قال فانتبه الحسين من نومه فزعاً مرعوباً فقصّ رؤياه علي أهل بيته و بني عبد المطلب فلم يكن في ذلك اليوم في شرق و لا غرب أشدّ غمّاً من أهل بيت رسول الله و لا اكثر باكياً و لا باكية. (1) و في كشف الغمة روي عن سفيان بن عيينة عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إن الحسين بن علي كان يذكر يحيى بن زكريا عليهما السلام و يقول أن من هوان الدنيا علي الله أن يهدي رأس يحيى الي بغي من بغايا بني اسرائيل. (2)5.

ص: 251

1- مقتل الخوارزمي ص 187 ف 9. القمقام الزخار ص 264-263. ترجمة تاريخ ابن اعثم ص 349.

2- القمقام الزخار ص 359. نظم درر السمطين ص 215.

إنّ طلاب الحكم والسياسيين، لا يتورعون عن التحصن في الأماكن المقدسة والمشاهد المحترمة عند المسلمين، بل يستغلون كل المواقع التي تحظى بتقديس واحترام الناس للتخندق والتمترس بها، فإن ذلك يُحرج العدو ويردعه عن الهجوم أو علي الأقل يتسبب له بالملامة من قبل المسلمين، إذ ان هتك حرمة هذه المواقع يُثير غضب واستياء عامة الناس، وإن أراد أن يحفظ حرمة تلك الأماكن، يضطر الي اهمال خصمه وتحمل الضربات منه.

وكان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يختار اقدس بقعة عند الامة الاسلامية، و اكثرها امنأً و هو بيت الله الحرام و مكة المعظمة و المسجد الشريف، ذلك المكان الذي وصفه عزوجل في كتابه الكريم: «مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» و هو المكان الذي كان العرب في الجاهلية يكتون له الاحترام أيضاً و يرعون حرمة علي الرغم من وحشيتهم و سلوكهم العدائي مع بعضهم البعض، فلم يُعهد عنهم حمل السلاح في ذلك الموقع الشريف. ولا شك في أنّ هذه المكان كان من أفضل الأماكن التي يمكن للحسين عليه السلام اختياره كمقر لادارة حركته و دعوته ضد بني أمية و تحشيد الحشود للانقضاض عليهم، و ما كان اسهل من أن ينقلب الحسين عليه السلام و من معه علي والي مكة الاموي و السيطرة علي مكة و اعتمادها عاصمة لثورته و دعوة باقي المدن للالتحاق بنهضته، ولكنه كان يعلم أنّ عاقبة ذلك هو هجوم جيش بني امية علي الكعبة الشريفة و محاصرة مكة و هدم بيت الله الحرام و ابادة المسلمين في الحرم الأمن كما فعل يزيد في واقعة الحرة و حربه ضد عبد الله بن الزبير في مكة.

لكن الحسين عليه السلام لم يكن ظامعاً في الملك، ولم تكن مقاصده سياسية(1) ولم يكن ممن يستخف بالمقدسات والشعائر الالهية.

إنَّ أوَّل شعارٍ للحسين عليه السلام هو الاعتراض علي بني اميَّة لهتكهم الحرمات و الشعائر المقدسة و الاحكام الالهية، فكيف يرضي لنفسه ان يتسبب في هتك بني اميَّة لتلك الحرمات و اراقة الدماء في الحرم المكي الآمن؟!

لقد كان الحسين عليه السلام عارفاً بان اعلان ثورته في مكة لن يُثْمَرَ إلا هتك حرمة البيت و هدم الكعبة و اساءة الأدب الي عامة المشاهد الشريفة في مكة. و هذه النظرة الصائبة الثابتة للحسين عليه السلام اتضح صحتها فيما بعد، إبان حركة عبد الله بن الزبير. و من ثمَّ أبي الحسين عليه السلام ان يتخذ من مكة مقراً و مركزاً لثورته.

و كان بإمكان الحسين عليه السلام ايضاً ان يقي في مكة و لا يبايع يزيد، و يسكت علي مساوي بني اميَّة، و هذا ما اقترحه عليه عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس و بعض الصحابة، ظناً منهم ان لا أحد يتجرأ علي التعرض للحسين عليه السلام في الحرم الأيمن.

ص: 253

1- لا يُتَوَهَّم اننا نرفض اشتراك اولياء الله و المؤمنين في السياسة و ممارسة العمل السياسي واعتزال الساحة و الاحداث و عدم الاكتراث بمصالح الامة الاسلامية، اذ انَّ ذلك لا يتناسب مع روح الإسلام، فان الإسلام حتي في احكام العبادات كالصلوة و الحج و الصوم و الشعائر الدينية الاخرى، يهدف الي اشاعة روح الالفة و الوحدة و التعاضد من اجل مواجهة و مقارعة الظلم و الفساد و القضاء علي الباطل و اهله و اظهار عظمة الإسلام و المسلمين، و لم يكن الإسلام يوماً ما دين صوامع و بيع و تصوف بعيداً عن النظام و الحكم و الادارة، و انما غرضنا من قولنا ان الحسين عليه السلام لم يكن له مقاصد سياسية هو ان الحسين عليه السلام لم يكن يهدف اساساً الحكم و التسلط علي الناس و الحصول علي المقام و المنال، فلقد كان عارفاً منذ البداية بانه لم يتمكن من القضاء علي بني اميَّة.

لكن الإمام الحسين عليه السلام لم يقبل ذلك المقترح، لانه كان علي يقين من أن بني امية سيقتلونه وإن كان متعلقاً باستار الكعبة وأنهم لا يعيرون اي أهمية لحرمة البيت الحرام.

كان الحسين عليه السلام يعلم أن بني امية قد جندوا بعض الرجال لقتله في موسم الحج، فبقاؤه سيؤدي الي هتك حرمة البيت و قتله بدون تحقق اية ثمرة و لا حصول آية فائدة.

فلذا خرج الحسين عليه السلام من مكة يوم التروية بعد أن جعل حجه عمرة مفردة، لئلا تهتك حرمة البيت بسببه، كما أخبر بذلك الرسول الاكرم صلي الله عليه وآله.

وعندما سأله الفرزدق عن علّة استعجاله بالخروج من مكة قبل أداء المناسك فقال: «لَوْ لَمْ أُعَجَّلْ لِأُخَذْتُ»⁽¹⁾

ويقول عليه السلام ايضاً: و الله لا يدعوني حتي يستخرجوا هذه العلقه من جوفي فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتي يكونوا أذل من فرام الامة.⁽²⁾

ونقل ابن الاثير أن الحسين قال لابن الزبير بأن أباه أمير المؤمنين حدثه أن رجلاً سيقتل في الكعبة و تهتك حرمتها وأنه لا يحب أن يكون ذلك الرجل.⁽³⁾ و ذكر الطبري عن أبي مخنف عن أبي سعيد عن بعض أصحابه قال: سمعت الحسين بن علي و هو بمكة و هو واقف مع عبد الله بن الزبير فقال له ابن الزبير اليّ يابن فاطمة، فأصغى إليه، فسأره، قال: ثم التفت الينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندري، جعلنا الله فداك، فقال: قال أقم في هذا المسجد9.

ص: 254

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 290. تذكرة الخواص ص 251.

2- تاريخ الطبري ج 4 ص 269. الكامل ج 3 ص 276. القمقام الزخار ص 334.

3- الكالم ج 3 ص 275. تاريخ الطبري ج 4 ص 289.

أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن اقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتي يقضوا فيّ حاجتهم و والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت. (1)

دال: حَلُّ البيعة

من الواضح إنّ الثورات و الانقلابات السياسية و العسكرية تحتاج الي الكوادر و الافراد و القوّات التي تحرك الثورة و تفعل المعركة، و اذا ما اهمل قائد الثورة هذه الناحية، لا يمكن اعتباره طالب حكم و قلب نظام.

و لو أنّ هذا القائد نفسه، اعلن لجنده بمصيره و مصيرهم المأساوي و انتهاء حركته بقتلهم، فان ذلك سيؤدي بلا شك الي تفرّق انصاره عنه، و لو فرضنا ان هذا القائد، اجاز و سمح لانصاره بالتفرق عنه و حلّ بيعتهم و اذن لهم بل و لاهله بالانصراف و بين لهم الطريق الآمن لابتعادهم عن مخاطر العدو، فذلك سيدفع كل احتمالات رغبة هذا القائد و طمعه بالملك و السلطة تماماً.

و الحسين عليه السلام و من حين خروجه من المدينة الي مكة و منها الي العراق كان يخبر من معه من انصاره و اهله بانه مقتول مستشهد و يكشف لهم ما سيصّبهم من الاذي و المصائب، كما في خطبة له في مكة قبل خروجه للعراق و في الطريق الي

ص: 255

1- الطبري ج 4 ص 289. الكامل ج 3 ص 276. نور الابصار ص 116. و لا يخفي ان عبد الله بن الزبير كان متّهم النصيحة للحسين عليه السلام اذ لم يكن شي أثقل عليه من مكان الحسين عليه السلام بالحجاز... و لا احبّ اليه من خروجه الي العراق طمعاً في الوثوب بالحجاز لان ذلك لا يتم له إلا بعد خروج الحسين عليه السلام منها (أبو الشهداء ص 100. بطة كربلاء ص 93. و مصادر اخري).

وعندما وصل ركب الحسين عليه السلام الي منطقة ذي حسم خطب فيهم قائلاً:

«أَمَا بَعْدُ أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ مَا قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ، وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، وَاسْتَمَرَّتْ جِدًّا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالْمَرَعِيِّ الْوَيْبِلِ. أَلَا- تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا- يُعْمَلُ بِهِ وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَتَّنَاهَى عَنْهُ لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ اللَّهِ مُحَقَّقًا فَأَنْتِي لَا أَرِي الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرْمًا»⁽¹⁾

قالوا لو كانت الدنيا باقية لا اخترنا الشهادة عليها وفديناك بارواحنا حتي لو قطعونا ارباً اربا اننا سلم لمن سالمك و حرب لمن حاربك و لقد منّ الله علينا بك يا بن رسول الله.⁽²⁾ وعندما وصل الحسين عليه السلام الي ارض كربلاء، دلّهم علي مصارعهم، ولما وصل الي منطقة الزبالة، أخبرهم عن مقتل مسلم بن عقيل و عبد الله بن يقطر وقال: «قَدْ خَذَلْنَا شَيْعَتُنَا فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ الْإِنصِرَافَ فَلْيَنْصِرِفْ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ»

و حينئذٍ، تفرق اولئك الذين أتبعوه علي العافية، و الطامعين في العُثم، و بقي معه ثلّةٌ أخلصت لله و النبي و اهل بيته.⁽³⁾ و في ليلة العاشر من المحرم، و كان اصحاب الحسين عليه السلام بين ساجد و راکع و 8.

ص: 256

-
- 1- القمقام الزخار ص 353، و كتب اخري باختلاف طفيف في الالفاظ، كذخائر العقبي ص 150. الاتحاف ص 25. درر السمطين ص 316. حلية الاولياء ج 2 ص 39. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 160.
 - 2- القمقام الزخار ص 354.
 - 3- ابصار العين ص 48. بظلة كربلاء ص 104. الكامل ج 3 ص 278.

ذاكر و تالٍ للقرآن، جاءهم سيدهم و خطب فيهم قائلاً:

«أثني علي الله احسن الثناء، و أحمده علي السراء، و الضراء. اللهم إني أحمدك علي أن أكرمنا بالنبوّة و علّمنا القرآن، و فقّهتنا في الدين، و جعلت لنا أسمعاً و أبصاراً و أفئدةً فاجعلنا من الشاكرين. أمّا بعدُ فإني لا أعلم أصحاباً أوفى و لا خيراً من أصحابي، و لا اهل بيت أبرّ و لا أوصل من اهل بيتي، فجزاكم الله خيراً فقد أبررتم و عاونتم، ألا و إنّه لأظنُّ أنّ لنا يوماً من هؤلاء. ألا و إنّي قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام، و هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، و دعوني و هؤلاء القوم، فانّهم ليس يريدون غيري.» (1)

و ما كان من اولاد الحسين عليه السلام و اخوته و ذوو الوفاء من اصحابه الا ان شهروا سيوفهم و اعلنوا تجديد بيعتهم و الوفاء و النصيحة فبقيت كلماتهم دروساً للأوفياء و الأصفياء و الاولياء ما بقيت الأرض و السماء.

و تركهم الحسين عليه السلام لعبادتهم و اذكارهم و تهجدهم و عاد الي خيمته ليهتمّ بالامور المستقبلية و توصياته الي اهله. (2) و هكذا وجدنا الإمام الحسين عليه السلام و الي حد ليلة العاشر من المحرم، يُعلم اصحابه و اهل بيته بمصيرهم، و لم يُمنّيهم بالنصر و الغنيمة و الفتح المادّي و المناصب.

ص: 257

1- ابصار العين ص 9. القمقام ص 382. ابو الشهداء ص 156. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 120. الطبري ج 4 ص 217. بطة كربلاء ص 113.

2- ابصار العين ص 9. القمقام الزخار ص 383. ابو الشهداء ص 157. الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 121-122. و الانصاف ان الحسين عليه السلام و اهله قد انجزوا ذلك الوفاء و وفوا بذلك العهد يوم عاشوراء، و اثبتوا خلوصهم و ثباتهم حتي شهد لهم العدو قبل الصديق باستقامتهم و شجاعتهم و محبتهم لاهل بيت النبي الاكرم صلي الله عليه و آله بما يحير العقول و يدهش القلوب.

الحكومية، ولم يكن دافعه الي النهضة الّ امتثال الامر الالهي، و التكليف الشرعي.

و من ثمّ، فمن الخطأ و الاجحاف، تعليل نهضة الحسين عليه السلام بالدوافع السياسية أو الخلافات العائلية بين بني امية و بني هاشم، علي الرغم من وجود تلك المفارقات الاخلاقية و التباينات الروحية و التنافر الفكري بين العائلتين.

و من جملة دوافع يزيد الي تشديد شراسته و وحشيته علي الحسين عليه السلام و آله و عياله، هو ذلك الحقد الدفين الذي اكتنزه قلبه ضد بني هاشم عامة و آل عليّ خاصة، ذلك الحقد المشفوع بخسة الطباع عنده و التربية الفاسدة و البيئة المنحرفة التي ترعرع فيها.

و اما ثورة الحسين عليه السلام فهي اسمي من ان تتأثر بتلك الخلافات الخاصة، بالضبط كدعوة النبي صلي الله عليه و آله التي لم تتأثر بمثل هذه الخلافات العائلية، فما يمكن ان يقال و هو الحق: إنّ ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة المبادئ و القيم و انها مأمورية و مهمّة الهية أوكلت اليه و قد قام بامثالها علي احسن وجه الامثال و اكملها و أتمّها.

2 - الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.» (1)

ورد في بعض المصادر التاريخية المعتمدة، أنّ الحسين عليه السلام ترك وصيةً لأخيه من أبيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصي به الحسين بن علي بن ابي طالب الي

ص: 258

أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، ان الحسين يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً صلي الله عليه وآله عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، واني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلي الله عليه وآله أريد أن أمر بالمعروف وأنهاي عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن ابي طالب عليه السلام فمن قبلني بقول الحق فالله أولي بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتي يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين. وهذه وصيتي يا أخي اليك وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت و اليه أنيب.»(1)

وهذه الوصية تعدُّ ككلمة التوحيد، مشتمةً علي نفي وإثبات. اما جهة النفي، فصحيح أن احداً من الناس لا يحتمل في حق الحسين عليه السلام ان يقصد بحركته ونَيْتِه الفساد والتجاوز والظلم، أو الامتناع عن قبول الحق، اذ لا يوجد أي حق متصور ليزيد، فلم يكن الحسين عليه السلام نكرة في المجتمع لا يعرفه الناس أو لا يعرفون سلامة نفسه وطهارة ضميره وشفافية وجدانه، فهو الذي نزلت في حقه وحق أخيه وأمه وأبيه، آية التطهير من كل رجس، وقد بيّنت عصمته من خلال حديث الثقلين المشهور، ولكنه قال تلك الكلمات لبيطل و يجهض محاولات الظلمة والفاستين وساسة الحكم الاموي واجهزته الاعلامية، في اتهامه بالخروج من أجل السلطان، سعياً منهم في اضلال عوام الناس وبسطائهم، فقال:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً»9.

ص: 259

1- نفس المهموم ف 9 ص 38. سمو المعني ص 112. و جملة «السلام عليك» الي آخر الوصية نقلناها من مقتل الخوارزمي ص 189.

و اما جهة الاثبات في كلامه، فهو قوله:

«إِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهِيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُسِيرُ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ»

فالحسين عليه السلام يلخص في هذه الجملة، دواعي ثورته بآربع امور:

1 - اصلاح الامة.

2- الامر بالمعروف.

3- النهي عن المنكر.

4 - اقتفاء أثر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

انّ من اهم الفرائض والواجبات الاسلامية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، و اهميتها العقلية غير خافية، وجاءت الاوامر الشرعية تأكيداً لتلك الاهمية.

و هذا الحكم الشرعي نموذج للاحكام الاسلامية الرفيعة والذي يعطي الحق لكل مسلم ان يطالب الجميع باجراء وتنفيذ الاحكام الشرعية، و ان يواجه المتمردين علي تطبيقها، و ان يكون المسلمون جميعاً ناظرين علي اجراء القانون الاسلامي والحدود والاحكام. و في الحقيقة ان هذا الحكم هو ضمانات قوية لتطبيق الإسلام، و لذا فان عزة المسلمين و كرامتهم مرتبطة بامثال هذا الواجب، كما ان ذلهم و مهانتهم مرتبط بترك العمل به.

و لقد كان المسلمون في صدر الإسلام يعتبرون الاهتمام بهذا الحكم، سنداً و قوة لحفظ حقوقهم و الحد من الظلم و التعدي عليها، فكم من مؤمن مستضعف وقف بوجه الولاة و الاحكام يامرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر بكل صراحة و جراءة، منتقداً تصرفاتهم اللامشروعة، و ما اكثر الولاة و الحكام الذين استجابوا لنصائح

ص: 260

عامّة المسلمين و اعتذروا عن سوء تصرفاتهم و حاولوا اصلاح الامور.

و بعد رحيل النبي الاكرم صلي الله عليه و آله الي الملاء الأعلى، و علي الرغم من ان الخلافة قد انحرفت عن مسارها المستقيم، و لكن الولاية كانوا يحافظون علي العمل بسائر الاحكام الاسلامية، لقربهم من زمن النبي صلي الله عليه و آله و كان الاطار العام للحكم الاسلامي محفوظاً رغم بعض الخروقات هنا و هناك، و كان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ساري المفعول، يحتفظ المسلمون بحقهم و حريتهم في ابداء تحفظاتهم علي تصرفات الحكام و المسؤولين و نظارتهم علي تطبيق القوانين و الشريعة من قبل اجهزة الحكم و لم يتعرض احدٌ علي الأمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر حتي تولي الحكم عثمان بن عفان حيث تبدل شكل الحكم و الاطار العام للنظام الاسلامي شيئاً فشيئاً و خرج عن شكله الاسلامي و أخذ تابع الملوكية و السلطنة، و كان لمعاوية بن ابي سفيان اليد الطولي في هذا التغيير و ابتداء هذا النمط الجديد من الحكم و كانت بداية انحراف معاوية تعود الي زمن الخليفة عمر بن الخطاب الي درجة اعتراض الأخير عليه بمظهره و مظهر حاشيته و قصوره و غلمانه و جواريه. ثم تبع معاوية سائر بني امية فنهجوا منهج الكسروية و القيصرية في ادارة الحكم، فكانوا يعتبرون أنفسهم و من أحاط بهم من أقاربهم و حاشيتهم، اعلي من مستوي سائر المسلمين، فضعت الاخوة و المساواة، و ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر خوفاً من معاقبة اجهزة الحكم الاموي!!

و لو أنّ حكومة بني امية كانت حكومة سليمة نزيهة، لما اضرب بها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لم تتعقب المنتقدين الناصحين بالأذي و الاعتقال و التشريد و التنكيل، لكنها لم تكن كذلك، بل كانت مبتنية علي الظلم و الجور و الترهيب و إهانة المجتمع و قمع الحريات و هتك المقدسات، و مثل هذه الحكومة

تخاف دون شك من تطبيق فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا حاول حكام بني امية طمس معالم هذه الفريضة، فسلبوا هذا الحق من المسلمين، وطاردوا واتبعوا اخبار كل من يتصدى للاعتراض علي مخالفة الدولة لاحكام الشرع والقوانين الاسلامية وصادروا امواله وشرّوه و سجنوه، أو هدروا دمه كما فعلَ بعبد الرحمن بن حسان العنزي، الذي دَفَنَه زياد بن أبيه حيناً بأمر معاوية!! و الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري الذي طرده معاوية من الشام لانه اعترض علي تصرفاته اللااسلامية فارجه الي المدينة المنورة بعد أن كان عثمان قد نفاه منها الي الشام، كل ذلك لان أباذر كان يطبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!!

ولعلَّ اول من وقف بوجه هذه الفريضة و حاول قتلها ودفنها، هو عثمان بن عفان، الذي لم يُعرِ اذناً صاغيةً لنصائح كبار صحابة رسول الله صلي الله عليه وآله له، وانتقادات سائر المسلمين لولائه و مسئولية اجهزة حكمه، فتصرف عثمان و كانه في وادٍ و الامة الاسلامية في وادٍ آخر، حاله حال سائر الملوك و السلاطين. و لو ان عثمان بن عفان، كان قد اعار اهتماماً لتذكير و نصائح الصحابة في خصوص فساد عماله و خيانتهم و ظلمهم و تظايرهم بالفسق، و لم يُسرف في اموال المسلمين، لبقيت الخلافة علي استحكامها و قوتها و لم تظهر تلك الفتن و الانقلابات التي توالى و توالى حتي غيَّرت منهج الحكومة الاسلامية.

ولقد كان ما حصل من ثورة علي عثمان، و قتله، نتيجةً طبيعيةً لعدم إهتمامه بهذه الفريضة الالهية، و سلبه لحرية المسلمين في التعبير عن رأيهم و اسداء نصائحهم و القيام بواجبهم الديني و الوطني، فنَفَذَ صبر الناس و ضاقوا ذرعاً بحاشيته و فسادهم، و سكوتهم عن المظالم و لم يبق لهم إلا الثورة عليه و قتله.

وبعد عثمان، وعندما ولي أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة، حاول احياء هذه الفريضة بشتي الوسائل، وكان هو بنفسه أوّل الأمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، فكان يدور في الاسواق و التجمعات و ينصح الناس و يحذرهم من مخالفة الشرع، فاعاد الي الأذهان صورة حكم النبي صلي الله عليه و آله، و لكن بسبب قصر مدة حكمه و انشغاله بثلاث حروب طاحنة من جهة، و وجود تلامذة مدرسة بني امية و بقايا حكومة عثمان من جهة اخري، منع من إعادة الامور الي نصابها و ارجاع المياه الي مجاريها.

وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام وقف ازام حكومة معاوية موقفاً شديداً من الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، حتي وصل الأمر الي ان احداً لم يعد يتجرأ ان يُبدي ايّ رأي تجاه الحكم و مخالفات اجهزة الدولة، إلاّ من جازف بنفسه و استعدّ لدخول السجون المظلمة و معتقلات زياد و بقية الولاة.

و نعتقد إنّ أكبر سدّ كسره بنو امية هو هذه الفريضة الالهية، و إنّ أكبر خطر كان يُهدد العالم الاسلامي في ذلك اليوم و في كل عصر و زمان هو اهمال هذه الفريضة الالهية الخطيرة، و منع الناس من اجراءها.

لقد استطاع بنو امية و من خلال القمع و الارهاب الفكري، أن يتلاعبوا بكل المقدسات و الاحكام الاسلامية، و ان يرتكبوا ما يحلو لهم من المخالفات و الجرائم، و بهذا الاسلوب استطاعوا أن يوسعوا من حكمهم الاستبدادي الذي غطت غيومه كل المجتمع الاسلامي، و قد استغلّ موظفوا الدولة مناصبهم و مراكزهم و حمّلوا الناس ما لا يطيقون، و لم يكن ليتجرأ احدٌ علي فتح فمه للاعتراض، و قد وصل الأمر بالمجتمع حتي صار الأمر بالمنكر و النهي عن المعروف رائجاً، و عاد المنكر معروفاً و المعروف منكراً!!!

و لقد قتل بنو امية حجر بن عدي و رشيد الهجري و عمرو بن الحمق الخزاعي و ميثم التمار و آخرين، بابشع طرق القتل بجرم حب علي بن ابي طالب عليه السلام و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و لقد وصل خوف الناس و تركهم للامر بالمعروف و النهي عن المنكر الي درجة ان كبار الصحابة لم يتجرأوا - بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام - ان ينكروا علي الدولة أو احد صغار موظفيها، منكرًا ارتكبه أو معروفًا تركه!! خوفًا من السيوف و الرماح و السجون التي كانت تتهددهم.

و سبت الامة الاسلامية في مستنقع الخنوع و الذلّة و الارعاب و الوعيد بالقتل و الحبس.

و تحت وطأة السيوف التي كانت تقطر دم آلاف الابرياء، أعدّ معاوية طبخة البيعة لابنه يزيد، و أصدر أوامره لجلاوزته و جلاّديه أن يبادروا بضرب أعناق كل المخالفين لهذه البيعة، و بدأ بالمدينة المنورة التي يكثُر فيها كبار الصحابة و أهل الحلّ و العقد و أعلن رغبته في أخذ البيعة منهم ليزيد، ثمّ اشاع في الاقطار بان الصحابة وافقوا علي ذلك و انهم بايعوا يزيد بن معاوية، كذباً منه و حيلة و خداعاً.

و من العسر أن نوضح تفاصيل مأساة ابتلاء المسلمين و ما لحق بهم جرّاء تركهم فريضة الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و عدم مناصرتهم لأمثال أبي ذر الغفاري و المقداد و الحجر بن عدي و عمّار ابن ياسر.

و ايّ منكرٍ أعظم من سبّ أمير المؤمنين عليه السلام من علي المنابر التي لم تكن لتشيدلولا همّة عليّ و جهاده و قتاله و دفاعه عن النبي صلي الله عليه و آله؟

عليّ الذي هو بمنزلة نفس رسول الله صلي الله عليه و آله و ابن عمّه و صهره و وصيه و أول مجاهد و حامٍ عن الإسلام، و أعلم و أزهد و أتقي و أعدل و أروع و أعبد أهل

وأيمنكر أكبر من إباحة مدينة الرسول لجيش الشام ثلاثة أيام بامرٍ من يزيد، يقتلون وينهبون ويهتكون الحرمات و تغتصب النساء العفيفات و يقهر كبار صحابة رسول الله صلي الله عليه وآله؟!

نعم، هذه نتيجة حتمية لترك الامة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر و تسليمها مقاليد أمورها لامثال معاوية و يزيد، و بيعها دينها بدنيا غيرها، و لا يتوقع غير ابتلاءها بحكم بني امية، فيقتل الصلحاء و العلماء و المصلحون أو يسجنوا، و تصرف أموال بيت مال المسلمين في الملذات و حفلات الرقص و الطرب و المجون، و يتجاوز علي اعراض الناس و نواميسهم، و تعطل الحدود و الاحكام، و تحقر الشعائر الاسلامية، و يرسل الوليد بجاريتة الجنب لتصلي بالناس الجمعة و الجماعة!! و والي الكوفة يصلي بالناس الصبح سكران و يتقيأ الخمر في المحراب، و ينتشر الزنا و الطرب بين الناس و الكل خانع!!

و كل هذه المفاصد تتصل بمركز الحكومة و تنتهي الي شخص واحدٍ يحكم الناس باسم خليفة المسلمين و امامهم، و قد أمسك بزمام امور المسلمين و منع الحريات و كتم الانفاس و أضاع الدين و هضم حقوق المسلمين.

و ليس من قصدنا هنا شرح مفاصد بني امية و نقدها و انما قصدنا أن بني امية عرفوا أن تحقيق مآربهم و سلطانهم و بسط نفوذهم و حرفهم للثوابت الاسلامية، و محوهم آثار الإسلام الحقيقي الاصيل، لا يتسني لهم إلا اذا قضوا علي هذه الفريضة الالهية المهمة. فمن الواضح، إن هذه الفريضة لو كانت متروكة، لفسح المجال للنظم اللامشروعة و الحكومات الغاصبة ان تفعل ما يحلو لها بلا تردد و لا وجلٍ من عواقب الامور، فتجرُّ الامة الي الويلات، يساعدها في ذلك المتملقون و المتزلفون و

وعاظ السلاطين و من غرّتهم الدنيا فباعوا دينهم و ضمائرهم بثمن بخس، فيمدحون الظلمة و يثنون عليهم في المحافل و المجامع و المنابر و يصفونهم بانهم المصلحون الاولياء الاوفياء لمصالح المسلمين العامة.

و كان الحسين عليه السلام ناظراً لكل تلك الانحرافات، شاهداً علي كل ذلك الاضطراب الاجتماعي و السياسي و الفكري للمسلمين، فمضافاً الي وظيفته كفرد مسلم في الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، فكذلك كان عليه أن ينطلق من موقعه القيادي و مقامه المعروف عند عامة المسلمين، فكان تكليفه اشقّ و وظيفة أدق اذ كانت الانظار متوجهة اليه و منشدةً نحوه باعتباره القائد المعنوي و الروحي للاسلام و المسلمين، اذ كان الناس يتوقعون منه عدم السكوت و إلا صار سكوته حجة و عذراً لسائر المسلمين، فالحسين عليه السلام هو الاعرف بالاحوال و الاوضاع، فمن اولي منه اذن في التصدي و المواجهة؟

لقد رأى الحسين عليه السلام إن من واجبه و تكليفه الالهي أن ينهي عن المنكر و أن يوقظ ضمير الامة الاسلامية من سباته و أن يقصم ظهر الحكم الاموي بتضحيته هو و اهل بيته و اصحابه.

و تحسّس الحسين لهذه المسؤولية كان واضحاً في خطبه و كلماته، مثل ما نقله ابو مخنف عن عقبة بن ابي عيزار من خطبة للإمام الحسين عليه السلام في صحبه و عسكر الحر بن يزيد الرياحي في البيضة (1) و جاء فيها:

«أيها الناس إن رسول الله صلي الله عليه و آله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرْمِ اللّٰهِي.

ص: 266

1- منزل في الطريق الي كربلاء، نزل به الحسين عليه السلام للاستراحة، فخطب اصحابه و اصحاب الحر بن يزيد الرياحي.

ناكشاً بعهد الله، مُخالفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ يَعمَلُ في عبادِ اللَّهِ بالإثمِ و العَدوانِ فَلَمْ يُعَيَّرْ عليه بِفِعْلٍ و لا قَوْلٍ كان حَقّاً علي اللَّهِ أن يَدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ أَوْ إِنَّ هُوَ لَأَقْدَرُ لَزِمُوا طاعةَ الشَّيْطَانِ، و تَرَكَوا طاعةَ الرَّحْمَنِ و أَظْهَرُوا الفَسادَ و عَطَّلُوا الحُدُودَ و اسْتَأَثَرُوا بِالْفِي، و أَحَلُّوا حرامَ اللَّهِ و حَرَّمُوا حلالَهُ و أنا أَحَقُّ مَن غَيْرَ...»(1)

فان قيل:

إنَّ شرائطَ الأمرِ بالمعروفِ لم تكن متحققة في زمن الحسين عليه السلام فان من جملة شرائطها احتمال التأثير، و لم يكن حكم بني امية و خصوصاً يزيد بن معاوية قابلاً للتأثر بالامر بالمعروف و النهي عن المنكر، كما إنَّ من شرائط هذه الفريضة هو عدم تضرر الأمر بالمعروف و الناهي عن المنكر، و هذا الشرط غير متحقق أيضاً في ذلك الظرف.

قلنا:

1 - اننا نفهم شرائط الاحكام الشرعية و نتعلمها و نتعرف علي خصوصياتها من الحسين عليه السلام، و خير دليل علي مشروعية العمل هو قيام الحسين عليه السلام به، و بعبارة اخري: إنَّ سلوك الحسين عليه السلام و فعله هو من أدلة الاحكام الشرعية.

ففرض دلالة الدليل علي اشتراط الامر بالمعروف باحتمال التأثير أو الأمن من الضرر و انه يشمل بعمومه أو اطلاقه لهذا المورد، حتي لو كان صحيحاً، لكنه يُقَيَّدُ بفعل الحسين عليه السلام فيكون إقدام الحسين عليه السلام و نهضته مخصّصاً أو مقيداً لذلك.

ص: 267

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 34. الكامل لابن الاثير ج 3 ص 280. القمقام الزخار ص 353. و من أراد التعرف علي المزيد من اهمية الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و مذمّة تركهما من وجهة نظر الإمام الحسين عليه السلام فليراجع خطب الإمام عليه السلام و التي نقلها الحسن بن علي بن شعبة البحراني (قدس سره) في كتابه «تحف العقول» ص 170-168 طبعة النجف.

الدليل العام، ويدل علي عدم مدخلية هاذين الشرطين في وجوب الفريضة، فكان يجب الامر بالمعروف و النهي عن المنكر حتي لو لم يكن مؤثراً أو احتمال وجود الضرر فيه.

2- إنَّ اشتراط الامر بالمعروف و النهي عن المنكر بالأمن من الضرر ليس مسلماً في كل الموارد، بل يمكن القول إنَّ الثابت شرعاً هو عدم الاشتراط في بعض الموارد، و لابد من الموازنة بين المصالح الموجودة في الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و بين مقدار الضرر الداخل منهما، فان كانت المصلحة أهم و يجب استيفاؤها شرعاً مثل احياء الدين، لزم تحمل الضرر و لم يجز ترك الامر بالمعروف أبداً.

و بيان آخر: فرق بين الامر بالمعروف و النهي عن المنكر الشخصي و عند بعض الافراد كالمعاصي الشخصية و الذنوب و بين النهي عن المنكر العام الذي يلزم منه دروس الدين و امانة الشريعة و تعطيل الاحكام كلها، و هتك المقدسات و الشعائر الاسلامية، فترك النهي عن هذه المنكرات يؤدي الي خسارة كبيرة و مصائب و ويلات علي المجتمع الاسلامي و يقوي شوكة الكفار و تسلطهم علي المسلمين، كما في عصر يزيد بن معاوية حيث كان خطر الانحراف الكامل للدين و تغيير الهوية الاسلامية للمجتمع، يهدد العالم الاسلامي أجمع، فالمؤشرات كانت تدل علي قرب زوال الدين إلا اسمه و الإسلام إلا رسمه.

ففي الصورة الأولى - النهي عن المنكر الفردي - يكون الاشتراط صحيحاً و سليماً، و أمّا في الصورة الثانية فلا يصح ذلك الاشتراط، بل لابد من النهوض باعباء المسؤولية الدينية و نصره الدين و دفع الخطر المتوجه الي الإسلام و المسلمين حتي لو استلزم ذلك التضحية بالمال و النفس.

3- إنَّ احتمال التأثير علي قسمين: فتارة يكون النهي عن المنكر في خصوص

فرد في حالة ارتكاب المعصية، فاذا لم نحتمل التأثير لم يجب نهيه عن تلك المعصية، وتارة نهيه عن المنكر ولا نحتمل تأثيره في نفس الوقت، لكننا نقطع بتأثيره في المستقبل، ففي هذه الحالة لا يسقط وجوب النهي عن المنكر فهو بقوة احتمال التأثير الفعلي ولا فرق بينهما. كما لو احتمالنا إن تصدينا لفضح ومحاربة الفرق الضالة والمؤسسات الفاسدة ونشر معاييبها وانحرافات علي الناس سيؤدي في المستقبل الي توعية الناس شيئاً فشيئاً ثم كساد تلك المؤسسات وإفلاسها وإندثارها، أو التقليل من تأثيرها في المجتمع أو علي الأقل يؤدي الي الحد من اتساع رقعة نشاطاتها واضلالها، أو تحصين الناس من الانخداع بافكارها وبرامجها، ففي هذه الصورة يكفي احتمال التأثير المستقبلي في عدم سقوط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن أكثر الشعوب والامم في العالم المعاصر، انما استطاعت أن تفك قيود أسرها وأن تنال حرياتها واستقلالها، بواسطة اختيارها لهذا الطريق، طريق التضحية والفداء وتحمل الصعاب والضغوط، وعن طريق توعية الناس بانحرافات الأعداء وفضح مكاندهم وزلزلة أسس مناهجهم وزعزعة اركان نفوذهم ومن ثم افشال مخططات العدو ودحره، وكم من دماءٍ أريقت في سبيل نيل هذه الحريات والاستقلال، كانت المحرك الاساسي لنهضة المجتمع وثورته واسقاط الانظمة المستبدة، حتي لو كانت تلك النتائج تظهر متأخرة عن وقت الانتفاضات والحركات التحررية، فالغرض والهدف هو التغيير والاصلاح والخلاص، لا الرئاسة والحكم والسلطة.

وهكذا أولياء الله، فانهم يجاهدون من أجل أهداف سامية ومبادئ انسانية رفيعة، مع علمهم بأن أعداء الله سيصّبون جام غضبهم علي رؤوس المجاهدين ويقتلونهم ويشردونهم وينهبون أموالهم ويرفعون رؤوسهم علي رؤوس الرماح،

لكن ذلك لم يؤخرهم عن التضحية والفداء والتحمل والصبر والجهاد في سبيل الإسلام، ليكون جهادهم وتضحياتهم مناراً يهتدي به الناس لتغيير مسيرة التاريخ.

وكذا كان الحسين عليه السلام، فقد رأى أنَّ الاخطار تهددُ أحكام القرآن والإسلام وإنَّ مستقبلاً مظلماً ينتظر الأمة الإسلامية، وإنَّ شمس الإسلام النيرة باتت قريبة من الافول، وإنَّ الجاهلية نفضت ترابها لتعود الي مرافي الحياة وإنَّ الخلافة الرشيدة لبست ثوب الكسروية و القيصرية، ومع هذا كلُّه لم يكن من الحسين عليه السلام أن يسكت بمجرد احتمال الضرر أو حتي القطع به، ويجلس جلس داره يذرف الدموع علي الإسلام و يقرأ فاتحة الدين وينصب العزاء علي الشريعة.

إنَّ الحسين عليه السلام كان علي يقين واحاطة تامة بالمخاطر المحدقة بالدين، و من ثم وجدناه من أول ساعة وعندما عرض عليه مروان بن الحكم ببيعة يزيد فينعم - بزعم مروان - بحياة هادئة محترمة، فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَعَلِيَّ الْإِسْلَامَ السَّلَامَ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدٍ»

لقد كان علي الحسين عليه السلام وفي مثل تلك الظروف وهو يري تلك المنكرات، أن يهَبَّ هَبَّةً كاملةً قوِيَّةً للدفاع عن الإسلام، و أنَّ يحفظ ثغوره و حصونه حتي لو آل الامر الي قتله و قتل اولاده و اخوته و اصحابه، و حتي لو استلزم تحمل أسر اخواته و نسائه و ذبح الرضع من اطفاله في حجره، لان الحسين عليه السلام كان يرجح بقاء الإسلام و احكامه علي بقاء نفسه بين جنبيه، و لذا قام بذلك الفداء الجبار.

هذا، و إنَّ احتمال التأثير كان موجوداً، بل ان الحسين عليه السلام كان متيقناً من تحقق التأثير، و أيَّ تأثير اكبر من حفظ استمرارية و دوام الإسلام و إنَّ نهضته ستؤدي الي ضمان بقاء الدين، فالحسين عليه السلام كان يعلم إنَّ بني امية اذا قتلوه - وهو سبط النبي

و محور تحقق الآمال الروحية عند الناس، و أشرف و أعزَّ الخلق و احبَّهم علي قلوب المسلمين - فان قدرتهم ستتلاشي و انَّ مخططاتهم ستُفْتَضَح، و انَّ سيلاً عارماً من الغضب و النفرة و الانتقاد سيسلب منهم القدرة علي محاربة الشعائر و إماتة الدين و اعادة الجاهلية، و انَّ عليهم أن ينتقلوا من مواقع الهجوم الي مواقع الدفاع ليتمكنوا من المحافظة علي سلطانهم لأيام معدودة.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم تماماً انَّ استشهاده و أسر بنات الوحي و عقائل النبوة سيكشف القناع المزيف لحكام بني امية و يفضح عداءهم للاسلام و للنبي و آل النبي صلي الله عليه و آله، مما يؤدي الي تثبيت جذور الإسلام و الايمان في قلوب الناس و انَّ مصرعه و مصرع اصحاب الوفي من انصاره سيهزَّ ضمير الامة و يحيي فيها حسَّ التمرد علي الامويين، و انه سيوقظ الجميع من رقدتهم و سباتهم.

لقد كان الحسين عليه السلام يعلم جيداً انه اذا قُتِل و سببت عياله و ذبح رضيعه علي صدره، و رفع رأسه فوق القناة، فان المسلمين سيكتشفون انَّ منهج بني امية منهج معادٍ للاسلام، و انهم اقرب الي الجاهلية، و من الواضح انَّ انكشاف هذه الحقيقة سيؤدي الي زوال هذا الحكم و ان استطاع البقاء لمدة قصيرة يعالج الزوال و الاضمحلال، عاجزاً عن تغيير هوية المجتمع الاسلامية و اضلال المسلمين.

لقد هزّت فاجعة كربلاء العالم الإسلامي أجمع، فكان يوماً كيوم رسول الله صلي الله عليه و آله و ثارت احساس الغضب علي بني امية عند عامة المسلمين، و بدأت الثورات و الحركات تتراصدًّ حكم بني امية حتي سقطت تلك الحكومة التي كانت تروّج للشرك و الكفر باسم الإسلام و الدين، فكانت دماء اهل البيت الطاهرة هي ثمن نجاة الإسلام و اعادة روحه الي بدنه و هويته الي معتنقيه.

اذن، فما قام به الحسين عليه السلام من امر بالمعروف و نهي عن المنكر كان منسجماً

مع القواعد الشرعية، بل كان ضرورياً وواجباً، ولقد فدا الحسين عليه السلام الدينَ بنفسه وولده و اخوته و خير اهل الارض جميعاً، و تحمل كل البلايا و الرزايا التي هاجمته من كل ناحية من اجل الاهداف السامية.

فقد كان الحسين عليه السلام يري بعينه الرحيمتين، اطفاله الرضع يتلظون عطشاً و يذبحون بسهام الغدر المسمومة، ولكنه لم يهن و لم يضعف قدر اغلة في طلب الحق.

و تاريخ الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و مقارعة الظلم و الكفر، لم يرو لنا قصة رجلٍ شابه الحسين عليه السلام في تضحياته و فدائه و وقف هو و عياله و اطفاله و قد احاط به جيش جرازٍ آثمٍ من كل جانب و جهة و شاهد ذبح اطفاله و موتهم عطشاً و شاهد سر بناته و اخواته و نسائه، و كان جسده الشريف يشخب دمًا و قد اصيب باكثر من سبعين ضربة سيف و طعنة رمح و نبل، و مع كل ذلك بقي محافظاً علي رباطة جأشه معتزاً بكرامته وقياً لمبادئه و دينه انه الحسين عليه السلام المنفرد في قوة قلبه و شجاعته و صموده في طريق الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و الحسين عليه السلام فريد العصور في ملحمة التي سطرها يوم عاشوراء و نجح في كل الامتحانات و الابتلاءات و حاز علي الرتبة الأعلى من بين سائر طلاب الحق و الحقيقة.

فأيّ شجاع و أيّ مقدامٍ يصبر ساعة الوغي مع ما به من جراح و عطش علي تلك المصائب التي حلت بساحة الحسين عليه السلام؟ انه الحسين فقط الذي يثبت علي امثال التكليف الالهي الشاق بالامر بالمعروف و النهي عن المنكر، و لم يعتذر بعذرٍ و لم يتململ بحجّة فكان مصداق الحديث النبوي المشهور:

«سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ عَمِّي حَمَزَةٌ وَ رَجُلٌ قَامَ إِلَيَّ إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَ نَهَاةً فَفَتَّلَهُ»

«ما الإمام إلا العامل بالكتاب و القائم بالقسطِ و الدائِنَ بدينِ الحَقِّ و الحابسِ نَفْسَهُ علي ذاتِ اللَّهِ» الإمام الحسين عليه السلام

عندما حضر الحسين عليه السلام الي دار الإمارة بعد أن دعاه الوليد و هو والي المدينة و نعي له معاوية فاسترجع، وقرأ له كتاب يزيد في أخذ البيعة، فقال الحسين عليه السلام «إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً حتي أبايعه جهراً فيعلم الناس ذلك.»

قال الوليد: أجل.

فقال الحسين عليه السلام «تصبح و تري رأيك في ذلك» فقال الوليد: انصرف علي اسم الله تعالى حتي تأتينا مع جماعة الناس، فقال مروان للوليد: و الله لأن فارقك الحسين الساعة و لم يبايع لا قدرت منه علي مثلها ابدأ و لكن أحبس الرجل لا يخرج حتي يبايع أو تضرب عنقه. فقال الحسين عليه السلام لمروان و يلك يا ابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي أم هو كذبت الله و لؤمت، ثم التفت الي الوليد و قال «يا أمير إنا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة، بنا فتح الله و بنا ختم و يزيد فاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق و الفجور، و مثلي لا يبايع مثله و لكن نصبح و تصبحون و ننظر و تنظرون أينأ أحق بالبيعة و الخلافة.»

و إنَّ قوة العارضة في الحق تفعلُ في النفوس فعل السحر و تعصف بالجلامد و الصخور، فُتبدَّل منها حتي تجعلها كالكتيب المهيل. و كلمة الحق الصارخة لا بدّ أن تجد لها في أذن الباطل وقعاً، و أن تترك فيه دويّاً، إمّا أن يصمّها و إمّا أن يصلح منها. و كذلك فعلت كلمة الإمام ذلك الدويّ الذي كان رجعه صلاحاً و تأنيب

ضمير في أذن الوليد، وصمماً وعتوّاً في أذن مروان. و اسمع إلي المراجعة التي دارت بينهما بعد خروج الحسين عليه السلام.

قال مروان للوليد: عصيتني! لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أبداً. وكان أشار عليه بقتله إن امتنع.

فقال الوليد: ويحك، إنك أشرت عليّ بذهاب ديني و دنيائي، والله ما أحبّ أن أملك الدنيا بأسرها، وإني قتلت حسيناً سبحان الله أقتل حسيناً لَمَّا أن قال لا أباع؟

والله ما أظنُّ احداً يلقي الله بدم الحسين عليه السلام إلاّ وهو خفيف الميزان لا ينظر الله اليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب اليم. (1) إن هذه الصفحة من تاريخ الحسين عليه السلام مهمة وحساسة في توضيح وكشف دواعي الثورة و اباء الحسين عليه السلام عن بيعة يزيد، إذ إنّه عدد جملة من الامور يكفي واحد منها لامتناع والتخلف عن تلکم البيعة وعلي وجوب الانتفاض والثورة.

فلا يشكُّ احدٌ في دلالة تلك الاسباب التي استند اليها الحسين علي مشروعية الثورة و حرمة البيعة، فالكل يقبل تلك الخروقات اليزيدية كبريٍّ و صغريٍّ، و حتي الوليد بن عقبة مع انه ابن عم يزيد و واليه، فلم يتحرج من تصديق الحسين عليه السلام، و ما كان منه إلاّ ان يستسلم لمنطق الحسين عليه السلام و صحة استدلاله و احتجاجه، بلا اي ردّ أو انكار.

و لا ريب إن أفضل من يقدر علي بيان علل و دوافع ثورة الحسين عليه السلام هو الحسين عليه السلام نفسه، إذ لا يختلف اثنان في صدق لهجة الحسين عليه السلام و لا في اضطلاعهم.

ص: 274

1- سمو المعني ص 113-114. مقتل الخوارزمي ص 184 ف 9 و مصادر اخري.

بحقائق الامور و مجريات الاحداث السياسية في العالم الاسلامي، و لا في معرفته بمخططات بني امية و يزيد و عمّاله، فما يقوله الحسين عليه السلام في هذا المضممار هو عين الحقيقة و كمالها و اوثق مصدر و مرجع يمكن الاستناد اليه في الوقوف علي خصوصيات نهضته و دوافعها.

و ما دام الكلام صادقاً و مطابقاً للواقع، نفذ الي النفوس و قبلته القلوب و اهتزت له المشاعر، و لذا فقد اثر كلام الحسين عليه السلام حتي في قلوب اهل الباطل فرأيانهم يقرّون بذلك احياناً و إن سكتوا عن الإنحراف، امثال الوليد بن عقبة الذي لم يتجرأ علي انكار ما قاله الحسين عليه السلام في وصف يزيد و بني امية، و لقد بدا الحسين عليه السلام كلامه قائلاً:

«أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مختلف الملئكة و مهبط الرحمة»

فوجد الحسين عليه السلام يبين أهليته العلمية و العملية و سوابقه الفريدة لقيادة الامة، و رعاية مصالحها و تقرير مصيرها، فالكلمة قصيرة، لكنها مليئة بالمعاني الحساسة و الخطيرة، فهو قد تبّه الوليد الي مقامه في العالم الاسلامي، و ذكره بأن لا أحد أعرف منه بالامور الشرعية و الأهداف الاسلامية و لا احرص في الحفاظ علي بيضة الإسلام و كرامة المسلمين، اذ انه من اهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مهبط الرحمة و ملتقي الملائكة.

و لا نظنّ إن كلمات أوقع من هذه الكلمات يمكنها ان تغيد هذه المعاني و توصلها الي ذهن المخاطب.

فبناء التوحيد و عمارة الإسلام العظيم انما تمّت بهندسة جدّه رسول الله و جهاد أبيه علي عليه السلام و سخاء جدته خديجة و حنان و رعاية أمّه فاطمة عليها السلام

لجدّه وأبيه، وفداء و تضحيات عمّه جعفر الطيار وعمّ ابيه الحمزة بن عبد المطلب، و سائر المجاهدين في طريق التوحيد من بني هاشم، و ها هو الآن بعد اخيه الحسن المجتبي عليه السلام، المحامي الوحيد عن الإسلام و المتلهف لاغاثة المسلمين، فإذا سكت - و هو الذي نزلت في بيته قوانين الشرع و مقررات الدين و آيات الوحي - عن نصرة الإسلام فلا شكّ في أنّ سائر الناس سيسكتون عن الحق و لن يتطوع احدٌ للدفاع عن الدين.

لقد أوضحت هذه الجملة القصيرة، مسؤولية الحسين عليه السلام الخطيرة و الثقيلة تجاه الإسلام و القرآن، كما رسمت الخطوط العريضة لحركته المستقبلية، و تدلّ بالقطع و اليقين علي استحالة سكوت الحسين عليه السلام و تجاهله لعواقب الاوضاع الوخيمة.

لقد قام الحسين عليه السلام بما كان سيقوم به جدّه رسول الله صلي الله عليه و آله لو كان في زمن يزيد. أفهل كان النبي صلي الله عليه و آله سيسكت عن سياسة يزيد و يبايعه؟ أم هل يُعقل أنّ النبي صلي الله عليه و آله كان سيتفرج علي مهازل الحكم الاموي و استخلاف فاسق فاجر شارب للخمر، و لا ينتفض؟ هل كان مشروع النبي صلي الله عليه و آله و المجتمع الايماني الملكوتي الذي اسسه تحت لواء التوحيد و العدالة و الحرية، يعني أنّ ياتي أمثال يزيد و ابن زياد و يتسلطون علي رقاب الناس و يهتكون كرامة المسلمين و يتمردون علي الحدود و القوانين الالهية؟

هذا النبي صلي الله عليه و آله هو ذلك النبي صلي الله عليه و آله الذي قالها كلمة باقية علي مسمع الدهور و العصور و الملل و النحل:

«و الله لو وضعوا الشمس في يميني و القمر في يساري علي أنّ أترك هذا الأمر ما تركته حتي يظهره الله أو أموت دونه»

و هذا الحسين عليه السلام هو ابن ذلك النبي، قال:

ص: 276

«إننا أهل البيت النبوة و معدن الرسالة، بنا فتح الله و بنا ختم. و يزيد فاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق و الفجور، و مثلي لا يبايع مثله»

فهو غير مستعدٍ للبيعة مع يزيد حتي لو ضيقوا عليه الآفاق و بقي مشرداً في الصحاري و القفار.

وانت تري أنَّ منطلق النبي صلي الله عليه و آله و منطلق الحسين واحدٌ أبداً. فهذه الجملة المختصرة الفاظها، الغزيرة معانيها تكشف موقع الحسين عليه السلام في امته و تشرح وظيفة الحسين عليه السلام تجاه دينه و اسلامه و تعرّي الحكم الاموي من مشروعيته، كما إنها تجسد مقومات شخصية الحسين عليه السلام الروحية السامية، يقول: «بنا فتح الله و بنا ختم» اي إنَّ منصب و مسئولية هداية البشرية و قيادتها، فينا أولاً و أخيراً. ثم يقول:

«و يزيد فاسقٌ فاجرٌ شاربٌ للخمر قاتلٌ للنفس المحترمة مُعلنٌ بالفسق و الفجور»

فهل تري صارخةً أشجع و اوضح من هذه، حيث إنَّ المخاطب هو الوليد، والي يزيد علي المدينة التي هي من اقوي مراكز القدرة و السلطنة و في دار الامارة و مقر الحكومة و بين جلاوزة يزيد و بني امية، يقوم الحسين عليه السلام بفضح شخصية يزيد و كشف ذمائم اخلاقه التي لو وجدت واحدة فقط في شخصٍ ما، لم يكن اهلاً لادارة قرية من القرى الاسلامية فكيف اذا اجتمعت كل تلك الرذائل في رجل يريد ان يتزعم الامة الاسلامية كلها؟!!

فكل واحدة من تلك الصفات، تعدُّ دليلاً قاطعاً علي عدم مشروعية حكم يزيد و حرمة البيعة له و تمكينه من رقاب المسلمين.

1 - الفسق و الفجور و الزنا و المعاصي.

2 - معاقرة الخمرة.

3 - قتل النفس المحترمة بلاحق.

4 - التجاهر بالذنوب.

إذ إنّ من صفات الخليفة إظهار العدالة و اشاعة المفاهيم الاسلامية و الايمانية في سلوكه، و أن يكون النموذج الكامل للتربية الاسلامية الصحيحة، و المرأة العاكسة للدين و التدين.

كما إنّ الغرض من تعيين الخليفة و الإمام هو إجراء الحدود و الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و نصرة المظلوم و تطبيق الشريعة و الحفاظ علي ارواح الناس، و لذا ينبغي عليه أن يكون أوّل الناس تطبيقاً لهذه المثل و أسرعهم امتثالاً للاحكام الشرعية، و الاكثر التزاماً باخلاقية الهدى و الصلاح.

أما اذا كان الخليفة نفسه متجاهراً بالفسق، مرتكباً للفواحش خائناً لدينه و للمسلمين، غير مامونٍ ضرره عليهم، لم يعد لتلك الامة أمن و لا أمان و تزلزلت اركان الدولة و سارت نحو الزوال.

فالمجتمع، مضافاً الي انه لا يجوز له أن يبايع أمثال هؤلاء، فان عليه أيضاً ان يثور عليهم و يعزلهم عن مراكزهم و مسؤولياتهم.

الجملة الثانية:

«و مثلي لا يُبايع مثله»

و ما هي النتيجة و الخلاصة مما تقدم من كلام الحسين عليه السلام، أي إنّ الرجل في مقام الحسين عليه السلام لا يعقل ان يدوس علي كل القيم و يبايع مثل يزيد، إذ إنّ البيعة مع الخليفة في مصطلح المسلمين تعني التعهد بالطاعة و الانقياد لمن يتولي منصب قيادة

ص: 278

الامة و هدايتها و عزّها، و الذي يعمل علي احياء الدين و معالم القرآن الكريم و يأمر بالمعروف و ينهي عن المنكر، و بعبارة أوضح، إنّ البيعة تكون لخليفة رسول الله صلي الله عليه و آله.

إنّ معني البيعة الصحيحة الصادقة، هو إعلان الاستعداد للانقياد التام و التسليم لاوامر الخليفة الحقيقي، و التضحية في طريق امتثال تلك الاوامر، و التي وجبت بحكم قوله تعالى:

«أطيعوا اللهَ و أطيعوا الرسولَ و اولي الأمرِ منكم»

و مثل هذه البيعة مع مثل يزيد ابن معاوية - و إن كانت صورية و لدفع الضرر - هي إمضاء و قبولٌ و شرعية لكل ذنبٍ يرتكبه و فسقٍ و فجورٍ و تجاهرٍ بالمنكرات يقوم به، و اضاعة لحقوق المسلمين و معونة للظالمين، و يستحيل علي الحسين عليه السلام شرعاً و عرفاً ان يبايع مثل هذه البيعة و لذا قالها صريحة واضحة كوضوح الشمس «و مثلي لا يبايع مثله» و كانها حكمٌ بديهي مسلّمٌ عند الجميع، إذ لم يكن احدٌ منصف يتوقع من الحسين عليه السلام ان يبايع يزيداً أبداً.

و كانت هذه النتيجة منطقية ثبّتتها الحسين عليه السلام بعد أن ذكر موقعه في الامة و مقامه في أهل البيت عليهم السلام.

نعم، و لو فرضنا ان كل المسلمين استسلموا للذلّ و المهانة و بايعوا يزيد بن معاوية، لم يكن من الحسين عليه السلام و هو صاحب الفضائل و المناقب الذي ترنو اليه أبصار المسلمين، و تتوقع من مثله بذل الجهد في خلاصهم و انقاذهم من الزاوية الحرجة التي وضعوا أنفسهم بها بسوء فعالهم، لم يكن له أن يبايع محور الشرّ و القسوة و قطب الفسق و المجون يزيد. فمقام الحسين عليه السلام متميزٌ عن سائر الصحابة فضلاً عن سائر المسلمين، فهو من اهل بيت النبوة و معدن الرسالة و مهبط الوحي و

مختلف الملائكة و منزل الرحمة الالهية، و هو من بعد اخيه الإمام الحسن عليه السلام الابن الوحيد لابنة سيد المرسلين علي وجه الارض و سبطه و لذا قال للفرزدق «إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَزَمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ وَ تَرَكَوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ وَ أَظْهَرُوا الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ وَ أَبْطَلُوا الْحُدُودَ وَ شَرَبُوا الْخَمْرَ وَ اسْتَأْتَرُوا فِي أَمْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ أَنَا أَوْلَى مَنْ قَامَ بِنَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ وَ إِعْزَازِ شَرْعِهِ وَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا»(1)

فلم يكن امام الحسين عليه السلام خيار و هو في موقعه ذلك، و يزيد في موقعه ذلك، إلا أن يُعلن حالة الخطر و النداء بعدم شرعية حكومة يزيد و بيعته، اذ ان بيعة الحسين عليه السلام أو بيعة كل واحدٍ من الصحابة ليزيد تعدُّ اصفاء شرعية لحكمه و تنزيهاً له و تزكية، و ابطالاً لحقيقة الخلافة، و عدولٌ عن كل شرائط الزعامة الاسلامية و خلافة النبي صلي الله عليه و آله و سوق المجتمع الي الضلالة، و ستكون هذه البيعة سلسلة قيودٍ لأسر و تعذيب أولياء الله، لا يوازي ثقل الجبال ثقلها.

لقد انتفض الحسين عليه السلام بهذا المنطق، و ثبت عليه الي النهاية و كان يقول:

«ما الإمامُ إلاّ العاملُ بالكتابِ و القائمُ بالقسطِ و الدائنُ بدينِ الحقِّ و الحابسُ نفسَهُ علي ذاتِ الله»(2)

و يوم عاشوراء، و عندما صُبَّت عليه المصائب و البلايا و الرزايا كان يكرر نفس المنطق و يقول:

«أما و الله لا أجيبُهُم الي شي مما يُريدونَ حتّي ألقى الله و أنا مُخصَّبٌ بدمي»(3)8.

ص: 280

1- تذكرة الخواص ص 252.

2- تاريخ الطبري ج 4 ص 262.

3- سمو المعني في سمو الذات ص 118.

لا خلاف بين المفكرين والعلماء في ضرورة كون الحكومة الاسلامية راعية لمصالح المسلمين ممثلة لافكارهم وآرائهم ومجسدة لروح المجتمع الاسلامي ومحقة لرسالة الإسلام.

ويعتقد الشيعة، أن الحاكم هو القائد الالهي الكامل وهو النبي صلي الله عليه وآله. وبعد رحيل النبي صلي الله عليه وآله والتحاقه بالرفيق الاعلي تعينت القيادة في أشخاص نصبهم الله علي لسان الرسول صلي الله عليه وآله وكما كان النبي صلي الله عليه وآله متكفلاً قيادة المجتمع دينياً وروحياً و اخلاقياً و سياسياً و اجتماعياً، فكذلك الإمام يتمتع بذلك الموقع بفارق أن النبي يوحى له و الإمام لا يوحى له، وإنما يعتمد علي الكتاب و السنّة في أداء وظائفه، أما النبي فيأخذ الشرائع و الدين من عالم الغيب و هذا من مختصات النبي صلي الله عليه وآله.

و من الواضح، إن هذا المنهج لادارة المجتمع هو أفضل المناهج و الطرق النافعة و الصحيحة، و لا شك في أن من يعينه النبي صلي الله عليه وآله بامر الله تعالى، يكون لائقاً و مؤهلاً لهذه القيادة، و كما يقول الفيلسوف الكبير الشيخ ابو علي ابن سينا:

«و الاستخلاف بالنص أصوب فإن ذلك لا يؤدي الي التشعب و التشاغب و الاختلاف»⁽¹⁾

و بناءً علي مذهب أهل السنّة، فكذلك ينبغي علي الحكومة أن تكون مظهر روح المجتمع الاسلامي، و إنما تجب طاعة مقرراتها فيما لو كانت ملتزمة بحفظ شعائر الإسلام و رعاية مصالح المسلمين و أن تكون مصدر قدرة المجتمع المسلم، فان

ص: 281

تخلفت عن ذلك لم تكن شرعيةً ولا اسلامية. (1) ومن أهم وظائف الخلافة و تعهداتها هو تقويم الاعوجاج و تطبيق العدالة الاجتماعية و اجراء القوانين الاسلامية، فاذا ما أهملت الخلافة هذه الجوانب، لم يعد لها أي اعتبار و لا قيمة و يكون التمرد علي اوامرها واجباً و اعانتها ذنباً و لقد حارب الإسلام تسلط الحاكم و استبداده، و اسقط الحكومات المستبدة في افريقيا و امراء و رؤساء قبائل نجد و الحجاز و غيرها. و أدان الإسلام بشدة اذلال البشرية باي عنوان كان ذلك، و رفع المستوي الثقافي و الفكري للمجتمع، و كسر شوكة المستثمرين و لم يكن كل ذلك من اجل استبدال الحاكم الفارسي أو الأفريقي بحاكم عربي و إنما كان ذلك من أجل تثبيت اسس كرامة الانسان و نجاته من الاستغلال و الاستعباد.

و لم يحارب الإسلام ملوك إيران و لم يهدم قصر كسري الذي بُني علي اكتاف المزارعين المحرومين و باموالهم، لكي يستبدله بقصر الخضراء في الشام، و قصور المنصور في بغداد، و لا أن يتغير اسم الحكم من كسروي الي اموي أو عباسين.

ص: 282

1- و علي الرغم من ان ما ورد في الاخبار المروية بطرق اهل السنة من عدم جواز اطاعة الحكومات الظالمة غير الملتزمة باحكام الإسلام و حتي تلك الروايات المطلقة في لزوم إطاعة الحاكم منصرفاً الي الحاكم الحافظ للشرع و مصالح عامة المسلمين، إلا أنه و للأسف لا نجد تطبيقاً لهذه القاعدة الشرعية عملياً، فاکثر اهل السنة يطيعون الحكام علي علاقتهم كالوليد و الحجاج و يزيد و جابرة بني العباس و الفساق و الظلمة، و يعتبرونهم خلفاء رسول الله صلي الله عليه و آله و امراء المسلمين و يوجبون طاعتهم. و لكن كبار المفكرين المعاصرين من أهل السنة، انكروا هذا التسليم و الانقياد و الاطاعة و خرقوا تلك السيرة التي كانت قائمة لقرون مديدة، و انتقدوها و ابطالوا هذا المعتقد، و كشفوا فضاعة مثل هذا الفكر المنحرف، البعيد عن روح الشريعة و القرآن.

يضطهد الناس و يستعبدهم(1) بل كان هدف الإسلام من كل ذلك هو إنهاء الاستعباد و الاستبداد، كي تتمكن الشعوب من صيانة عزتها و شرفها و الحد من الطاعة العمياء للملوك.

فالإسلام، لا يعتبر السلطة و القدرة ملكاً للحاكم يتصرف بها كيف يشاء فيجمع الغلمان و الحریم و يکنز الذهب و الفضة و يبني القصور الفخمة و يتباهي علي الفقراء و سائر المسلمين بقدرته و ملكه، و انما يري الإسلام ان القدرة و السلطة هي تجل من تجليات قوة الشعب و المجتمع، و الحاكم احد افراد ذلك المجتمع، و إن كل فرد من أفراد الامّة له نصيب من هذه القدرة، فلا يمكن تحويل هذه القدرة العامة الي سلطة فردية يُساء استغلالها.

فالنظام الاسلامي قائم علي ان واضع الاحكام و مقنن القوانين هو الله عزوجل و ليس لاحد من البشر حق التشريع:

«إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»(2)

وقد اوجب الإسلام علي الجميع رعاية قواعد الشرع و اقامة الحدود، و نهى عن الحكم بما لم ينزل الله:0.

ص: 283

-
- 1- و من نماذج استعباد بني العباس للناس، انهم كانوا قد نصبوا حجراً علي باب احد قصور الخليفة العباسي، مشابهاً للحجر الاسود، و قد غطي بقطعة قماش ثمينه، فمن اراد من الرؤساء و الملوك و رجال الحكم لقاء الخليفة عليه ان يمر علي ذلك الحجر و يقبله!! و عندما اراد احد العلماء و اسمه مجد الدين اسماعيل الفالي ان ينقل رسالة حاكم فارس الي خليفة بغداد، امتنع عن تقبيل الحجر، و لما الزموه بذلك، اضطر الي وضع قرآن علي ذلك الحجر و تقبيل القرآن (روضة الصفا)
- 2- سورة يوسف، الآية 40.

«وَلَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ»(1)

«وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»(2)

و من اختار غير حكم الله و اتبع غير منهج الإسلام و شريعة القرآن فهو ضالٌّ مضلٌّ:

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»(3)

فالاسلام يهدف الي إنهاء حكومة البشر و تسليم الأمر الي حكومة الله عزوجل.

و عندما حمل النبي صلي الله عليه و آله راية التوحيد و الدعوة الي هداية البشرية و انتشر صدي ندائه في أقطار العالم فايقظ المجتمعات النائمة علي فراش الغفلة، و انتبه الجميع الي انغام هذه الانشودة الجميلة التي لم يسمعوا مثلها أبدا، فعرفهم بحقوقهم و كرامتهم و قدرهم و قيمتهم الروحية و المعنوية و قال:

«تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»(4)

لقد كانت الحكومات في ذلك الوقت، و سائل لاستعباد و استثمار شرائح كبيرة من طبقات المجتمعات، فسلطنة البشر علي البشر و استرقاقه كانت هي الرائجة، و كان للحكم سلطنة مطلقة في الحروب و السلم و الاتحاد و التنازع، و كل القرارات.

ص: 284

1- سورة المائدة، الآية 45.

2- سورة المائدة، الآية 47.

3- سورة الاحزاب، الآية 36.

4- سورة آل عمران، الآية 64.

العسكرية والاقتصادية والاجتماعية كانت من حق الحاكم فقط ولم يكن للشعوب حول ولا قوة في التدخل باتخاذ اي قرار، بل كان عليها التسليم والانتقاد المطلق.

وكان احترام الناس للحاكم والامير والوزير، ليس من جهة حبهم وموافقتهم ايامه، وإنما كان في الاغلب باعتباره صاحب الحق في التصرف وأنه السلطة العليا التي ينبغي التسليم والخضوع لها وتعظيمها تعظيماً لا يمتُّ الي الأخلاق الإنسانية بأي صلة، وتواضعاً فاق تواضع العبيد لسيادهم.

في مثل هذا العالم الذي كانت الشعوب فيه بمثابة ممالك للملوك و عبيد للامراء الذين كانوا يعتبرون الناس خدماً و عبيداً لهم، وفي الوقت الذي كانت البشرية تمرّ بمرحلة انحطاط اجتماعي واخلاقي كبير، ظهر نبي الإسلام صلي الله عليه وآله يحمل بشارة الحرية والغاء الاستعباد والرقية والاذلال، ويعلم الناس دروس العدالة والفضيلة والمساواة.

ذات يوم جاء أعرابي الي النبي صلي الله عليه وآله، ومع إنَّ النبي صلي الله عليه وآله كان في ذلك اليوم يعيش حياةً بسيطةً هو واصحابه، فلا عرش ولا كرسي ولا سجاد ولا خدم ولا قصر، لكن أخذت الهيبة والرهبنة مأخذاً من ذلك الاعرابي فارتعش جسده وكأنه يقف امام ملك من الملوك فقال له النبي صلي الله عليه وآله: علي رسلك يا أبا العرب، ما انا إلا رجل ولدتني امرأة من قريش تأكل القديد».

إنَّ مسؤولية الحكم والامارة مسئولية خطيرة وإنَّ عواقب وخيمة تتهدد الامراء والحكام، إلا أن يقيموا الحق ويمحو الباطل.

ولقد كان اولياء الله والأتقياء يتهبون من الامارة والحكم ويفرون من السلطة والزعامة فرارهم من الاسود الكاسرة الوحشية، اذ قلَّ ما تجد إنساناً لم يغرّه السلطان والقدرة ولم تؤثر في روحه واخلاقياته وسلوكه، فالحاكم واقفٌ

علي شفير جهنم إلا أن يقيم الحق ويعمل بالصدق.

روي صاحب كتاب الصفوة عن أبي مطرف انه رأى علياً عليه السلام في السوق يسأل بزازاً هل عنده قميص فقال له البزاز نعم يا أمير المؤمنين. ولما عرف علي أن البزاز عرفه تركه وذهب الي آخر ووصل الي شاب لم يعرفه فاشترى منه قميصاً بثلاث دراهم. فجاء أبو ذلك الشاب فأخبره ابنه بذلك فعرف الرجل أن علي بن أبي طالب هو الذي اشترى القميص فأخذ درهماً وذهب الي علي عليه السلام وقال له: يا أمير المؤمنين أن قيمة الثوب درهمان. فأخبره علي عليه السلام أنه اشترى الثوب من الغلام بثلاث دراهم وهو راض بذلك. (1) وقال علي عليه السلام لابن عباس ذات يوم وهو في ذي قار، بينما كان أمير المؤمنين عليه السلام يصلح نعل رجله: «ما قيمة هذه النعل؟»

فقال ابن عباس: «لا قيمة لها»

قال عليه السلام: «والله لَهَيَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمَارَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أَقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا» (2)

ونحن نعتقد ان من أهم الامور الدالة علي روح الإسلام العظيمة و تعاليمه و أهدافه، هو طريقة و اسلوب الحكم و ادارة الامور سياسياً و اجتماعياً في النظام الاسلامي.

ولكن و للاسف الشديد، إنَّ جهاز الحكومة بعد وفاة النبي صلي الله عليه و آله و عروج روحه الي الملاء الاعلي، ابتعد عن محتواه الشرعي شيئاً فشيئاً بسبب انحراف الخلافة2.

ص: 286

1- ينابيع المودة ص 219.

2- نهج البلاغة ج 1 ص 76 خطبة 32.

عن مسيرها الواقعي، و كلما ابتعدنا عن عصر النبي صلي الله عليه وآله زاد ذلك الانحراف وزاد التشبّه بالحكومات و الأنظمة التي حاربت الإسلام و هيمن شبح الجاهليّة علي أجهزة الحكم و زادت الهوة بين السياسة و الدين و انفصلت الحكومة عن الشريعة.

و هذه الفاصلة و ان كانت قليلة في زمن الخليفة الاول و الثاني بسبب قرب الناس من التجربة المحمديّة و أنسبهم بالحكومة العادلة للنبي صلي الله عليه وآله، و هذا ما منع من تبديل الحكم الاسلامي الي كسروية و قيصرية علنيّة، فوجود كبار الصحابة كان رادعاً للانحراف الكبير، و لذا وجدنا بعض الفتوحات و اتساع ربة الدولة الاسلامية، اذ ما كان بالامكان نشر الإسلام و توسيع الحكومة الاسلامية إلا بالمنهج الذي نهجه النبي صلي الله عليه وآله و لذا كان الخلفاء يتقيّدون برعاية الظواهر الشرعية و الاسلامية و يتظاهرون بحمل لواء العدالة الاجتماعية لكسب تأييد المسلمين للحكم، و مع انهم ارتكبوا الكثير من الخروقات الشرعية، و لكن وفي الجملة كان ظاهر الحكم و المنهج المتبع في ادارة الدولة و سياستها يختلف كثيراً عن ظاهر الحكومات الملكية الموجودة في ذلك الزمان و كان المسلمون يتحسّسون هذه الفرق و هو ما كان يجعلهم يغضّون الطرف عن التجاوزات و المخالفات الادارية للحكم الاسلامي القائم.

و لكن هذا الوضع لم يدُم طويلاً، ففي زمن عثمان تغيّر المنهج رسمياً و بشكل سافر، و لذا تعالت أصوات الاعتراض و الانتقاد ضد سياسة عثمان خاصة في نصب الولاة و العمّال الذين لم يراعي في نصبهم و عزلهم ملاك الصلاح و الاهليّة و الأمانة، بل كان عثمان ينصب الولاة المتّهمين بالفساد و الانحراف الاخلاقي و الشرعي، لمجرد قرابته منهم.

يقول سيد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية» الصفحة 182: إنّ من أسوء

المصادفات هي تقديم عثمان ابن عفان علي ابن ابي طالب عليه السلام حيث جعل عثمان مقاليد الحكم بيد رجال متهمين من بني مروان، ولو أن حسن الطالع قد حالف علياً و صار خليفة لاستمرت تعاليم الاسلام.

و يقول في صفحة 186: انّ سوء طالع المسلمين هو الذي سلّط رجلاً ضعيفاً غير كفوء كعثمان علي الخلافة.

ثمّ ينتقد سيد قطب سياسة عثمان المالية و منهجه في غارة أموال المسلمين و تسليطه بني معيط و بني امية و الحکم طريد رسول الله صلي الله عليه و آله علي رقاب الناس، و هباته اللامعقولة و اللا مستولة من مال الفقراء و يقول:

إنّ عثمان أهدي لصره ليلة زفافه مائتا الف درهم من بيت المال. و كان زيد بن الارقم خازن بيت المال فحزن و اهتم و اغتمّ لذلك الاسراف و سرقة بيت مال المسلمين مما دعاه الي الاستعفاء من عمله، فقال له عثمان: يا ابن ارقم أتبكي لاني أصل الرحم؟! فقال له زيد: و الله لو أنك أعطيته مائة درهم لكان كثيراً. فغضب عثمان و قبل استقالة زيد بدلاً من أن يتوب الي ربه.

و في صفحة 187 من الكتاب يقول:

«إنّ امثلة ذلك في تاريخ عثمان كثيرة و من جملتها أنه أعطي للزبير ستمائة الف درهم و لطلحة مائتا الف درهم و وهب مروان ابن الحكم خمس خراج أفريقيا مع أن كبار الصحابة نهوه عن ذلك»

و في صفحة 190 يقول:

«من الواضح أن سياسة عثمان في توزيع بيت المال و طريقة مستشاره مروان و تعيينه الولاة من بني امية أثر في سير تاريخ الامة الاسلامية»

و في نفس الصفحة يقول: ليس قليلاً أن يري الناس انّ الخليفة قد استأثر

بالخلافة لنفسه وعشيرته وأنه يقسم بيت المال بينهم طارداً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مؤلياً أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله المقامات.

وفي صفحته 209 يقول: إنَّ عثمان قُتل يوم قُتل وهو يملك مائة وخمسين ألف مثقال ذهب و مليون درهم و بلغت قيمة ضياعه و أراضيه مائة ألف دينار ذهب، أضف الي ذلك جياده و إبله الكثيرة.

وفي صفحته 157 يقول:

«لقد كان علي عليه السلام هو الخليفة الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وآله و الذي كان يرتعش في الشتاء من البرد القارص لأنه لم يكن يملك ثوباً شتوياً مع أن بيت المال كان بيده و لم يكن يمنعه من التصرف ببيت المال إلا يقظة الضمير. (1) كان خالد بن معمر السدوسي يدعو العلباء بن هيثم إلي ترك علي عليه السلام و الاتصال بمعاوية و كان يمنيّه بالجوائز و أموال معاوية و يقول: يا علباء إنك لن تصل الي المال مع علي و كيف تحصل المال من رجل لا يزيد عطاء ولديه الحسن و الحسين درهما يخفف عنهما وطأة العيش. (2) و نفذ صبر المسلمين الاحرار من سوء اوضاع الدولة زمن عثمان بعد ان أهمل عثمان الاستماع الي نُصحهم و اعتراضاتهم علي و لاته، فلم يعزل احداً من اولئك المفسدين الذين تصدوا لنهب اموال المسلمين و اهانة الصحابة و هضم الناس حقوقهم، حتي انجرَّ الأمر الي خلع عثمان عن الحكم و قتله (3).ث.

ص: 289

1- العدالة الاجتماعية ص 182 و 186 و 190 و 209 و 157.

2- نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج 2 ص 585.

3- و لقد استغلت الاطراف و الفئات هذه الحادثة لصالح امرار مخططاتها الشيطانية، امثال معاوية و طلحة و الزبير و عائشة مع انهم كانوا من المحرضين علي قتله. و لا مجال في هذا الكتاب لشرح تفاصيل هذا البحث.

ولكن هذا الانقلاب و الثورة جاء بعد فوات الأوان قليلاً، فقد ضيع المسلمون الفرصة علي أنفسهم، اذ كان الولاة و العمّال قد احكموا قبضتهم علي المناطق التي كانوا يحكمونها و كانوا قر اشتروا الضمان و الذمم بالاموال و اسكتوا الاصوات بالارهاب و التنكيل و مسخوا الشخصية الاسلامية الرسالية، و خاصة معاوية ابن ابي سفيان و الي عمر و عثمان علي الشام الذي اقتدي بقيصر الروم في طراز الحكم و السياسة و حاول قتل الروح الاسلامية عند المسلمين و قد نجح في ذلك الي حدّ بعيد(1).

و في خضمّ هذا الجوّ السياسي و الاجتماعي الملتهب و الحساس، استلم أمير المؤمنين عليه السلام زمام الخلافة، و بدّت في الافق طليعة تشكيل حكومة إسلامية أصيلة.

فكان الجميع يطمع و يأمل أنّ علياً سيحقق الاهداف الاسلامية و انه سيعيد عصر النبي صلي الله عليه و آله الذهبي، و انه قد وّلي زمن الظلم و الجور و التمييز القومي و العنصري و نهب بيت مال المسلمين و قتل المستضعفين، و إنّ علياً عليه السلام سيعزل الولاة الفاسدين الفاسقين، و أنّ العدالة و المساواة و الاخوة الاسلامية ستحقق بشكل تام و كامل!!.

ص: 290

1- لقد نجح معاوية بانتهاجه منهج ملوك الروم و الفارس في الحكم، في استعباد الناس و غسل أدمغتهم و تأصيل حبّ الدنيا و زخارفها في نفوسهم، و لقد كان موكب معاوية في سفره و تنقلاته مشابه لموكب الملوك و القياصرة، و لقد نقل ابن سعد في الطبقات؛ عندما قدم عمر بن الخطاب الي الشام، اعترض علي معاوية في ملابسه حيث وجد انه يرتدي جبّة خزّ و لباس ديباج، و لكنه قبل عذر معاوية و ان كان ذلك العذر سخيفاً لا يمت الي روح الشرع باي صلة، فاجازه عمر علي ذلك!! (النصائح الكافية ص 174) و في أسد الغابة (ج 4 ص 386) ذكر ان عمر بن الخطاب قال في حق معاوية: هذا كسري العرب!!

وكل هذه التطلعات والآمال في علي عليه السلام انما جاءت لسابق معرفة المسلمين بسيرة علي عليه السلام وصلابته في الله وغزير علمه وورعه وتقواه وزهده وارتباطه الروحي والاخلاقي بالنبي الاكرم صلي الله عليه وآله ومعرفته التامة بروح التعاليم الاسلامية الخالصة، ولم يكن ظن المسلمين بعلي عليه السلام جزافاً أبداً، ولا مجاملة ولا مبالغة.

فلا يُنتظر من حاكم مثل علي عليه السلام إلا ترويج العلم والشريعة وتطبيق العدالة ونصرة المظلوم واعداد اعمار البلاد الاسلامية وارساء اقوي وامتن اسس النظام الاسلامي الصحيح، وحتى اعداء علي عليه السلام لم يتوقعوا غير ذلك، ولذا نجد إن المسلمين كانوا يقولون: لقد ذكرنا علي عليه السلام بايام رسول الله صلي الله عليه وآله.

ولكن... اسفي علي المسلمين اذ انهم تأخروا كثيراً في الالتجاء الي علي عليه السلام، فقد كانت الفاصلة الزمنية بينهم وبين عهد النبي صلي الله عليه وآله تقرب من خمسة وعشرين عاماً، وكان الفاسدون والطامعون امثال مروان و معاوية والوليد بن عقبة وعمرو بن العاص قد تغلغلوا في اجهزة الدولة الاسلامية، الي درجة تمكنهم من التأثير في القرارات و إثارة الانشقاقات و التمرد علي منهج أمير المؤمنين عليه السلام خاصة و انهم كانوا قد انتشروا في بقاع متفرقة من أرجاء الدولة كالشام و مصر و أفريقيا و البصرة وغيرها من ولايات الحكم.

فالموانع والعقبات الكأداء التي كانت تعترض سبيل تشكيل حكومة اسلامية قوية، كانت متعددة، ولم يكن مع علي عليه السلام ممن يمكن الاعتماد عليه من تلامذة مدرسة النبي صلي الله عليه وآله إلا عدة قليلة أمثال عمّار بن ياسر و الذين بقوا علي ارتباطهم الروحي و السياسي مع علي عليه السلام.

ولو انّ علياً عليه السلام كان قد تقلد زمام الامور بعد النبي صلي الله عليه وآله مباشرة، كما كان التخطيط الالهي مقرراً، و كما يقول المفكر المصري سيد قطب لو انه كان قد استلم

الخلافة قبل حكومة عثمان و تسلط بني امية، و لم تكن الخلافة قد انحرفت ذلك الانحراف الكبير، و لم يكن لامثال معاوية ذريعة قميص عثمان، لا يمكن اجراء بعض الاصطلاحات و ارجاع الأمر الي سابق عهد الخلافة الاسلامية بما يقرب من عهد النبي صلي الله عليه و آله، لكن مخطط الشوري السداسية قد أثمر ثماره، و كان منْ أسس لتلك الشوري قد خطط مسبقاً لتنحية علي عليه السلام و تنصيب عثمان توخياً لتحقيق تلك التغييرات الاساسية في نمط الحكم الاسلامي.

و مع كل ذلك، فقد حقق علي عليه السلام و خلال مدة خلافته القصيرة و بذل كل ما بوسعه من اجل اعادة الشريعة الي مسارها الصحيح، حقق الكثير من الانجازات و علي كافة الاصعدة حتي صارت خلافة علي عليه السلام مضرب المثل في العدالة و المساواة و العلم و الورع و احترام الانسان، و لكن تلك الأوضاع المضطربة و الموانع و الصعاب و وجود الاشقياء امثال ابن ملجم المرادي، حرمت الامة الاسلامية بل البشرية جمعاً من تحقيق عصر اسلامي نوراني شامل(1).

و كما يقول توماس كارل المسيحي في كتابه «الابطال»:

«أنّ علياً عليه السلام قد قُتل و طويت صفحة خلافته لعدالته و شدة اهتمامه باجراء هذه العدالة و لكنّ تلك السنوات الخمس، و علي الرغم من كثرة ابتلاءات علي عليه السلام و شدة المعارضة له و قسوتها، قد ايقظت المسلمين، فبساطة عيش علي عليه السلام و زهده و تواضعه و ورعه و تقواه و علمه و حلمه و رجولته و بطولته، كانت قد تركت اثران.

ص: 292

1- فلو لم يسقط علي عليه السلام في محرابه، لحمل الناس علي المحجة البيضاء و لسار بالاسلام في المسار الصحيح السليم، و لنحّي بني امية و منعهم من التدخل في الشؤون السياسية، لكن شقاوة ابن ملجم غيرت مسيرة التاريخ الاسلامي و بدلت مصير الامة الاسلامية، فعليه لعنة الله و الملائكة و الناس اجمعين.

عميقاً في اعماق نفوس الناس فصارت مضرِباً للمثل في المثل العليا، وكلما مرَّ الزمان وتجدد الحكام، ازداد ايمان الناس وتجليلهم و تعظيمهم لعلي و آله عليهم السلام و ما زالوا يترنمون و يتغنون بمآثر علي عليه السلام و فضائله و عدله و حكمته و عرفانه، و في نفس الوقت يتأسفون علي تفریطهم بعلي عليه السلام و بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، اضطر الإمام الحسن عليه السلام و رعاية للمصالح الاسلامية العُليا، و لمعالجة بعض الشبهات الفكرية، ان يصلح معاوية، و ما قلناه و ما سنقوله في شأن معاوية و خبثه و خسة عنصره، قليل جداً، و من اراد الوقوف علي بعض حقائق شخصية هذا الرجل فليراجع كتاب «النصائح الكافية» و كتب التاريخ.

يقول الكاتب المعاصر محمد الغزالي:

وقد اجمع أئمة المسلمين علي أن تقاليد الاسلام في الحكم قد تحولت عن مجراها الرشيد علي عهد معاوية و اسرته ثم التاث امر الدين و اضطربت مصالح الناس و وجد من حكام المسلمين من سبق ملوك الكفر في سكرتهم و عمايتهم و ذلك من سوء حظ البشر قبل أن يكون من سوء حظ المسلمين. و حكم الاسلام في دفع اولئك الجبارين لا يحتاج الي مزيد من البيان و التكرار. (1) و يقول سيد قطب:

فلما جاء الامويون و صارت الخلافة الاسلامية ملكاً عضوضاً في بني امية لم يكن ذلك من وحي الاسلام انما كان من الجاهلية الذي أطفأ اشراقه الروح الاسلامي.

و يكفي أن نثبت هنا صورة من البيعة ليزيد لنعلم علي أي أساس قامت:3.

ص: 293

دعا معاوية الوفود ليتكلم في اجتماع عقده لاختد البيعة ليزيد فتقدم يزيد بن المقفع فقال: أمير المؤمنين هذا. ثم أشار الي معاوية. ثم قال فان هلك فهذا. وأشار الي يزيد. ثم قال: فمن أبي فهذا وأشار الي السيف. فقال معاوية: اجلس فانك سيد الخطباء.

ثم يذكر سيد قطب كيفية اخذ البيعة ليزيد في مكة وأنها تمت بالتهديد و السيف و الرماح.(1) و بعد أن يذكر مخازي يزيد كمعاقرة للخمرة و تركه الصلوة و ارتكابه الزنا، يقول:

فاذا كانت هذه مقالة خصم ليزيد فان تصرفات يزيد العملية الواقعية في ما بعد من قتل للحسين عليه السلام علي ذلك النحو الشنيع الي حصار البيت و رميه... الخ تشهد بأن خصوم يزيد لم يبالحوا في ما قالوه. ثم يقول:

و ايّما ما كان الامر فان احداً لا يجرو علي الزعم بأن يزيد كان أصلح المسلمين للخلافة و فيهم الصحابة و التابعين، انما كانت مسئلة وراثة الملك في البيت الاموي و كان هذا الاتجاه طعنة نافذة في قلب الاسلام و نظام الاسلام و اتجاه الاسلام.(2) ففي زمن معاوية كان اسلوب الحكم قد ابتعد كثيراً عن نمطه الاسلامي و بدأ التحول الكبير في شكل ادارة الدولة، و كانت البيعة ليزيد هي القشة التي قصمت ظهر البعير، و كما يقول سيد قطب:0.

ص: 294

1- العدالة الاجتماعية في الإسلام ص 180-181.

2- العدالة الاجتماعية في الإسلام ص 180-181.

إنَّ بيعة يزيد كانت الضربة القاضية في قلب الإسلام ونظامه، فوجب علي الحسين عليه السلام أن يتلاني ذلك، ويضمّد الجراح التي أصابت جسد الإسلام، وأن يُنبّه المسلمين الي عدم شرعية هذه البيعة و الحكومة، وأنَّ الخلافة الراشدة قد استحالت الي ملكية.

كان علي الإمام الحسين عليه السلام أن يُعلم الجميع، أنَّ قيادة الامة الاسلامية من قبل رجل كيزيد، امرٌ مستحيل، وأنَّ يزيداً و امثاله قد غصبوا الخلافة و أن منهجهم مغايرٌ تماماً لمنهج الحكومة الاسلامية.

و لقد أوضح الحسين عليه السلام رأي الدين في حكومة يزيد، و اتقد المسلمين من مغبة اشتباهاتهم التي كادت ان تبعدهم عن حقيقة الإسلام و احكامه.

فلو أنَّ الحسين عليه السلام كان قد سكت علي سياسة يزيد أو بايع يزيداً، لاختلطت الاوراق علي عامة المسلمين، و اندثر النمط الاسلامي الصحيح للحكم، و لصار منهج يزيد و بني امية هو المصدق الاوضح للحكم الاسلامي.

يقول المستشرق الاستاذ نيكلسون:

«كان الأمويين في نظر الدين طغاة و إن كانوا كذلك فلا يحل لهم أن يقتلوا المؤمنين الذين امتشقوا الحسام ضد الغاصبين لسلطانهم، و أما حكم التاريخ في هذا الموضوع إذا ما تصدينا لبحثه فلن يعدو أن يكون حكم الدين ضد الملوكية أو قضاء الحكومة الدينية ضد الامبراطورية و علي هذا الأساس يحكم التاريخ بحق باذانة الأمويين (أي في مصرع الحسين عليه السلام) علي أنه يجمل بنا أن نذكر أن انفصال الدين علي الحكومة لا وجود له في نظر المسلمين. (1)3.

ص: 295

و يبين الاستاذ محمد الغزالي، بعض مفسد النظام الحكم في عهد يزيد و يقول: و اليك بعض المآخذ علي نظام الحكم في العهد الاموي:

1 - تحول الخلافة الراشدة الي ملك عضوض و احتكرت زعامة المسلمين أسر معينة.

2 - ضعف احساس الامة بأنها مصدر السلطة و إن أميرها نائب عنها أو أجير لديها و أصبح الحاكم الفرد هو السيد المطلق النفوذ و الناس أتباع اشارته.

تري الناس إن سرنا يسيرون حولنا و إن نحن أو مانا الي الناس و قفوا

3 - تولي الخلافة رجال ميتو الضمائر و شباب سفهاء جريئون علي معصية الله و اقرار الاثم و ليس لثقافتهم الاسلامية قيمة.

4 - اتساع نطاق المصروفات الخاصة للحاكم و بطانته و متملكيه و تحمّل هذه المغارم بيت مال المسلمين. و أثر هذا السرف الحرام علي حاجات الفقراء و مصالح الامة.

5 - عادت عصبية الجاهلية التي هدمها الاسلام فانقسم العرب قبائل متفاخرة و وقعت الضغائن بين العرب و الفرس و غيرهم من الاجناس التي دخلت في الاسلام قبلا و كان الحكم المستبد يثير هذه النزعات الضالة ضارباً بعضها البعض و منتصراً باحديهما عن الاخري.

6 - هانت قيم الخلق و التقوي بعد ما تولي رئاسة الدولة غلمان ماجنون و بعد ما لعن السابقون الاولون علي المنابر «يقصد علي ابن ابي طالب» حتي أن شاعراً مسيحياً مدح يزيد بن معاوية فقال:

ذهبت قريش بالسماحة و النديو اللؤم تحت عمائم الانصار

7 - ابتذلت حقوق الافراد و حرياتهم علي أيدي الولاة و النصرين للملك

العضوض فاسترخص القتل و السجن حتى يروي الترمذي عن هشام بن حسان قال: احصي ما قتل الحجاج صبراً فوجد مائة الف و عشرين الفاً.

ثم يقول الغرالي: و الواقع ان الهزة التي أصابت الاسلام من هذه الفتن المترادفة كانت من العنف بحيث لو أصابت دعوة اخري لهدمتها.(1)(2) كان هذا، مختصراً من مزار آفة خطيرة إسمها يزيد و حكم بني أمية هجمت علي جسد الامة الاسلامية بشراسة، و غيرت صورة الحكم الاسلامي الرائعة الي صورة حكم ملكي منفورة كريهة.

و لو لم ينهض الحسين عليه السلام لكشف الحقائق و ازاحة قناع التزييف عن وجه الحكم الاموي، لكانت تلك الحقبة من تاريخ الإسلام، اكبر وصمة عارٍ في جبين الامة الاسلامية، و لتلطنحت سمعة نظام الحكم الاسلامي.

«فصلواتُ الله و سلامُهُ عليك يا أبا عبد الله، أشهدُ أنّكَ أحييتَ نظامَ الدينِ و أظهرتَ قواعدَ الحكم.»

5 - خَطْرُ التَهْقِيرِ

كان خطر التهقير و الارتداد الي حكم الجاهلية و الشرك و عبادة الاوثان،

ص: 297

من اكبر الاخطار التي تهدد المجتمع الاسلامي أيام حكم بني امية و بدت ملامح العودة الي ماوراء عصر الرسالة، و بدأت وسائل القمع و التهيب و الترغيب و المخططات الاموية باتيان اكلها في إضعاف المباني الدينية الاسلامية، و الغاء الاحكام الشرعية، و تحقير الشعائر العظيمة و الاستخفاف بها، و كان العالم الاسلامي و خاصةً مراكزه الحساسة كالكوفة و البصرة و مكة و المدينة، بكل ما فيها من ثقل الصحابة و رجالات الإسلام، تغطُّ في سبات عميق و سكوت فضيع و خنوع مريع.

و قد لعب ارباب الناس و سياسة التقتيل و النفي و هدم البيوت و مصادرة الاموال، التي كان يمارسها عمّال الدولة امثال زياد بن ابيه و سمرة بن جندب و المغيرة بن شعبة، دورها الفعال في خنق الاصوات المعارضة أو المعترضة، فعَمَّت حالة اليأس و الخوف في قلب المجتمع الاسلامي في كل اطرافه و نواحيه.

فلقد بذل بنوا امية جُهدهم و جَهِدَهم من أجل ارجاع الناس عن سلوك طريق الإسلام، و مخالفة نصوص الكتاب الكريم و سنة نبي الإسلام صلي الله عليه و آله، و كانت لمعاوية مبتكرات في مهاجمة الإسلام و الصحابة و الانصار و اهل البيت عليهم السلام.

و كانت اهتمامات بني امية منصبة علي تضييف و قتل الروح الاسلامية في شعائر المجتمع المتدينة و الملتزمة بأداب و شعائر الدين. فمضافاً الي قتل سبط رسول الله صلي الله عليه و آله و الإغارة علي حرم النبي صلي الله عليه و آله و هدم و احراق الكعبة المعظمة قبلة المسلمين، و التجاهر بالمعاصي و الذنوب و تعطيل الحدود، حولوا مكة و المدينة الي مرتعٍ للمغنيين و المطربين و المطربات و المخنثين و المردان و الشعراء الخليعين الاراذل و القتلة و المفسدين، رغبة منهم في كسر شوكة هاذين المركزين الروحية و الدينية، مما

يُجرى باقي المدن و الاقاليم الاسلامية علي انتهاج نفس المنحي و الطريق.

فبنو امية، مضافاً الي شهر سيوفهم بوجه اهل البيت عليهم السلام و قتلهم لردع الناس عن التفكير في الالتفاف حول زعامة آل محمد صلي الله عليه و آله، و من أجل إخلاء الارض من كل ما يذكر المسلمين بالنبي و الإسلام، قاموا بصبّ جام غضبهم و حقدهم علي الانصار بجرم نصرتهم للنبي صلي الله عليه و آله و المسلمين عندما هاجروا من مكة الي المدينة، و الذين أفسلوا مخططات أبي سفيان و المشركين الرامية الي اجهاض دعوة النبي صلي الله عليه و آله، و لذا فقد حرم الانصار من ابسط حقوقهم زمن بني امية و اخذوهم بوحشية ليس لها نظير إلا في اعمال نيرون الطاغية.(1) و لقد بدأ تعطيل الحدود و دفع اليهود منذ زمن عثمان، و لو لم يكن علي عليه السلام و هو الوحيد من بين الصحابة، يطالب مصرأً باجراء الحدود، لتعطلت الحدود كلياً منذ زمن عثمان.(2) قال العليالي:

الذي ثبت لمفكري المسلمين أن بني امية اداة فساد و في طبيعتهم بعث الحياة الجاهلية بكل اشائها و الوانها.(3) و قال السبط ابن الجوزي:

«وقد ذكر جدّي في كتاب التبصرة و قال: إنما سار الحسين عليه السلام الي القوم لانه رأي الشريعة قد دثرت فجداً في رفع قواعد أصلها.
(4)3.»

ص: 299

1- سمو المعني ص 27-28.

2- مروج الذهب ص 224-225.

3- سمو المعني ص 28.

4- تذكرة الخواص ص 283.

ولو ترك يزيد بلا معارضة يفعل ما يشاء، لتحققت امنيات معاوية و بني امية في محو ذكر رسول الله صلي الله عليه وآله و منع الاذان و الشهادة بالتوحيد و النبوة، و لم يبق من الإسلام إلا اسمه، و لعمرى لو بقي منه الإسم لما كان له مسمي غير منهج بني امية و سيرة يزيد.

ولو لم تواجه خلافة يزيد بثورة و انتفاضة قوية من قبل الامة الاسلامية، لاعتبر يزيد خليفة للنبي صلي الله عليه وآله و لاصبحت الدولة الاسلامية منتدي الفحشاء و المنكر و القمار و الخمر و الرقص و الغناء و اللعب بالكلاب و القرود، إذ ان الناس علي دين ملوكهم و لانعكست هذه الصورة الخليعة للدولة الاسلامية علي العالم.

ولذا كان من الضروري لحفظ الإسلام و دفع المخاطر المحدقة به خاصة خطر الارتداد و القهقري الي الجاهلية و الشرك، أن ينبري رجال لانقراض علي يزيد و بني امية، لتميزهم عن الإسلام الحقيقي و فضح اذويتهم و كشف اتسابهم الي الجاهلية.

مضافاً الي ضرورة تهيج مشاعر و احساس الناس ضدهم لتقوية شوكة مخالفتهم و التشكيك في استحقاقهم الملك و الحكم، و تعريف الناس بخيانتهم و عدائهم للإسلام.

و لتحقيق هذين الهدفين، كانت ثورة الحسين عليه السلام ضرورةً مُلحّة، اي كان من الضروري كشف القناع عن ماهية حكومة بني امية من جهة، و تعبئة المشاعر و شحذها ضدهم، و كسب عواطف المسلمين نحو آل البيت عليهم السلام من جهة اخري، ليستحيل علي بني امية اختراق قلوب الناس و التحكم بها، و منع الشعائر الدينية كالاذان و ذكر محمد رسول الله صلي الله عليه وآله.

يقول الشيخ محمد محمود المدني، استاذ و رئيس كلية الشريعة في جامعة

الازهر: إن الحسين مثال بارز للمجاهدين في سبيل الله وقد رأى أن جناح الحق مكسور وأن الباطل قد أحاط به من جهاته الأربعة، لقد رأى نفسه وهو فرع شجرة النبوة وابن ذلك الامام الضرغام الذي ما حني رأسه يوماً خوفاً... رأى نفسه وأنه قد أحيل عليه انقاذ الدين وازاحة الظلمات والمظالم، لقد سمع الحسين نداءً من اعماقه يناديه أن قم يا أبا عبد الله فانت لها لا غيرك، لقد ازاح الله بجدك الظلمات وأزهد الباطل وأظهر الحق حتي نزل عليه (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) ولقد كان أبوك ذلك السيف القاطع الذي لم ينم حتي اذلّ المشركين... قم يا أبا عبد الله كأيك وجدك وجاهد ودافع عن دين الله وادفع الظالمين وطهر الارض من الفساد والبغي والظلم... انّ اهل بيتك واصحابك قد استخفّ بهم وانّ النساء والاطفال والفقراء يستصرخون بك... فمن لكل هذه المظالم والجور غيرك؟ ومن الذي ينهض بهذا الحمل الثقيل الا انت يا بن علي وفاطمة؟

أجل، لقد سمع الحسين هذا النداء من اعماقه ليلاً ونهاراً فلم يكن له الا ان يستجيب لهذا النداء والاستصراخ ولم يكثرث لاولئك الذين حاولوا ان يثوه عن النهوض ولم يثنه علمه بقساوة اعدائه معه وعدم احترامهم لنسبه الشريف عن القيام والثورة. فهو المجاهد الذي قام لامر الله فلا فرق عنده أن يغلب أو يغلب. اذ ان كلا الحالين شرف له «قل هل تربصون بنا الا احدي الحسينين» التوبة 52.

فالحسين عليه السلام استشهد في طريق الله والحق وقد ابتلي قاتلوه باللعنة الابدية من الله والملائكة والناس اجمعين واما هو فقد فاز باعلي المراتب عند ربه (مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين). (1)ف.

ص: 301

وفي ختام هذا الفصل، تتمثل بهذه الايات التي تترجم خطر يزيد علي الإسلام و التوحيد، و تشيد بتضحيات سيد الشهداء عليه السلام:

لان جرت لفظة التوحيد في فمه

6 - الدفاع عن النفس

اشارة

6 - الدفاع عن النفس (1)

يجوز لكل انسان، عقلاً و شرعاً الدفاع عن نفسه في حالة مواجهة الاخطار، بل إنَّ الفطرة تدفع الانسان لا ارادياً الي اجتناب المخاطر لحفظ حياته، و إلاَّ كان الانسان مسئولاً و مستحقاً للذم و التوبيخ.

فاذا ما تعرض الانسان لخطر القتل من قبل حكومة جائرة، و لم يأمن علي حياته، جاز له الانتفاض و الثورة لحفظ حياته و الدفاع عن نفسه، و هذا الحق ثابت لكل الناس، بلا ادني شك.

و بعد اتضح هذه المقدمة نقول: إنَّ الحسين عليه السلام خرج بعد أن عرف أن حياته مهددة بالخطر، فكان يعلم جيداً أنَّ بني امية يترصدون به الدوائر و أنَّهم استأجروا من يقتله حتي لو كان متعلقاً باستار الكعبة، و لذا فانه فانه ثار للحفاظ علي حياته

ص: 302

1- لا يخفي ان السبب الرئيس في ثورة الحسين عليه السلام هو امتثال الأمر الالهي و دفع المخاطر عن الإسلام و التوحيد و الاصلاح في الامة، و كما ورد في زيارة الاربعين: «بذل مهجته فيك ليستتقذ عبادك من الجهالة و حيرة الضلالة» و اما بيان العلة السادسة فانما هو لكشف حقيقة ان الحسين عليه السلام حتي لو كانت حركته لعدم وجود أمان علي روجه في المدينة و مكة، فحركته مشروعة أيضاً بل هي دليل علي شجاعة و بطولة الحسين عليه السلام و ابائه و عزته.

الواجب شرعاً وعقلاً، ولتحاشي الاستسلام الذي يجزّهُ الي الذلة و حاشاه من الذّلة.

فان قيل: إنَّ هذا الخطر الذي توجه الي الحسين عليه السلام انما كان نتيجة عدم بيعته ليزيد، فلو انه بايع يزيد بن معاوية لكان آمناً؟!!

قلنا: لا شك في امتناع الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد، لكن هذا الامتناع والرفض لا يمكنه أن يرقى الي درجة تجويز قتله، إذ إنّ النظام الاسلامي يقتضي أخذ البيعة طوعاً، فالبيعة اختيارية لا بالاكراه خاصة اذا كان الشك والترديد قائماً حول شخصية الخليفة أو من نصّب نفسه خليفة المسلمين، وهذا مُسلّمٌ إلاّ عند اهل العامة و السنة خاصة في عصر بني امية و بني العباس، و مراحل الارهاب السياسي و الفكري و ازمنة القمع الثقافي المظلمة.

و لقد رأينا في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام و علي الرغم من إنّ خلافته كانت ثابتة بالنص و الاجماع، لكنه لم يتعرض باي اذي لاولئك الذين تخلفوا عن بيعته، بل حتي اولئك الذين اعلنوا صراحة عدم رغبتهم بالبيعة لاعدار واهية غير معقولة و لا مشروعة، و حتي اولئك الذين تخلفوا عن جهاد القاسطين و المارقين و الناكثين، لم يلزمهم علي عليه السلام الاشتراك في القتال، فكان الامتناع عن بيعته حقّ يحتفظ به المسلمون خاصة لوجود بعض الشبهات السياسية و الفكرية عندهم. (1)ء.

ص: 303

1- و من جملة المظالم التي ارتكبتها الحكام الذين جاءوا بعد وفاة النبي صلي الله عليه و آله مباشرة، هو أنهم أجبروا أمير المؤمنين و جمع من بني هاشم و الانصار الذين امتنعوا عن البيعة لابي بكر، علي البيعة مع ان الممتنعين عن البيعة لم يظهروا اي شكل من اشكال العداء للدولة، فكان همُّهم التريث و دراسة الأمر من كل جوانبه و حسب، مما حدي بالسلطة و جلاوزتها الي ارتكاب الجرائم الفضيعة في حقهم، و هتك حرمة بيوتهم و ترويع عوائلهم و كل ذلك غير جائز في قاموس الحكومة التي تدعي انها قامت علي اساس الشوري و احترام الاراء.

فلم يتتبعهم أمير المؤمنين عليه السلام مادام الإسلام و المسلمون في مأمن من مكرهم و غدرهم.

و من هنا وجدنا أنَّ الحسين عليه السلام كما جاء في بعض كتب المقاتل، كان قد اقترح علي بنى امية أن يتركوه يذهب الي احد ثغور المسلمين و يكون «له ما لهم و عليه ما عليهم»

اذن، فالتخلف عن البيعة في الفكر الاسلامي، لا يكون سبباً كافياً لتجويز إهراق الدم و اباحة مصادرة الاموال، و كان من حق الحسين عليه السلام أن يمتنع عن البيعة و خاصة:

1 - إنَّ محض الامتناع عن البيعة اذا لم يكن توأماً مع معارضة الحكومة و الخروج عليها، جائز و هو حق مسلّم للمسلمين خاصة مع الاعتقاد بعدم صلاحية المرشح للخلافة. نعم في عقيدة الشيعة إنَّ الإمام يعيّن و ينصب من قبل الله تعالى بنصّ النبي عليه، و إنَّ الامامة منصبٌ الهي و لذا لا يجوز التخلف عن بيعة الإمام المنصّب من قبله تعالى.

2 - إنَّ التخلف عن البيعة جائز لمن كان نفسه من أهل الحلّ و العقد و مراجع الامور، و إنَّ عدم بيعته يوجب عدم انعقاد الاجماع، و طبقاً لمذهب اهل السنة لا تكون الخلافة شرعية بدون بيعته، بل هي باطلة، ففرضها علي المسلمين يُعدُّ سلباً لحرية الرأي و قهراً للمسلمين كما إنَّ الامتناع عنها لا يُعدُّ تمرداً يستوجب العقاب.

3 - إنَّ البيعة المبتنية علي التطميع و التهيب و الوعد و الوعيد، تعتبر بيعة

لاغية باطلة، و المنتخب علي اساسها لا يمثل المجتمع تمثيلاً واقعياً، و من ثمَّ يجوز الخروج علي الحكومة القائمة علي مثل هذه البيعة. و لذلك كله، لو حاول عمّال الحكومة، التعرض للمسلمين لمجرد انهم امتنعوا عن البيعة للمرشح للخلافة، حقّ للمسلمين الثورة ضدّهم حفظاً لحياتهم و صوناً لدمائهم و أموالهم، كما يحق لهم تأليب الناس و دعوتهم الي مخالفة ذلك الحكم.

و اما البيعة ليزيد:

اولاً: لقد كان الحسين عليه السلام نفسه من اهل الحلّ و العقد و من رجالات الإسلام و من الصحابة فضلاً عن انه سبط رسول الله صلي الله عليه و آله و ريحانته و سيد شباب اهل الجنة، فاذا كان البناء في تعيين الخليفة علي المشورة و الرجوع الي آراء عموم المسلمين و اجماع اهل الحلّ و العقد، فالحسين عليه السلام هو أوّل من يكون لرأيه الأثر الكبير في مشروعية الانتخاب و شرعية الحكم، اذ مع كونه في ذلك المقام السامي الذي يعترف به جميع المسلمين حتي امثال الوليد بن عقبة و مروان بن الحكم و نفس معاوية، فيكون رأي الحسين عليه السلام مقدماً و محترماً و مؤثراً، كما إنّ توجه انظار عامة المسلمين الي رأي الحسين عليه السلام في البيعة، يجعل رأيه هو الميزان و المقياس في شرعية هذه البيعة و عدمها.

فامتناع الحسين عليه السلام عن البيعة مساوق لبطلانها و عدم شرعيتها و نتيجة ذلك عدم شرعية كل النظام الحاكم و الذي يسمي بالخلافة!!

و لو فرض أنّ ضغوطاً مورست علي مثل هذه الشخصية فاضطرت الي البيعة، لم يعد هناك أيّ مصداقية للاجماع و الشوري و تبقي فقط الفاظاً خاوية لا تحمل معانٍ سليمة و راءها.

و ثانياً: لو فرضنا - جدلاً - أنّ الإمام عليه السلام لم يكن من طبقة اهل الحلّ و العقد،

بل كان من عامة المسلمين، فمن قال إنَّ التخلّف عن البيعة يُبيح هتك حرّمته و التّعرض الي نساءه و اباحة اراقه دمه و حرق بيوته و نهب أمواله؟ اذ لو فرضنا صحة بيعة يزيد لم يكن ليزيد علي الحسين عليه السلام إلاّ عدم المخالفة و المعارضة، فلا يحق ليزيد و لبني اميّة هدر دم أيّ مسلم لمجرد الامتناع عن البيعة.

ناهيك عن إنّ بيعة يزيد و باتفاق كل التواريخ و المفكرين، كانت بيعة مستندة الي الاكراه و الجبر و الترغيب و التهيب، و إنّ أكثر من بايع يزيداً، بايعه تحت بوارق السيوف و الاسنة المشهورة المتهددة المرعبة.

و من بايع طيّعاً، فاولئك الذين انشدت ابصارهم الي المناصب و الامتيازات و الطامعين في جوائز معاوية و هداياه و عطاياه و المترلفين و المتملقين للحكم الاموي.

و لعمرى، كم صدّرف من اموال المسلمين و حقوق الفقراء و المعوزين لآخذ البيعة ليزيد؟! و كم من الدماء الزاكيات قد أريقت بلا ذنب؟ و ما أفضع الجرائم و الظلم الذي مورس لأخذ هذه البيعة المشنومة؟ و كم من الولايات قد جعلت سوماً للبيعة لامثال المغيرة بن شعبة و زياد ابن ابيه و عمرو بن العاص و غيرهم؟

إذن، لقد كان من حق الإمام الحسين عليه السلام و سائر اصحابه و الشخصيات الاسلامية أن تمتنع عن البيعة لثلاث تلوث و تتلخخ ايديها بدماء الابرياء، و تشترك في تلك المظالم، و لم يكن لأحدٍ حق الاعتراض علي المتخلفين و الزامهم بها، فنفس امتناع هؤلاء، خير دليل علي جواز التمرد و الامتناع عن البيعة اذ ان امتناع هؤلاء يُعدُّ امتناعاً لاهل الحلّ و العقد، فتكون البيعة باطلة، مضافاً الي إنّ الجميع كانوا يعتقدون بعدم اهلية يزيد للخلافة و عليه تكون بيعته محرّمة شرعاً.

و بعد كل هذه الادلة علي جواز التخلّف عن البيعة، نعود الي أصل الموضوع

و هو الخطر المتوجه الي حياة الحسين عليه السلام و عدم الأمن له، فانه علّة واضحة و مقنعة لجواز نهوضه و ثورته للدفاع عن حياته.

وقد نقلت كل التواريخ الاسلامية إنّ حياة الحسين عليه السلام كانت في خطر و انه لم يأمن علي حياته من كيد بني اميّة و حكومة يزيد و كانوا يترصدونه لقتله سواء بايع أو لم يبايع.

و واضح إنّ اسلوب حكومة بني اميّة و يزيد كان بحيث لا يمكن الاطمئنان حتي بوعودهم، فما اكثر من قتله بنو اميّة من زعامات المسلمين لمجرد سوابقهم الجهادية و الرسالية، مع انهم كانوا جلساء بيوتهم و لم يكن لهم أيّ نشاط معادٍ للدولة الاموية.

و لم يكن بنو اميّة ممن يرعون حرمة العهود و المواثيق، و لم يكن لهم إلّ و لا ذمة و لا حرمة للامان في قاموسهم، فهم الذين قتلوا سعد بن ابي وقاص، و هم الذين قتلوا عبدالرحمن بن خالد علي يد ابن أثال المسيحي، مع أنّ ابن خالد كان اموي الهوي و الميول تخوفاً من معارضته لتنصيب يزيد علي الحكم، و ولّوا قاتله المسيحي و لاية حمص مكافأة له علي قتله!! ضاربين بعرض الجدار قوله تعالى: «ما جعل الله للمشركين علي المؤمنين سبيلاً» و معاوية و بنو اميّة هم الذين اغتالوا سبط رسول الله صلي الله عليه و آله الحسن بن علي بافضع اساليب القتل تخوفاً من معارضته لبيعة يزيد، لان معاوية كان قد تعهد في معاهدة الصلح ان لا يرشح احداً للخلافة من بعده و أنّ الخلافة تكون للإمام الحسن عليه السلام. فاراد معاوية أن يزيل هذه العقبة من طريق يزيد.

و عندما أراد معاوية استخلاف ابنه يزيد استشار بعض السياسيين فلم يجد الموافق علي ذلك حيث اعترض عليه أمثال الأحنف ابن قيس بان يزيد لا يقاس بأمثال الحسن و الحسين و أن محبوبة الحسن عليه السلام في قلوب المسلمين قد تفوق محبوبة

أبيه علي بن أبي طالب. فاستخلاف صبي نزق مشهور باللعب و الطرب و شرب الخمر كيزيد يعدّ خيانة للمسلمين.

إنّ معاوية و بني اميه استخفوا بكل الشروط و المواثيق التي قطعوها علي انفسهم في معاهدة الصلح مع الامام الحسن عليه السلام فلم يكن حبر المعاهدة قد جف بعد حتي خطب معاوية في الكوفة قائلاً:

يا أهل الكوفة أتراني قاتلتكم علي الصلاة و الزكاة و الحج و قد علمت انكم تصلّون و تزكون و تحجّون، و لكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم و علي رقابكم و قد آتاني الله ذلك و انتم كارهون. إلا إنّ كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلول و كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين.

هكذا (كل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين) و الله يقول: و أفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولاً. (1)

فهؤلاء هم الذين أمّنوا مسلم بن عقيل عليه السلام و لم يفوا بامانهم له و قتلوه بتلك الوحشية. و لذا فان الإمام الحسين عليه السلام قال لقيس بن الأشعث يوم عاشوراء: «انت أخو اخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم باكثر من دم مسلم» جواباً له حينما قال له قيس: انزل علي حكم بني عمّك فانك لا- تري منهم إلا ما تحب!!» (2) فكيف يطمئن الحسين عليه السلام الي امان هؤلاء الاوغاد الذين عجنّت طينتهم بالغدر و الختل، فان ذلك محال في حق عامة الناس فكيف بالحسين عليه السلام المطلع الضليع باحوال و اخلاقيات بني امية و مكرهم و غدرهم و فسقهم، و هو العالم بعلمه.

ص: 308

1- العدالة الإجتماعية ص 199.

2- الحسن و الحسين سبطا رسول الله ص 110.

اذن، فحتي لو كان الحسين عليه السلام قد بايع يزيد، لم يكن يأمن علي حياته، لخطورة موقعه في الامة و شرف مقامه في قلوب المسلمين و لانه مظهر الايمان و مجسد الإسلام الذي اراد بنو امية محوه و طمس معالمه و آثاره.

و لكي نقف علي حقيقة المخاطر التي كانت تهدد حياة و امن الحسين عليه السلام و انه لم يكن امامه سوي الخروج و الدفاع عن نفسه، يكفي قراءة ما قاله الحسين عليه السلام لكبار الصحابة في المدينة و مكة، فلا أحد اعرف بحقيقة الأمر من الحسين عليه السلام نفسه، فالدفاع و الثورة كان تكليفاً شعر به الحسين عليه السلام و اما احراز الموضوع و الشرائط فالحسين عليه السلام اعرف بها، فكان الحسين عليه السلام يصرح بانّ بني امية قد صمموا علي قتله، و لم يكن من الصحابة إلاّ تصديق الحسين عليه السلام بذلك لان حقائق الامور كانت واضحة جلية، و من جملة مقولاته عليه السلام قوله لابن الزبير في مكة:

«وأيُّمُ الله لو كُنْتُ في حُجْرِ هَامَّةٍ من هذه الهوامِّ لاسْتَخْرَجُونِي حَتَّى يَقْضُوا بِي حَاجَتَهُمْ، و اللهُ لِيَعْتَدَنَّ عَلَيَّ كَمَا إِعْتَدَتِ الْيَهُودُ فِي السَّبْتِ.» (1)

يقول صاحب الدرر النظيم: روي جعفر بن سليمان قال: حدثني يزيد الركسي قال: حديثني من شافة الحسين عليه السلام بهذا الكلام قال: حججت فأخذت ناحية من الطريق اتعسف الطريق فدفعت الي ابنية و اخبية فاتيت أدناها فسطاطاً فقلت: لمن هذه الاخبية؟ فقالوا: للحسين بن علي. فقلت: ابن فاطمة بنت رسول الله؟ فقالوا: نعم. قلت: في أيها هو؟ فأشاروا الي فسطاط. فاتيت الفسطاط فإذا هو قاعد عند عمود الفسطاط و اذا بين يديه كتب كثيرة يقرأها فسلمت عليه فقلت: 6.

ص: 309

بأبي أنت وامي ما أجلسك في هذا الموضوع الذي ليس فيه أنيس ولا منفعة؟ قال: انَّ هؤلاء (يعني السلطان) أخافوني وهذه كتب اهل الكوفة اليّ وهم قاتليّ. فاذا فعلوا ذلك لم يتركوا لله حرمةً إلاّ انتهكوها. فسلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يتركهم اذلّ من قرم الأمه (قال جعفر: فسألّ الاصمعي عن ذلك فقال: هي خرقة الحيض التي تلقيها النساء وقد فعل الله ذلك بأهل الكوفة حين خذلوا الحسين عليه السلام و أسلموه حتى قُتل فسَلّط الله عليهم الحجاج فأذلّهم وأهانهم.(1) وقال له ابو هرة الازدي لماذا تركت حرم الله و حرم جدّك؟

فاخبره الامام عليه السلام بأن بني اميه أخذوا امواله فصبر و جرّعه الغصص و صبر و هم الآن يريدون قتله و اهراق دمه و انتهاك حرمة البيت و إنه لن يصبر علي ذلك.(2) و امثال هذه الكلمات التي تدل علي احساس الإمام الحسين بالخطر الجدّي المتوجه الي حياته و الي هتك حرمة المدينة و مكة المعظمة، كثيرة و قد وردت في عدة مناسبات علي لسانه عليه السلام و هي مدونة في كتب التاريخ.(3).

بين الحكومة و السياسة

قد يقال: لما كان هدف الحسين عليه السلام هو اقامة حكومة اسلامية و اسقاط حكومة يزيد، فهذا يعني انه ثار لاغراض سياسيّة أيضاً، اذ كيف نفسر قبوله لدعوة

ص: 310

1- نظم درر السمطين ص 214. القمقام الزخار ص 345.

2- القمقام الزخار ص 347.

3- راجع تاريخ الطبري ج 4 ص 269 و ص 289. تذكرة الخواص ص 251. الكامل ص 276. مقتل الخوارزمي ص 219.

اهل الكوفة بقلب الحكم؟ ولماذا ارسل ابن عمّه مسلم بن عقيل اليهم؟

الجواب:

اولاً: إنّ الثورة لتشكيل حكم قائم علي اساس العدالة الاسلامية و ضمان حسن تنفيذ احكام الدين و القوانين الاجتماعية و الاقتصادية و العمل بكتاب الله المجيد و اصلاح المجتمع و الامة، إذا كان من مثل الحسين عليه السلام فانه عين السياسة الرسالية بمفهومها السليم و المعقول و الواقعي، ففرقٌ بين هذا النمط من السياسة و بين سياسة الاحتيال و الفتن و الغدر و المكر و الكذب، تلك السياسة التي يقصد منها الاعداء التفرد بالسلطة و الحكم و استعباد الناس و لا مجال للمقايسة بينهما.

فالساسة الهادفة الي ارساء قواعد حكومة إيمانية تحفظ حقوق كافة افراد المجتمع و تؤمن لهم الحريات و المساواة، لهي سياسة الهية و الحكومة المنبثقة عنها هي حكومة الهية شأنها شأن حكومة النبي صلي الله عليه و آله.

و أمّا السياسة المعروفة في عصرنا الحاضر و التي تعني السعي للسلطة من اجل التسلط علي رقاب الناس و نهب خيراتهم و استغلالهم، فواضح بطلانها و قبورها.

إنّ السياسة السليمة هي سياسة علي عليه السلام، فهل تقارن سياسة علي سياسة معاوية؟! فكلاهما كان يحارب، و كان لكليهما جيش، لكن اين الثري من الثريا؟

لقد كان علي عليه السلام يجاهد لكي تكون «كلمة الله هي العليا» و يقاتل لتحكيم أحكام الله علي الجميع، و ليقوم العدل و المساواة و الحرية.

و اما معاوية فكان يقاتل - كما كشف هو عن نواياه مراراً من اجل السيطرة و الهيمنة علي مقدرات الامة الاسلامية و من اجل السلطان و الجاه و التسلط علي الناس و اموالهم و ارواحهم و ناموسهم، و ليدير الامور كما يحلو له لا كما يريد الله و

ص: 311

اذن، إن كان المراد من السياسة، سياسة معاوية وعمرو بن العاص ويزيد، فهي سياسة مذمومة منكرة، والخوض فيها محرّم وممارستها ممنوعة لسوق العبد الي هاوية جهنم، وإن كان المقصود منها سياسة النبي صلي الله عليه وآله ومنهجه في تشكيل الحكم، و سياسة علي عليه السلام، فانها من اعلي مراتب صفات الكمال الانساني.

فاشترك الامة ونظارتها علي ادارة الحكم وتنفيذ المقررات و اجراء العدالة والنظم الصحيحة، وصياغة مجتمع مترقٍ وتشكيل حكومة صالحة تتوزع فيها المسؤوليات بعدل وكفاءة، يعدُّ من أولويات المنهج الاسلامي الراقى، ولم تكن مثل هذه السياسة منفصلةً يوماً ما أبداً عن الدين، وما يشاع علي بعض الالسن الجاهلة والمعرضة من «ضرورة فصل الدين عن السياسة» انما هو مبتغي الاستعمار واعداء الإسلام الذين يسعون الي تجزئة الإسلام واضعافه وحصره في دائرة التعبد والطقوس الفارغة من المحتوي والمعني، والذين يحاولون الحدّ من وحدة المسلمين و اعادة هيبّة الدولة الإسلامية وعظمة الإسلام، و تطبيق الاحكام الاسلامية، و ابدالها بقوانين الغرب والشرق الكافرة و ترويج الاخلاق الفاسدة المنحرفة بين المسلمين.

فلو أنّ مسلماً ظن أن حدود الإسلام تنتهي بالطقوس والمراسم الروحية والمعنوية، وينكر اهلية الإسلام لخوض الادارة والاعمار و القضاء والحرب والسلم - مطابقاً للموازين الشرعية المقررة في الفقه فهو ليس بمسلم بل يُحكم بكفره لانكاره ضرورة من ضروريات الدين.

إنّ الاعتقاد بان الإسلام شاملٌ لكل مسائل الحياة الاجتماعية والفردية وانه دينٌ وعقيدة ووطن و حكومة وقانون وروحانية و سياسة و صلحٌ و حربٌ و انه

ليس منفصلاً عن اي جانب من جوانب الحياة، هذا الاعتقاد يجب ترسيخه في النفوس و افهامه لكل مسلمي العالم.

فعلي كل مسلم (و خاصة كوادر المجتمع الاسلامي) أن يلتفت الي وجوب رعاية تقدم الإسلام و اجراء الاحكام و عزة المسلمين، في كل حركاته و سكناته، في سكوته و نطقه و فعله و لفظه.

و بناءً علي هذا، فلا شكّ في أنّ تشكيل حكومة اسلامية في الظرف الذي عاصره الحسين عليه السلام و استلام زمام امور الدولة الاسلامية و اجراء احكام الشريعة كان يمكن ان يتحقق من خلال اسقاط حكومة جائرة كحكومة يزيد، و لو ان شخصية كالإمام الحسين عليه السلام و هو امام منصوب علي امامته و يتمتع بكفاءة في اعلي مراتبها و ذو صلاحية و صلاح متفق عليه من قبل كل المسلمين، قامت بتشكيل حكومة اسلامية، لكانت تلك الحكومة قادرة علي القضاء علي كل المفاسد الاجتماعية و السياسية الموجودة في ذلك الوقت، و لارجعت الإسلام الي مسيره الاصيل و تقدمت بالمجتمع الإسلام خطوات سريعة و راسخة الي التطور و الرقي.

اذن، في حالة استجابة الناس و تفاعلهم مع دعوة الحسين عليه السلام و نصرتهم له، تكون ازاحة يزيد و تشكيل حكومة اسلامية، واجبٌ شرعي مقدسي، و ان هذا الهدف و الغرض لا يُعَرِّي الثورة من حقيقتها و خلوصها و نزاهتها و اسلاميتها و كونها ثورة اصلاحية، و لا يتهمها بالانانية و السلطوية و الفئوية.

فهذا الاصل، اي أصل تاسيس حكومة اسلامية في حالة اشتراك عامة المسلمين كان يستحق من الحسين عليه السلام أن يثور من اجله و لعلّه كان اقرب الطرق الي تحقيق اهداف الحسين عليه السلام، و لكن و لان الحسين عليه السلام كان يعلم بعلم الامامة و من خلال الظروف و الاحوال السياسية و الاجتماعية المحيطة به، ان الاستجابة من

الناس لدعوته ستكون ضعيفة، لذلك قرر ايصال صوته عن خلال مظلوميته و ردة فعل المصائب التي سيتحملها علي المجتمع، فاراد ان يوقظ ضمير الأمة السابت من خلال توضيحاته و فدائه و مظلوميته و مظلومية اهل بيته و اصحابه.

و ثانياً: إن الاستجابة لدعوة اهل الكوفة و ارسال مسلم بن عقيل اليهم انما كانت بعد موت معاوية و استخلافه ليزيد المعروف بفسقه و انحرافه و فجوره، و كان الاحرار من المسلمين في حيرة و ضياع و لم يتحملوا فضاغة عواقب هذه البيعة القهرية، و كان العالم الاسلامي بنظر الناس (إلا من شدّ من مرتزة الحكم الاموي و المنتفعين و الانتهازيين) بلا خليفة و امام، اذ ان وجهة نظر اتباع اهل البيت عليهم السلام هو ان الإمام الحسين عليه السلام امام قد نُصَّ علي امامته من قبل النبي الاكرم صلي الله عليه و آله و من وجهة نظر غيرهم فان حكم يزيد لم يكن مشروعاً، اذ إن استخلافه من قبل معاوية لم يكن مبتنياً علي رعاية مصلحة المسلمين، كما ان اهل الحلّ و العقد لم يعضوا هذا الاستخلاف مع إن رأبهم كان ميزاناً و مقياساً يُرجع اليه في مثل هذه الحالات، و اما من بايع يزيد منهم فبين ساكت عن الحق خوفاً من سيوف امثال زياد بن ابيه و مسرف بن عقبة، و بين طامع طمعاً بالجوائز و الهبات و الاموال و المناصب، فقد احسّ معاوية الامتعاض من بيته قبل ان يحسّه من الغرباء عنه، و حتي مروان بن الحكم - و هو اقرب الاقرباء الي معاوية - حيث بلغته دعوة العهد ليزيد اشتدت نغمته و خالف تلك البيعة و كتب الي معاوية «أن قومك قد أبوا اجابتك الي بيعتك» فعزله معاوية عن ولاية المدينة و ترصّاه ما استطاع و جعل له الف دينار كل شهر و مائة دينار لمن كان معه من اهل بيته. (1)0.

ص: 314

و بنحو عام، كان عامة الناس (إلا من تخوف من حدّ السيف أو الذين استهوتهم اموال معاوية) ناقلين علي هذه البيعة، وغير مقتنعين بوجوب الطاعة و حرمة الخروج علي يزيد.

و من جهة اخري فلقد كان الحسين عليه السلام ابرز شخصية عرفها المسلمون توفرت فيها كل الكفاءات و المؤهلات للخلافة و قيادة الامة، فلقد كانت الانظار متجهة اليه و الاعناق ممتدة نحوه لتأسيس حكومة شرعية و لقيادة الامة و هدايتها، فلو امتنع الحسين عليه السلام عن أخذ حقه الذي يعترف له به الجميع، و لو انه رضي بذلك الوضع المؤسف و الاضطراب الاجتماعي و السياسي و قبل بذلك الفراغ الاداري، لأعطي الحجة للجميع في سكوتهم و خنوعهم و لا ضفي مشروعية علي حكم يزيد و شهادة منه له أنه نعم الخليفة المامول.

اذن، ما كان ينبغي علي الحسين عليه السلام فعله أولاً هو الامتناع عن البيعة و فسح المجال للمسلمين للاقدام علي انتخاب الحكومة الاسلامية و اتمام الحجة عليهم، و في المرحلة الثانية أن يدعوهم الي بيعته هو لتشكيل الحكومة الاسلامية.

ولذلك، قبل الحسين عليه السلام دعوة اهل الكوفة بعد أن توالى كتبهم و رسلهم اليه تدعوه الي تولي الامور بنفسه و اظهروا الاقياد و الانصياع لاوامره و اعلنوا الطاعة و الاستعداد للفداء و التضحية للخلاص من الضياع الذي تركه فراغ السلطة، و كانهم بذلك قد القوا الحجة عليه و اتموها، مما دعي الحسين عليه السلام الي الاستجابة و ارسال ابن عمه مسلم بن عقيل لتقصي الحقائق و دراسة الامور.

و من الواضح، انّ كل هذا الاصرار و اعلان الاستعداد من قبل اهل العراق كان فرصة تاريخية لاعادة الامور الي مجاريها و اصلاح ما فسد منها، مما اضطر الحسين عليه السلام الي العزم علي الخروج الي العراق فلو لم يستجب الحسين عليه السلام لتلك

الصرخات والاستغاثات، لترك الناس في حيرة وضياع، فلم يكن للحسين أن يمتنع عن الاجابة مع كل تلك التأكيدات من قبلهم، ولم يكن له ان يستند الي خذلانهم لايه و اخيه في مرحلة سابقة اختلفت فيها الظروف و الاوضاع عن مرحلته.

ولم يكن بمقدور الحسين عليه السلام أن يطلب من أهل الكوفة - كما اقترح البعض أن يطردوا حاكمها و يسيطروا علي ادارة البلد، ثم يسير اليهم!! فان الحسين عليه السلام كان يعلم بان اهل الكوفة سيوقولون له: إنَّ كل حركة و ثورة و نهضة تحتاج الي قائد ميداني و إلاَّ فشلت تلك الحركة، مضافاً الي انه لم يكن من شيم الحسين عليه السلام أن يطلب منهم الثورة و القتال و التضحية و الفداء، حتي ياتي هو و يحكم علي انقراض اجسادهم!! فان كل ذلك كان يُعدُّ عرفاً، تهرباً من الجهاد و الوظيفة الرسالية.

لقد كان لسان حال اهل الكوفة و الذين كتبوا للحسين عليه السلام: «إننا بلا امام و بلا قائد و إنَّ العالم الاسلامي في حيرة و ضياع، و إنَّ الاخطار تحدق بالامة الاسلامية بعد استخلاف يزيد» و وضعوه امام المسؤولية الشرعية.

فكان علي الحسين عليه السلام أن يستجيب حتي لو كانوا من اهل السوابق في الخدع و الخذلان، و كان الإمام الحسين عليه السلام يقول كما ورد في بعض كتب المقاتل: «مَنْ خَادَعَنَا فِي اللَّهِ إِنْخَدَعْنَا لَهُ»

إنَّ استجابة الحسين عليه السلام لدعوة اهل الكوفة و تشكيل الحكم الاسلامي و ارسال مسلم بن عقيل، لم يكن من نوع السياسة المذمومة و بمعني طلب الزعامة و السلطة، بل هو من نوع الامثال للتكليف الشرعي و السياسة المحمدية الاصلية الصحيحة.

ولذا، و مع أنَّ الحسين عليه السلام، و بعلمه الخاص كان متيقناً من النتيجة، استجاب

لاهل الكوفة لالقاء الحجة عليهم، فارسل مسلم بن عقيل.

وجاء مسلم الي الكوفة، جاء ولم يحمل معه الهدايا و الجوائز و الرشا الي رؤساء قبائلها وزعمائهم(1)، و لم يعد احداً بوزارة أو امانة أو ولاية، و لم يتهدد احداً بقتل أو تشريد أو سجن، بل بدأ نشاطه في جو من الحرية و الاختيارية، و كما نعلم فانه استقبل بحفاوة و تكريم يكشفان عن تلك الاحاسيس و العواطف الجياشة التي عبّروا عنها في كتبهم الي الإمام الحسين عليه السلام و عن تفألهم بقدمه، و نفرتهم الشديدة من بني امية هذا و قد بايعه اكثر من ثمانية عشر الفاً منهم و في بعض التواريخ إنَّ العدد وصل الي ستين الفاً، باختيار و رغبة و شوق، فصارت قيادة الإمام الحسين عليه السلام رسمية شرعية، اذ لم يبايع اهل الحلّ و العقد إحدأً غير الحسين عليه السلام ناهيك عن عامة المسلمين، و حتي علي مقياس من يري البيعة بالاجماع، صارت البيعة للحسين عليه السلام شرعية و اصبح هو الخليفة الشرعي، فلقد كانت بيعة واقعية اختيارية بكل ما للكلمة من معني.

ولكن و للاسف الشديد، كان حبُّ الدنيا و المال و الذهب من جهة، و الخوف من الفداء و التضحية من جهة اخري، قد أخذ ماخذهما من نفوس الناس، فعاقهم ذلك عن الصمود ساعة الشدة و الامتحان، فابتلوا بخيانة العهدو نكث البيعة و الخذلان مما اورثهم ذلاً و عاراً يصعب التخلص منه علي مدي الاجيال.

و من الطبيعي، ان ما قام به الحسين عليه السلام من استجابة لدعوة المستغيثين و الملهوفين كما جاء في كتبهم و علي لسان رسلهم اليه، و ارسال مسلم اليهم ثم).

ص: 317

1- كان مسلم بن العقيل قد اقترض مبلغ 700 درهم لمخارجه الخاصة، و قد أوصي عنداستشهاده بدفعها من ثمن سيفه و لامته (ابو الشهداء ص 146).

خروجه بنفسه علي العراق، انما كان بحسب الظاهر لتشكيل حكومة اسلامية و اغائة المستغيثين، ولكن لما كان واقع الامر و باطن الحقيقة معلوماً للحسين عليه السلام و لانه كان ينفذ ما نفذه الانبياء و الاولياء، قَبِلَ دعوتهم و اتمَّ الحُجَّةَ عليهم، عملاً بمفاد الآية الشريفة: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا» بالضبط كفاءة دعوة الانبياء «لئلا يكون للناسِ علي الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» كذلك كانت فائدة ثورة الحسين عليه السلام و استجابته، لئلا يكون للناس حجة يوم القيامة علي الله و علي الإمام.

لقد اثبت خذلان اهل الكوفة و أحداثها أنَّ تشكيل حكومة اسلامية غير متيسرٍ في ذلك الظرف، و انَّ طريق دفع المخاطر عن الإسلام ينحصر في الامتناع عن البيعة و بالتسليم و الاستقامة و الاعداد لثورة فكرية عقائدية، و بتهييج المشاعر، و التضحيات من اجل افشاء مخططات بني امية.

و الحاصل: إنَّ الجواب علي ذلك هو أنَّ يقال: إنَّ حفظ الإسلام كان منحصرأً في أحد طريقتين:

الاول: تشكيل حكومة اسلامية عادلة و اسقاط حكومة بني امية و يزيد.

الثاني: التضحية في طريق الامتناع عن البيعة و الاستسلام، و خوض طريق الشهادة و المظلومية.

ولمّا لم يمكن سلوك الطريق الاول لعدم وفاء الناس و خذلانهم، اختار الإمام عليه السلام و منذ البداية الطريق الثاني، مستفيداً من المشتركات بين الطريقتين مادام خذلان الناس له لم يصل الي العلن و التحقق.

اذن، فتشكيل الحكومة الاسلامية، و إن كان هدفاً مقدساً و طلبه لا يُخَلُّ بمقام الحسين عليه السلام و قداسته بل كان عين الصواب و الحق، لكن و لان الحسين عليه السلام كان يعلم منذ البداية بعدم تحققه، لا يمكننا أن نقول بان تشكيل الحكومة كان من جملة اسباب

دفع توهم

إنَّ من يطالع تاريخ الثورة الحسينية يجذب بشدة الي روح الفداء و طلب الحق الذي جسَّده الإمام الحسين عليه السلام و لا يشكُّ احدٌ أبداً في نزاهة الثورة و تجرُّدها من المكاسب الدنيوية، بل سيتضح جلياً له أنَّ الحسين عليه السلام الذي ضحَّى بنفسه و اولاده و أصحابه، إنما ثار من أجل تصحيح القيم و اصلاح الامة.

و قد عجز كل من حاول المساس بقدسية هذه النهضة، من أعداء الإسلام و أعداء اهل بيت النبي صلي الله عليه و آله و من اولئك المتكبرين للحق، و اذئاب المستعمرين و بعض المستشرقين و المأجورين مثل «لامنس» الذين دافعوا مستميتين عن بني امية و يزيد، سعياً منهم لاضلال و استغلال البسطاء من عامة الناس و السذج و الهامشيين، مفترين علي قائد هذه النهضة للانتقاص من شخصيته الرسالية الفريدة.

و لا-ريب في فشلهم و عجزهم ذلك، اذ انَّ سلاح الافتراء و التهم اذا كان قاطعاً في بعض الموارد، فانه كالُّ في هذا المورد بالذات، بعد وضوح تضحيات الحسين عليه السلام الخاصة التي كشفت علي الحقائق و دفعت كل إبهام و خلل محتمل.

و لقد وصل الحسين عليه السلام الي درجة من الكمال عجز معها حتي بنو امية من التجاسر قط علي المساس بورعه و تقواه و رعايته لاحكام الدين في اصغر صغيرة يباشرها المرء سرّاً و علانية و حاولوا أن يعيبوه بشئ غير خروجه علي دولتهم فقصرت السنتم و السنة الصنائع و الا-جاء دون ذلك، فاضطر كلُّ منهم الي التبري من عار و شنار قتله الفجيع و انكار مشاركته في ذلك، و كان كلُّ منهم يُلقي باللائمة علي غيره، و لكنهم لم يفلحوا في اقناع الامة الإسلامية ببراءتهم.

و حاول بعض المؤرخين و ضعاف الفهم و لاغراضٍ خبيثة ان يقلل من أهمية هذه النهضة و قداستها، و من جملة هؤلاء و لعله الوحيد من القدماء في إنحرافه الفكري و الضلال هو ابوبكر بن العربي الذي ينسب اليه قول:

«إِنَّ حُسَيْنًا قُتِلَ بِسَيْفِ جَدِّهِ»(1)

و هذا القول، و إن كان ظاهراً في الدفاع عن قتلة الحسين عليه السلام الذين ارتكبوا - باجماع الامة أفضع الجرائم و الجنایات و اشتروا غضب الله و الرسول و الشقاء في الدنيا و الآخرة و خسرانهما، و لكن ما هو وراء هذا الدفاع أعظم ألا و هو اساءة الأدب و التجاسر علي مقام النبي الاكرم صلي الله عليه و آله الشامخ.

لقد ظن ابن العربي ان سيف الرسالة و النبوة، هو سيفُ الضحاك و جنكيز خان، و قد قُتل الحسين عليه السلام به!!

إن ابن العربي يريد أن يقول: إنَّ سيف الظلم و الجور الذي كان بيد بني امية، هو سيف النبي صلي الله عليه و آله!!

انه يقول: إنَّ السيف الذي شهره معاوية و اراق به دماء الابرياء و اجلَّة الصحابة و التابعين هو سيف النبي صلي الله عليه و آله!!

انه يقول: إنَّ السيف الذي قُتل به عمّار بن ياسر و أويس القرني و خزيمة و ابن التيهان و حجر بن عدي و سائر شهداء مرج راهط، و رشيد الهجري و ميثم التمار، هو سيف رسول الله صلي الله عليه و آله!!

إنَّ ابن العربي يقول: إنَّ السيف الذي قام بمذبحة المدينة في الحرّة و اراق دماء الصحابة في حرم النبي صلي الله عليه و آله و هتك المقدسات الإسلامية و تعرض لنواميس المسلمين 1.

ص: 320

1- سمو المعني ص 71.

وأعراضهم العفيفة، هو سيف النبي!!

فهو يقول: إنَّ السيف الذي كان بيد يزيد و ابن زياد و مسلم بن عقبة و بسر ابن ارطاة و الحصين بن النمير و الحجاج بن يوسف و الوليد و امثالهم من الجلاّدين و القتلة، هو سيف محمد بن عبد الله صلي الله عليه و آله!!

«لا حولَ و لا قوّة إلاّ بالله و إنّنا لله و إنّا اليه راجعون»

و يحق لنا ان نبكي بدل الدموع دما علي مثل هذه البليّة حين يكون في المسلمين مثل ابن العربي الذي يصل به العداء للنبي و اهل بيته الي هذا الحدّ.

فهل هناك تجاسر و اهانة و شتيمة للنبي و الإسلام أكبر من جسارة ابن العربي؟!

لا، يا ابن العربي! إنّ الحسين عليه السلام و اصحابه و اهل بيته و كل من هبّ لنصرة الحق و الدين، لم يقتل بسيف رسول الله صلي الله عليه و آله.

إنّ الحسين عليه السلام قُتل بسيف عتبة و شيبة و الوليد و المشركين الذين حاربوا الإسلام.

لقد قُتل الحسين عليه السلام بسيف الكفر و الجاهلية، بسيف ابي سفيان و ابنائه، ذلك السيف الذي شهر في بدر و احدٍ و الاحزاب ضد المسلمين، إن السيف الذي قتل الحسين عليه السلام هو نفس السيف الذي قتل حمزة عمّ النبي الاكرم صلي الله عليه و آله، انه سيف معاوية و عمرو بن العاص و مروان الطريد، إنّ السيف الذي قتل الحسين عليه السلام هو سيفكم أيّها الكتاب المتملقون المتلونون.

و أحدُ هذه الاقلام الخبيثة المغرضة هو محمد خضري بيك صاحب كتاب «محاضرات تاريخ الامم الاسلامية» الذي خان الإسلام في كتابه المشؤوم هذا.

هذا الرجل الناصبي المستميت في الدفاع عن بني امية عامة و معاوية و يزيد

خاصة، يعتبر ثورة الحسين عليه السلام تطرفاً وإنتحاراً سياسياً، وبعيدة عن الحزم وبعُد النظر، و انخداعاً بالعراقيين!!

ويستمر هذا الكاتب بتسطير جملات الاعتراض و الانتقاد لثورة الحسين عليه السلام بدلاً من توبيخ و محاسبة بني امية و خاصة معاوية الذي تسبب في فرقة المسلمين و اختلافهم، و الذي خرج علي خليفة زمانه الحق، و استخلف ولده يزيد الفسق و المجون، متبعاً طريقة كسروية قيصرية في ولاية العهد!!

و لیت خضري بيك سكت و لم يوبخ، و انما نراه يحمل بشدة علي النهضة الحسينية ضد يزيد.

و في خاتمة مقاله يتخبط و يقول: لقد ثار الحسين علي يزيد قبل أن يصدر عنه أي ظلم و جور!!

و نقول لهذا المتملق: إن مثل الحسين عليه السلام الذي عرف المسلمون و العالم الاسلامي كلّه، فضائله و مناقبه من خلال ما وصلهم من اخبار و احاديث متواترة عن النبي صلي الله عليه و آله، يكون احتمال خطأ معدوماً تماماً، كما ان صوابه و سلامة موقفه، هو المرتكز الراسخ في الفكر العام عند المسلمين، و في زمننا المعاصر، أطبق العقلاء و رؤاد المجتمع العالمي علي ضرورة مقارعة الظلم و الجور و الاستغلال و الاستعباد، و إن حياة و بقاء الامم مرتهن بمقاومتها للظالمين، و ان طريق الحسين عليه السلام و نهجه هو الطريق الأصح فهم يعتبرونه عليه السلام امام الاحرار و سيد المضحّين في سبيل خلاص و انقاذ البشرية و الداعين الي الاستقلال و الحرية و الاصلاح، و لا يعتني احدٌ بسفستائية الخضري الناصبي، بل يلعنون امثاله من الكتّاب الذين يروجون الهراء.

و رغم ذلك، و مع أنّ الاستاذ محمد رضا رشيد قد ردّ في كتاب «الحسن و الحسين سبطا رسول الله» علي «خضري بيك»، لكننا سنجيب علي تخرصاته ببعض

1 - انه خضري بيك، ظنَّ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام خرج من اجل السلطان و اعتبر إنَّ عدم تحقق هذا الهدف المزعوم، دليلٌ علي قلة الحزم و التخطيط، و عدم اعداد العدة و العدد، و لذا اعتبر حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة افراطية متسرعة غير مدروسة.

ولكن و كما اشرفنا مراراً؛ إنَّ ثورة الحسين عليه السلام بشهادة أرباب القلم الحرِّ و مفكري العالم الاسلامي، لم تكن حركة سياسية محضنة من اجل السلطان و الزعامة، و قد كان الحسين عليه السلام مطلعاً علي عواقب حركته و خواتمها، و كان قد أطلع الاخرين علي تلك الخاتمة، فالحسين عليه السلام كان يري أن واجبه الشرعي يدعوه للخروج و الثورة و إن البيعة ليزيد محرمة و إن التخلف عنها واجبٌ مقدمي و إن كلفه حياته.

فالامام الحسين عليه السلام هو الشخصية الاولي في الامة الاسلامية، و كان يتمتع بكل مؤهلات زعامة و امامة الأمة، فهو من بيت النبوة و الرسالة، و هو العارف بصلاح الامة و الحريص علي مستقبلها، فكيف يرضي باستخلاف شاب فاسق و جاهلٍ متجاهر بالاثم و المعاصي؟ و اذا وجب الامرُ بالمعروف و النهي عن المنكر، كان الحسين أولي من غيره بالقيام بهما، و أوّل من يجب عليه العمل علي محو الفساد و الظلم من المجتمع الاسلامي حتي لو كلفه ذلك غالياً.

فمن اولي من الحسين عليه السلام بالجهد و الفداء في سبيل الحفاظ علي الدين و الدفاع عن الشرع؟

و الحسين عليه السلام كان يري التضحية و الشهادة واجبةً في طريق اقامة الحق و احيائه و اماتة الباطل و ازهاقه، و لذلك قال:

«لا اري الموت إلا سعادةً ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً»

وقال عليه السلام:

«لا أُجيبُ ابن زيادٍ فَهَلْ هُوَ إِلَّا المَوْتُ فَمَرَحِباً بِهِ»

لقد أخذ الخضري بيك من جهة مقايسته ما بين ثورة الحسين عليه السلام وبين حركات السياسيين الطامعين بالزعامة و الملك، فاعتبرها انتحاراً سياسياً، و حركةً عشوائية متسرعة، مع إننا أوضحنا في الفصل الاول لهذا القسم من الكتاب، ان ثورة الحسين عليه السلام كانت امراً إلهياً، و اداءً للتكليف الشرعي، و مأمورية سماوية، لا تُقاس إلا بحركات و نهضات الانبياء و الاولياء، التي لا تستند الي القوة المادية و الظاهرية.

لقد قام نبي الله ابراهيم عليه السلام الأعزل من السلاح و الجيش و الناصر و المعين، ضد أعتي جبار في زمانه و هو النمرود، فاستخفَّ بالهتهم و كسَّر اصنامهم و جعلها جُذاذاً.

و هذا موسي كليم الله عليه السلام، الراعي الفقير، يقف أمام جيروت فرعون مصر و دعواه الربوبية، و يأمره بان يتخلي عن هذا الادعاء، و ان يترك استعباد الناس، و أن يخلّي بينه و بين بني إسرائيل، و اعتبره ضالاً، و لم يكن مع موسي جيش و لا عدّة، إلا هرون اخوه.

و هذا رسول الله محمد صلي الله عليه و آله و لوحده قد حمل راية الدعوة الي التوحيد الي جبابرة و مستكبري العرب و العجم، و القبائل المشركة المتوحشة التي كانت تسجد لثلاثمائة و ستين صنماً! و أرسل الرسل الي ملوك فارس و قياصرة الروم يدعوهم الي دين الله.

و هذا يحيي بن زكريا النبي عليه السلام دعا الناس الي الله، فقَتِلَ و أُهدي رأسه الي

بغِيّ من بغايا بني اسرائيل.

و الحسين عليه السلام دعي الناس الي الحق و العدل و الي دين جدّه فُقتل و أهدي رأسه الي يزيد الطاغية.

و هكذا زكريا و سائر الانبياء الذين قُتلوا أو كُذّبوا، لم يعتمدوا الاسباب الظاهرية المادية في دعوتهم.

فهولاء جميعاً ما قاموا إلاّ امثالاً لامر الله و التكليف الشرعي، و لم يدفعهم حبّ الغلبة و السلطان، فسواء عليهم النصر أو الهزيمة الظاهريين، ماداموا يؤدون تكليفهم.

و لقد كان في أزمانهم مَنْ يتهمهم و يفتري عليهم بالافراط و العجلة و عدم الحزم و التخطيط، و الاقدام علي التهلكة و القتل، بل ان الناس استهزؤا بهم و آذوهم و اتهموهم بالجنون و التخبط!!

ذلك لان الجهال لا يميزون بين طالب حق و طالب سلطان، و يظنون ان الحركات التمردية الاصلاحية المستندة الي وجوب الامثال لله و اوامره، و الداعية الي الفضيلة و العدالة و الحق و اتمام الحجّة، هي مماثلة للحركات الدنيوية السياسية القائمة علي اساس حبّ الدنيا و السلطان و الزعامة و النفع الشخصي.

2 - ما قاله الخضري بيك من انّ الحسين عليه السلام لم يعط يزيداً الفرصة الكافية لاثبات جدارته، و انه عليه السلام خرج عليه قبل ان يصدر أيّ ظلمٍ و جور من يزيد، و كان الافضل أن يسكت الحسين و يصبر و يُمضي حكومة يزيد، ليعتلي يزيد دفة حكمٍ جائرٍ ليعمّ العالم جورّه و ظلمه و جرائمه و فساده، ثم ينهض ضدّه؟!!

هذا الذي تشدّق به الخضري ناجم عن ظنه الخاطي بجهل الإمام الحسين عليه السلام لشخصية يزيد و صفاته، و ان المسلمين لم يكونوا يعرفون من هو يزيد بن ميسون.

إنَّ يزيد بن معاوية كان مشهوراً بفساد اخلاقه و قبائح فعاله، و معاقرة الخمرة و لعبه بالقردة و الكلاب و تجاهره بالفجور و المعاصي، مستحلاً لحرم الله، و لم يمتنع من امتنع عن بيعته زمن أبيه - علي رغم مخاطر التمرد - إلاَّ بعد ان عرفوا من هو يزيد بن معاوية، و انه لا يصلح لادارة قرية من قري بلاد المسلمين لفساده، فضلاً عن خلافة الامة الاسلامية.

إنَّ يزيد بن معاوية، لم يتورع عن شرب الخمر و السكر حتي في المدينة المنورة عندما سافر اليها زمن أبيه، مع علمه بانه سيكون بمراي و مسمع صحابة رسول الله صلي الله عليه و آله و رجالات الإسلام(1).

إنَّ الحسين عليه السلام قد عرف يزيداً منذ اللحظة الاولى لاستخلافه من قبل معاوية فقال لمعاوية:

و اعلم ان الله ليس بناس لك قتلك بالظنة و اخذك بالتهمة و إمارتك صبيياً يشرب الشراب و يلعب بالكلاب و ما اراك الا و قد أوبقت نفسك و اهلكت دينك و أضعت الرعية.(2)

3 - لو كان يزيد قد أحسن التصرف بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و عمل بكتاب الله و سنة نبيه، و تخلَّى عن شرارته و فساده و مجونه، لاحتُمل - ظاهراً - ان الحسين عليه السلام قد لا يكون واقفاً علي مساوي يزيد و انه تسرَّع في نهضته، و لكنَّ افعاله الشنيعة يوم عاشوراء و أسرِ بنات رسول الله صلي الله عليه و آله و تسيرهنَّ في البلدان و بعد واقعة الحرَّة و هدم الكعبة و حرقها، و الاستمرار في التجاهر بالفسق و المعاصي3.

ص: 326

1- الكامل لابن الاثير ج 3 ص 317.

2- الامامة و السياسة ج 1 ص 53.

الكبيرة، كشفت ما بقي خافياً علي الناس من قبائح افعاله، لا يَبقى لظنّ خضري بيك ايّ مصداقية إلاّ عداوته و نصبه لاهل البيت عليهم السلام.

4 - إنّ كلام الخضري بيك ناشي إمّا عن التعصّب الاعمي، و إمّا عن جهله باهداف الإسلام، فظنّ ان كل من قام ضد حكومة ما وفي أيّ ظرف كان، فهو شاقّ لعصا المسلمين و مفرق لجمعهم و باعث علي اختلافهم و فرقتهم و انه ينبغي علينا تمكين الظلمة و الحكومات و اعانتهم و طاعتهم و مهادنتهم و التملق لهم، كي لا يتفرق المسلمون!! و أنّ الوحدة و الاتحاد ممدوحٌ حتي في ظلّ الظالمين و اعانتهم علي ظلمهم، و أنه كان علي الجميع مدّ يد العون ليزيد و الحجاج و الوليد و معاوية و جبابرة التاريخ و مهادنتهم و شرعنة انظمتهم و امضاء سلوكهم، حفظاً للامة من الفرقة!!

كلا يا خضري بيك، لقد صدّك و تُهت و ذهبت بك المذاهب فان الاختلاف بين أهل الحق و باطل لا زال قائماً منذ قاييل و هابيل، و لا نعهد شريعة من الشرائع السماوية و لا الارضية السليمة، تبيح لأهل الحق السكوت و الاستسلام لاهل الباطل بحُجّة الحفاظ علي وحدة المجتمع، فعلي مقياس الخضري يكون ابراهيم خليل الله عليه السلام الذي وقف مقابل جبروت نمrod، و يكون محمد بن عبد الله عليه السلام الداعي الي نبد عبادة الاوثان، و سائر الانبياء، ادعياء تفرقة و اختلاف نعوذ بالله من هذه المقالة.

كلا يا خضري بيك! إنّ جذور اختلاف المسلمين و تفرقهم تعود الي امثال حكومة معاوية مفرّقة الجماعات و يزيد و من لفّ لفهم الذين حاربوا التعاليم الاسلامية و قوانين الدين سعياً وراء السلطة و الملك.

5 - يا خضري بيك، إنّ الحسين عليه السلام كان عارفاً بكل خطوة خطاها، عارفاً

بعللها وأهدافها ونتائجها، و كان يخطو الخطوات بكل حزم ودراسة و حكمة نحو هدف واضح مدروس و مخطط له، و كان مطلعاً علي ماوراء الزمن، متنبئاً بعواقب الامور، متيقناً من يقظة الامة و انتباهها من غفلتها، متوقفاً ثورتها و انتفاضتها ضد يزيد و بني امية، موعوداً بزوال هذه الحكومة الجائرة و محوها من سجل الحكومات الاسلامية، مستتبعاً بلعنة أبدية.

إنَّ الحسين عليه السلام كان يسير نحو زعزعة بني امية عامة و معاوية و يزيد خاصة، و نحو كشف بواطن هذا الحكم العفن، و أن يضمَّ اصوات عامة المسلمين الي صوته في إدانة هذا الحكم و إسقاطه و تخليص المجتمع من شره، و لذا عبأ الإمام الحسين عليه السلام كلَّ القوي و درس كلَّ المحتملات و لم يتجرّد عن الحزم و الدقة لحظةً واحدة طوال مسيره و حركته و نهضته، فكان قد حسب لكل شي حسابه و اعدَّ عدته و أوجد المقدمات توخياً لتحقيق النتائج كاملة و ليملاً صوتُ مظلوميته أسمع العالم كله، و يعلو صوت الاعتراض العام و الملازمة و النفرة و الكراهية ضد عدوه، فيخزل العدو و تفشل مخططاته المشئومة لمحو الإسلام، و هذا ما حصل بالفعل و هو خير دليل علي بطلان مزاعم خضري بيك، اذ ما مرّت إلا ايام قلائل حتي ارتقي معاوية بن يزيد (معاوية الثاني) المنبر في دمشق فاضحاً جرائم أبيه و جدّه و بني امية عامة، معلناً حقيقة علي عليه السلام و آله بالخلافة و الامامة.

بين الفداء و الانتحار

إذا قال قائل: إنَّ الانسان اذا كان يهدف من ثورته مقتل و مقتله و مقتل اولاده و انصاره و أسر اهل بيته و عيالاته، فان ذلك بمثابة القاء النفس الي التهلكة و هو غير

جائز عقلاً و شرعاً بنص الآية الكريمة: « لا تُلَقُوا بِأَيْدِيكُمْ الي التَّهْلُكَةَ»⁽¹⁾، فكيف يصح من الحسين عليه السلام أن يخرج للشهادة و القتل السبّي، و أن يعدّ و يستعدّ لذلك؟ فان قتل الحسين عليه السلام و أسر بنات النبوة، من أعظم الجنايات و هو مبغوض عند الله تعالى، و لا يجزئ علي صاحبه غير الضرر؟

أجبناه قائلين:

1 - إن قتل النفس موضوع تشكيكي يختلف باختلاف ال-حوال و العناوين، فتارة يكون موضوعاً لحكم تحريمي و اخري يصير موضوعاً لحكم وجوبي الزامي، و ليس محرماً علي الاطلاق كما توهم المستشكل، و حتي لو كان هناك اطلاق، فانه مخصّص بالادلة الاخري. فلو فرضنا ان الإسلام يواجه تهلكةً و خطراً قاتلاً، و يقال إنقاذ الإسلام و خلاصه من الخطر يتوقف علي القاء النفس في التهلكة، فهل يُال أيضاً بعدم جواز التضحية و القاء النفس الي التهلكة حفاظاً علي الإسلام؟

الأ يُلام و يُوبّخ من يمتنع عن التضحية بنفسه في سبيل الحفاظ علي بيضة الإسلام و شرف المسلمين؟ أليس الدفاع عن الدين، و الجهاد في سبيل الحق، أولي بوجوب التضحية و الفداء؟

إن فلسفة الجهاد و الدفاع هي الدعوة الي التوحيد و تحرير البشرية من العبودية لغير الله و حفظ الإسلام و تخلص الدين من المحو و التهلكة، أو حفظ الدولة الاسلامية من استيلاء الاجانب و الكفار و الاشرار، و هو واجب علي كل المسلمين طبقاً لاحكام الجهاد و الدفاع - مع تيقن القتل و إلقاء النفوس في التهلكة.5.

ص: 329

فالدفاع عن خنادق و ثغور الإسلام، اذا توقف علي استشهاد عدد من جنود المسلمين، وُجدت ضرورة لحفظ الدولة الاسلامية من المخاطر، وَجَبَ تحمل التلفات و التضحيات الكبيرة، و مثل هذه التضحيات و الفداء جائزة بل واجبة.

2 - انّ هذا الحكم (حرمة القاء النفس الي التهلكة) حكم ارشادي، و مؤيد لحكم العقل بقبح «القاء النفس الي التهلكة»، و من الواضح ان انكار العقل لذلك انما هو في حالة عدم وجود مصلحة أهم من الحفاظ علي النفس، فان توقفت مصلحة أهم من ذلك عليه، حَكَمَ العقل بالجواز بل بالوجوب و الإلزام احياناً.

3 - إنّ الهلاك متصورٌ بعدة انحاء من جملتها، الفناء و المحو و الانعدام، و قد يكون هذا النحو هو المقصود في الآية الشريفة، و هذا المعني انما يتحقق فيما لو لم يكن هناك غرض شرعي صحيح أو عقلي سليم، فان وجد مثل هذا الهدف و الغرض و كان ذلك امثالاً للتكليف الشرعي و للأمر الالهي و للدفاع عن احكام الدين و عزّة المسلمين، لم يكن الفداء و التضحية القاءً للنفس في التهلكة و لا فناءً و إنعداماً.

فمن ضحي من اجل الدين و في سبيل الله لم يكن مُعدِماً لنفسه، و لا فانياً، بل هو حيٌّ بصريح القرآن، قد باع نفسه باغلي الأثمان.

اذن، ففي حالة تحقق مصلحة أهم من الحفاظ علي النفس، أو دفع مفسدة أهم من ذلك، لم يكن بذل النفس و السباق الي الموت و الشهادة، القاءً للنفس في التهلكة، نظير بذل المال، فتارة يبذل المال بلا عوض، فهو الاسراف و التبذير، و اخري يبذل المال للحفاظ علي الشرف و الكرامة و الريح الأوفر، فلا يكون اسرافاً بل هو ممدوحٌ و مستحبٌ و قد يجب في بعض الاحيان.

4 - انّ الصبر و الثبات حتي الشهادة، في ميادين الجهاد و الدفاع عن الدين، و خاصة فيما لو تسبب الادبار عن القتال، في هزيمة جيش الإسلام و غلبة الكفار، و كان الفداء و التضحية محمّساً و محفزاً جند الإسلام علي الصمود، أمرٌ ممدوح، بل هو

واجب مقدس، ولا نظن وجود احدٍ يدّعي ان مثل هذه التضحية القاءً بالنفس الي التهلكة و أنّه محرّم، بل كان في صدر الإسلام و لازال يعدُّ من افتخارات و عزّة و بطولة جند الإسلام و بالاخص قادتهم و امرائهم، كاستقامة و ثبات و فداء و تضحية جعفر الطيار عليه السلام التاريخية في حرب مؤتة، فان مثل هذا الجهاد و الايثار و التضحية و استقبال الشهادة هو دركٌ للسعادة العظمي و تقرب الي الله عزوجل، لا أنه القاء النفس في التهلكة و الانتحار.

5- إنّ الآية الكريمة و إن دلّت علي حرمة الالقاء بالنفس الي التهلكة، لكن لما كان متعلق النهي هو عنوان الالقاء في التهلكة و ليس مثل تعلق النهي بالموضوعات الخارجية كشرب الخمر أو القمار، فان تحقق مصداقه و فرده يدور مدار تحقق العنوان المذكور، فقد يكون الفعل في ظرفٍ معين و لشخص معين، القاءً في التهلكة، و لا يكون كذلك بالنسبة لشخص آخر و في حالٍ آخر، و كما يقول احد علماء التفسير بان هذا العنوان له مصدايق متعددة، فتارة يكون الالقاء في التهلكة متحققاً في ترك الانفاق، و تارة يتحقق في نفس الانفاق، و تارة يتحقق في ترك الجهاد، و تارة يتحقق في الدفاع، كما إنّ الالقاء في التهلكة تارة يكون فردياً و اخري جماعياً و عاماً، فلا بد من ملاحظة المفاسد و المصالح و المناسبات و الموارد، فقد يصدق الالقاء في بعض الموارد و لا يصدق في بعضها الآخر.

و في بعض الموارد، و حتي لو صدق العنوان، يكون تركه سبباً للابتلاء في التهلكة الدنيوية و الاخروية الاعظم و التي لا يمكن جبرانها.

و بعد بيان هذه الإجابات، ينبغي اضافة هذا التوضيح:

اولاً: إنّ الحسين عليه السلام و هو صاحب مقام الامامة و العصمة، هو أعلم افراد الامة بالاحكام الشرعية، و هو معصوم عن الخطأ و الاشتباه، و ما يصدر منه انما

يصدر موافقاً للأمر الالهي و امتثالاً للتكليف الشرعي.

و ثانياً: إنَّ بني اميَّة، كانوا سيقتلون الإمام الحسين عليه السلام سواء خرج الي العراق أو بقي في مكة. وقد لاحظ الإمام عليه السلام كلَّ المصالح الموجودة في القضية، فخرج عن مكة صوناً لحرمة الحرم من الهتك، وكلُّ من تابع خطوات حركة الإمام الحسين عليه السلام و نهضته، سيعي تماماً أنَّ الحسين عليه السلام اراد أن يوظف استشهادَه و مقتله و مظلوميته باكبر قدرٍ ممكن من اجل بقاء الإسلام و احياء الدين، فكان مراعيّاً لأدقِّ الدقائق و النكات لضمان نجاح هذا التوظيف.

و ثالثاً: إنَّ هدف الحسين عليه السلام من الثورة و الامتناع عن البيعة و الاستسلام و السكوت، و تحمل المصائب العظيمة، هو نجات الدين، و لقد كان هذا الهدف مستحقاً لكل تلك التضحيات بؤلده و أصحابه و بنفسه الشريفة، و من ثمَّ اختار الشهادة و استقبل تلك البلايا و المصائب.

إنَّ الداعي الاوّل و الاخير لخروج الحسين عليه السلام هو امتثال الأمر الالهي و حفظ الدين و طلب الحق، و ابطال مشروعية حكم بني اميَّة و افشال مخططاتهم و تقويت الفرصة عليهم لتحقيق اهدافهم المشنومة، و مقدمة الوصول الي هذه الاهداف هو عدم السكوت و الاستسلام، و الاستقامة و الثبات الي درجة الشهادة و تحمل كل تلك المصائب. و لقد كان هدف الحسين عليه السلام محبباً لله و رسوله صلي الله عليه و آله و موافقاً للعقل و وجدان الإنسانيَّة.

فمن المغالطة القول: بان قتل الإمام الحسين عليه السلام اذا كان مبغوضاً لله، فكيف زجَّ الحسين عليه السلام نفسه الي القتل؟

إذ أنَّ الإمام عليه السلام لم يشأ أن يُقتل علي يد الآخرين، و لقد بقي يدافع عن نفسه الي آخر ساعة من حياته، و لكي يُتمَّ الحجَّة علي اعدائه، كان يعظهم و ينصحهم و

يجادلهم في فداحة قتله وسفك دمه، ولكن كانت الشهادة في سبيل الله، محبوبته التي تمنّاها، والتي اعتبرها من أعظم وسائل كمال القرب والفلاح، وعلي كل مؤمن مسلم أن يتمني الشهادة ويشتاقي إليها.

نعم، إنّ قتل الإمام وأسّر أهل بيته، مبعوض عند الله و من اكبر الجنايات والكبائر، ولقد أوضح الإمام السجاد عليه السلام في خطبته في المدينة الطيبة بان قتل الحسين عليه السلام «كان ثلماً عظيماً» وانّ نتائجها السلبية ومضارها علي العالم الاسلامي تفوق حدّ التصور، و كان ينبغي علي اولئك الاشقياء ان لا يقدموا حتي علي التفكير في مثل تلك الجناية حتي لو قطعوهم ارباً ارباً، ولكن لم يكن لينبغي علي الحسين عليه السلام ولدفع هذه الثلثة العظيمة ان يستسلم لهم ويبيع يزيد، فان الضرر الناشي من هذا الاستسلام والسكوت والبيعة هو اكبر بمراتب، فالحسين عليه السلام يري أنّ مصلحة حفظ الدين والامتناع عن البيعة ليزيد، كبيرة عظيمة تستحق منه التضحية بنفسه ولده واعزته، وأن يفتردي احياء الإسلام و ابقاء كلمة التوحيد بكل ما يملك.

وبعبارة اخري كان الناس مكلفين بطاعة الإمام الحسين عليه السلام ونصرته والدفاع عن وجوده المقدس وترك التعرض لحرمته، وكان الحسين عليه السلام مكلفاً بالاستقامة والثبات في طريق العقيدة والهدف، والتضحية وتحمل المصائب لحفظ الإسلام. فاذا لم يمثل الناس تكليفهم فهل علي الحسين عليه السلام أن لا يمثل هو الآخر تكليفه وأن يستسلم للذلّ والهوان وأن يتراجع ويترك الدين والقرآن والشريعة في غربتها؟

اقرأوا قصة اصحاب الاخدود، اولئك الرجال و النساء المؤمنون الذين ذكر الحق عزوجل في قرآنه صبرهم و بصيرتهم و امتدحها، طالعوها بدقة لتجدوا كيف

رَجَّحُوا الْإِخْتِرَاقَ بِالنَّارِ الْمُؤَجَّجَةِ، عَلِيٌّ الْإِخْتِرَاقَ بِنَارِ الْكُفْرِ وَالرَّدَّةِ عَنِ الْإِيمَانِ. وَبِذَلِكَ نَجَّحُوا فِي ذَلِكَ الْإِمْتِحَانِ وَتَخَرَّجُوا بِدَرَجَةِ الْمُنزَّهِينَ عَنِ الْغُلِّ وَالْغَشِّ.

وَعَلَيْهِ، فَالثَّبَاتُ وَالصَّبْرُ فِي طَرِيقِ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ وَالِدَعْوَةَ إِلَى اللَّهِ وَحِفْظَ الدِّينِ وَحِمَايَةَ الْأَهْدَافِ الْإِنْسَانِيَّةِ السَّامِيَةِ بِبَصِيرَةٍ وَمَعْرِفَةٍ وَقَصْدٍ، شَيْءٌ، وَالْقَاءَ النَّفْسِ إِلَى التَّهْكِلَةِ شَيْءٌ آخَرَ، وَإِنَّ الْفِدَاءَ وَالتَّضْحِيَةَ وَنَصَرَ اللَّهِ وَالدِّينَ مِنَ الْعَارِفِ الْمَلْتَمَتِ الْعَالَمِ بِأَحْكَامِهِ، لَعَزَّةً وَفَخْرًا يَتَمَنَّاهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَهُوَ أَمْرٌ خَارِجٌ تَخَصُّصًا أَوْ تَخْصِيصًا عَنِ الْإِلْقَاءِ بِالنَّفْسِ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

وَمِنَ الْبَدِيهِيِّ أَنْ دَفَعَ هَذَا الْإِشْتِبَاهَ فِي خُصُوصِ أَعْمَالِ النَّبِيِّ أَوْ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى كُلِّ هَذَا الْبَيَانِ وَالتَّوْضِيحِ، فَانْنَا قَلْنَا مَرَارًا: أَنَّ فِعْلًا وَقَوْلًا وَتَقْرِيرًا (سُنَّةَ) الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعُدُّ مِنْ أَدْلَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ كَمَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا أَنْ نَجْتَهِدَ لِتَعْيِينِ وَظَيْفَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أَجَلٌ، أَنْ تَتَّبَعَ هَذَا الْبَحْثَ مُفِيدٌ مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ الْفَقْهِيَّةِ وَالِاسْتِنْبَاطِيَّةِ لِتَعْيِينِ تَكْلِيفِنَا نَحْنُ.

وَعَلِيٌّ أَيُّ حَالٍ، فَإِنَّ فِي أَعْمَالِهِ وَسِيرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْإِمَامَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ اسْرَارًا وَحِكْمًا لِامْتِحَانِ الْعِبَادِ وَاتِّمَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَتَكْمِيلِ النَّفُوسِ وَإِصْلَاحِ الْعِبَادِ... الخ.

وَالْتَعَرَّفَ عَلِيٌّ تِلْكَ الْحِكْمَ وَالْمَصَالِحَ يَحْتَاجُ إِلَى غُورٍ وَتَدْقِيقٍ كَبِيرِينَ فِي الْآيَاتِ وَالرُّوَايَاتِ وَسِيرَةِ هَؤُلَاءِ الْعِظَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَكُلُّ مَا سَنَحْصِلُ عَلَيْهِ وَنَكْتُبُهُ هُوَ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ وَقَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ غَزِيرٍ.

قد يتبادر الي اذهان بعض قراء الفصول السابقة من هذا الكتاب، تساؤل واستفهام عن اسباب عدم ثورة الإمام الحسن عليه السلام ودواعي صلحه مع معاوية، في الوقت الذي كان معاوية هو نفس معاوية، وإنَّ الإمام الحسن عليه السلام لم يكن اقلَّ شجاعةً و معرفةً و حزمًا و بأساً من أخيه الحسين عليه السلام، و ما كان فداءً و تضحية و ايثار الحسين عليه السلام و صبره و تحمله و طلبه للحق و احياء الدين اكبر مما هو عند الإمام الحسن عليه السلام، فلماذا سلك الإمام الحسن عليه السلام طريق الحلم و الصبر و الهدنة، و اختار الحسين عليه السلام طريق الجهاد و الثورة و الشهادة؟

و المحققون و العلماء و المطلعون علي احداث التاريخ الاسلامي و ان كانوا قد تناولوا هذه القضية(1) و شرحوا اسرار و مصالح صلح الإمام الحسن عليه السلام لكن و رغبةً منّا في عدم إهمال هذا التساؤل بلا اجابة، سنبين بعض علل و حِكَم و دسرار هذا الصلح، موضحين الفرق بين عصر الإمام الحسن عليه السلام و عصر امام الحسين عليه السلام بحسب اجتهادنا العلمي و التاريخي و محيلين القاري العزيز الي تلك المصنفات للوقوف علي مزيدٍ من الإطلاع، فنقول:

1 - إنَّ طول أمد المعارك الداخلية و التي لم يسبق لها مثيل في تلك الفترة، و

ص: 335

1- كالعلامة الشيخ راضي آل يس، في كتابه «صلح الحسن عليه السلام».

كثرة القتلي والجرحي والمتضررين من الحرب، كانت قد أضعفت الرغبة في الاستمرار في القتال عند الناس، إن لم نقل أنها قد أعدمتهما تماماً، إلا عند بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم عدد الاصابع، كانوا قد قرأوا مستقبل الإسلام في ظل حكم بني امية ووقفوا علي الصورة القاتمة لهذا المستقبل، امثال قيس بن سعد من ذوي الايمان الكامل و البصيرة النافذة من تلامذة اهل البيت عليهم السلام، و أما سائر الناس، فقد كانت الحرب قد انهكت قواهم الروحية قبل الجسدية، و تلاعبت بهم الشبهات فسلبتهم روح الجهاد و القتال.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام في اواخر حياته، كلما حثَّهم ورغَّبهم بالجهاد، لم يلقَ الآذان الصاغية و القلوب المطيعة و الحضور الفاعل، بل كان يواجه بالتهرب و الخذلان، حتي شكاهم مراراً و تكراراً.

و بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، ازدادت عزلة الناس عن الاحداث و تضاءلت استجابتهم لنداءات الجهاد، خاصة تلك العوائل المفجوعة باعزائها، فلقد بلغ عدد القتلي في حرب صفين علي ما نقل المسعودي(1) مائة و عشرة آلاف قتيل من الطرفين و عدد القتلي في النهروان اربعة آلاف قتيل(2) و طبقاً لما نقله اليعقوبي فان قتلي حرب الجمل و هي اولي الحروب التي خاصتها أمير المؤمنين عليه السلام، كان قد بلغ اكثر من ثلاثين الف قتيل.(3) إنَّ كثرة عدد القتلي في هذه الحروب الداخلية شوّه صورة الجهاد و دعي أهل الدعة و هم الاكثرية الي الهروب من القتال و لذا عندما صمّم الامام الحسن علي(9).

ص: 336

1- مروج الذهب ج 2 ص 274.

2- مروج الذهب ج 2.

3- تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 159.

القتال و حثّ الناس علي الجهاد و أرسل جيشاً الي الحدود و الثّعور و خرج بنفسه بعد أن استخلف عن الكوفة ابن عمه المغيرة ابن نوفل ابن الحارث ابن عبد المطلب تخلف عنهم خلق كثير و لم يخرجوا معه بعد أن كانوا قد وعدوه بالقتال ضدّ عدوّه فغزّوه كما غزّوا أباه من قبل و بقي معسكراً بالتّخيلة عشرة أيام و ليس معه الا أربعة آلاف و رجع الي الكوفة يستنفر الناس و خطب فيهم يقول: قد غررتموني كما غررتم من كان قبلي. (1)

2- و عندما اتضح للامام الحسن عليه السلام ضعف الروح الجهادية عند الناس، و انهم أسلموه لمصيره و حيداً، اتمّ الحجّة عليهم و خطب فيهم خطبة بليغة تناول فيها فلسفة الحرب و الصلح و طلب منهم إبداء رأيهم، فما سمع منهم إلا كلمات الخذلان و التهاون، فكانوا يصبحون «البقيّة البقيّة يا بن رسول الله»

3- و طائفة من الناس، كانوا يرونّ في استمرار القتال، اضعافاً لقوة المسلمين العسكرية، و استنفاداً للذخائر القتالية، عدّة و عدداً، مما يؤدي الي زيادة اطماع الكفار بالهجوم علي بلاد المسلمين و احتمال التمرد في الولايات الحديثة العهد بالاسلام، و انقلابها علي الحكم المركزي.

و لا شك، أنّ هذا الاحتمال و جية فمّن الطبيعي أن الحروب الداخلية تسبب ضعف القوي الاسلامية، مما يعجز ايّ طرف غالب فيها، عن مواجهة الاخطار المحدقة بالدولة الاسلامية، و من الواضح أنّ معاوية الذي ارتكب كل تلك الجرائم، و خرج علي خليفة المسلمين المنتخب و قتل خيرة صحابة النبي صلي الله عليه و آله للاستيلاء علي الخلافة، و لم يكن لتهمّه مصالح المسلمين و مصير الامة كي يتراجع عن القتال. فانه 2.

ص: 337

خطط لسنوات عديدة و ارتكب فضائع الجرائم ليتسلط علي رقاب المسلمين، فكيف يُنتظر منه الخضوع للحق؟ ولو كان معاوية يحمل ذرّة من الغيرة علي الدين ويهتم لعزّة الإسلام و المسلمين، لما خالف حكم أمير المؤمنين و اشعل نار الفتنة.

و لم يكن إلاّ الإمام الحسن عليه السلام الذي يري لزاماً علي نفسه الحفاظ علي المصالح العامة للأمة و أن يتخلّي ظاهرياً عن حقه حِقناً لدماء المسلمين و حفظاً للدين، فصالح معاوية و تحمل تلك الشدائد و الملامة في سبيل الله، كما فعل ابوه عليّ بن ابي طالب عليه السلام في زمن ابي بكر و عمر و عثمان.

4 - و طائفة من المسلمين لم يتوقعوا أنّ مكائد معاوية و مظالم بني امية و الاضرار التي ستلحق بالامة الاسلامية بسببهم، ستصل الي هذا المستوي من الفداحة، فعلي الرغم من معرفتهم بأن بني امية ليسوا كبني هاشم في حرصهم علي الإسلام و المسلمين و في معتقداتهم الروحية و النفسية و الخلقية، لكنهم لم يكونوا يظنون أن أساليبهم ستختلف كثيراً عن اساليب الحكم و نهجه زمن ابي بكر و عمر و حتي لو اختلفت و لم يكن معاوية كالخليفة الاول و الثاني في تظاهرها بالاسلام، لكنهم لم يتوقعوا أن يبلغ التفاوت الي درجة الولوغ في دماء الصحابة و الابرياء من المسلمين، و انه سيشعل حرباً داخلية تجزي العالم الاسلامي و تضعفه الي هذا الحدّ.

و لقد أخطأ هؤلاء، اذ أنّ بني امية كانوا يتحينون الفرص لهدم اسس الإسلام و اعادة الجاهلية و سلب الحقوق و استعباد الناس.

و لم يظن هؤلاء أن حكم بني امية سيبتعد جداً حتي عن صورة حكم عمر و أبي بكر، و انهم سيغيّرون ظواهر المجتمع و عاداته و أن الخلافة ستتحول الي ملكية موروثية، ففي بداية الامر كان الخليفة مضطراً الي رعاية ظواهر الشرع، و كان المسلمون قريبين من عصر النبي صلي الله عليه و آله و يتذكرون منهج حكومته الالهية، خاصة مع

وجود كبار الصحابة الذين اعتادوا علي رعاية مظاهر الورع و الابتعاد عن مظاهر الملكية و البذخ و التجملات الزائدة الي درجة الاسراف، فلم تكن الارضية ممهدة لاستعجال ارجاع الجاهلية و تشكيل حكومة مستبدة، و التفرد بالسلطة و... الخ.

اما في زمن معاوية، فقد تغير مزاج المجتمع، و عاش الناس المظالم و الانحراف خاصة زمن عثمان، و تغلغل المتملقون و الانتفاعيون و الانتهازيون الي مرافي السلطة و الحكم، و لم تُعد الكفاءة و التقوي و الزهد و الايمان شرطاً في التصدي لادارة أجهزة الدولة، و لم يكن القصد من قبول المناصب، أداء التكليف و امتثاله و لا خدمة الإسلام و المسلمين.

إنَّ هذه الامور كانت خافية علي عامة المسلمين تقريباً، و لذلك رفضوا الاستمرار في الحرب و قتال معاوية و اراقة الدماء، بل إنَّ بعضهم كان يعتبر ذلك خطراً علي مستقبل الامة!

5- إنَّ ملامح الصورة القائمة في ذلك الوقت، كانت توحى الي غلبة معاوية في الحرب، و انَّ جيش الإمام الحسن عليه السلام سيواجه الهزيمة - و لو ظاهراً - و حينئذٍ، سيتضرر شيعةُ اهل البيت عليهم السلام اكثر من غيرهم، و ستعلو صيحات الاعتراض علي الإمام عليه السلام لعدم استجابته لاقتراح الصلح من قبل معاوية، خاصة و إنَّ الاكثرية كانت مؤيدة للصلح، و بعبارة اخري: كان هؤلاء سيتهمون الإمام الحسن بالتسبب في جراءة معاوية علي التجاسر علي المقدسات و تنفيذ مخططاته المشنومة، و لولا ذلك لاضطر الي احترام مقررات الصلح التي ستملي عليه و الالتزام بما تعهد به من الوفاء بالشروط و العهود.

و اما في زمن الإمام الحسين عليه السلام فلم يكن احدٌ يحتمل ادني احتمال انَّ بني امية و خاصة يزيد الفسق و الفجور، سيفنون بالعهد و الموائيق، و التزام شروط الصلح.

فالكلّ علي ثقةٍ تامةٍ من غدر يزيد و خيانتته و نكثته للعهد و المواثيق و قتله الابرياء و إغتياله الصلحاء بلا تحرّج و حياء، و الكلّ علي ثقةٍ من وجوب الثورة ضدّهم و اسقاط حكمهم.

اذن، كما كانت ثورة الحسين عليه السلام منبثقة من الحرص علي الإسلام و كانت نافعة و مثمرة في تحقيق هذا الهدف، فكذلك ما قام به الإمام الحسن عليه السلام صار باعثاً لبقاء الدين و حفظ مصالح المسلمين و كشف الاقنعة المزيفة لمعاوية و بني أمية، و لو أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان قد استمر بانصاره القلائل، في محاربة معاوية و في تلك الظروف المعروفة، لقتل و لم تُثمر ثورته و حربهُ ايّ ثمرة و لم تغد ايّ فائدة، و لذهب دمه هدرًا، و فُسح المجال لبني امية اكثر فاكثر في محو الإسلام و اعادة الجاهلية.

6 - إنّ قادة الدين و أولياء الله كعليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام يسلكون طريق الحقيقة و الامانة في حروبهم و صلحهم، و حبّهم و عداوتهم، و لا يتوسلون بالخدع و الالاعيب السياسية، و المكر و الحيلة و اغواء الناس، لنيل مقاصدهم و تحقيق أهدافهم، و أما ابطال السياسة الباطلة و طلاب السلطة فانهم يلتمسون كل الوسائل لكسب الأنصار و تعبئة الناس، حتي الاحتيال و الخداع و التضليل و الخيانة، فيبدلون الاموال و الرُشا و يعرّدون بالمناصب و الوزارات، و يشترون الدمم الرخيصة و يتتاعون دين و ضمائر عبدة الهوي و عشاق الدنيا و لذائذها لنيل مآربهم و تحقيق نواياهم.

و قادة الاديان، يجتذبون الناس عن طريق الدعوة الي الحق و الحقيقة و الفضيلة و الايمان، و اما السياسيون المخادعون فانهم يدوسون باقدامهم علي الحقيقة و يزيّفون الحقائق و يسخّرون بيت مال المسلمين لاغراضهم الشخصية، و يشترون الاصوات المساندة و يهبون الحقائق الادارية لمن يعينهم علي باطلهم، اذ ليس في

قاموسهم معني لمفهوم العدالة والكفاءة و مراعاة مصالح المسلمين و الاصلاح و التقوي و اجتناب الظلم و الشرور.

و اذا رجعنا الي تاريخ الإسلام، و طالعنا الوضع الروحي للمجتمع زمن خلافة الإمام الحسن عليه السلام و ايام تمرّد معاوية عليه لوجدنا قلة انصار الإمام الحسن عليه السلام إن لم نقل بانعدامهم، و كان اكثر المحيطين به من قادة جيشه و جنده، مهزوزين لا يمكن الثقة بهم، و كان المجتمع يغوص في انحطاطة الخلق بسبب القيادات الضعيفة و التربية الخاطئة.

فلم يكن ادعاء خلافة النبي صلي الله عليه و آله سائرين علي نهج النبي صلي الله عليه و آله في تربية النفوس و صقل الارواح و تهذيب الناس و حتّهم علي الزهد في الدنيا. مضافاً الي انهم و منذ البداية سلكوا طريق هتك النفوس و الاعراض، و السعي الي محو الروح الرسالية، فعزلوا الصلحاء عن الادارة، و ولّوا الاشرار التابعين لهم، و مسخوا شخصية المسلم الذي كان في زمن النبي صلي الله عليه و آله يعتزّ بهمّته العالية و زهده في الدنيا، و تضحيته رغبة في الثواب و القرب الالهي و اعلاء كلمة الإسلام الي شخصية سطحية هامشية منكبة علي زخارف الدنيا و لهوها، مستكينة للراحة و الدعة، متلهفة علي جمع الثروة و المال.

و لقد استفاد معاوية من هذا الخلاء الروحي و الاخلاقي، و عرف أنّ الوقت المناسب لتشكيل حكومته المحققة لاهدافه قد حان، إذ أنّ شراء الذمم و الضمائر و الدين بالرّشا و الوعود بالمناصب و الولايات كان قد شاع في المجتمع، فنفذ معاوية من هذه الثغرة، فاستأجر أمثال عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة لاثارة الهرج و المَرَج متأمراً علي المجتبي عليه السلام و قد نجح في تمزيق جيش الإمام عليه السلام باستقطاب بعض قادة الجيش بعد أن منّاهم و رشاهم، و وصل الأمر الي ان احد اكبر قادة جيش

الإمام قد التحق بمعاوية طمعاً بحطام الدنيا.

وقد كان معاوية قد وَعَدَ عمرو بن حريث، الأشعث بن قيس، حَجَّار بن ابجر و شيبث بن ربيعي بمائة الف درهم و الزواج من احدي بناته، اذ ما قتلوا الإمام الحسن بن علي عليه السلام و أن يستأمرهم في جيشه(1) و اتهم بعض اصحاب الإمام عليه السلام بأخذ الرشاش، و غير ذلك من حيلة و اللاعبة الماكرة التي استغفل بها السدج من الناس.

ولذا، فان اكثر افراد جيش الإمام عليه السلام و الذين كانوا من الجيل اللاحق للجيل المعاصر لرسول الله صلي الله عليه و آله و لم يتلقوا تربية اخلاقية صحيحة، لم يتمكنوا من مقاومة الاغراءات، فباع الكثير من قادتهم نفسه و دينه لمعاوية، و من الواضح أن القتال بمثل هذا الجيش الذي لا يأنف عن بيع ذمته و دينه بحفنة دراهم و وعود كاذبة، لن يؤدي إلا الي الهزيمة و اراقة الدماء، و إن الاستعانة بمثل هذا الجيش امرٌ عارٍ عن الحكمة و العقل، كما إن شراء الذمم بالمال و الوعود و إغراءهم بالمناصب و الحقائق الادارية، ليس من شيم آل علي لان ذلك يجزّي الي ترويج الظلم و فسح المجال للخائنين و الظالمين لاشاعة الفساد.

و في مثل هذا الحال، لو لم يصلح الإمام الحسن عليه السلام، فمضافاً الي هزيمة هذا الجيش المهزور الضعيف، كان احتمال اغتيال الإمام عليه السلام علي يد الخونة و العملاء أمثال الأشعث بن قيس الذي كان و منذ زمن خلافة علي عليه السلام يمدُّ جسور الارتباط مع معاوية و يتأمر معه ضد أهل البيت عليهم السلام و ضد الإسلام، احتمالاً قوياً، بل و كان من المحتمل أن يلقي القبض علي الإمام عليه السلام و يُسلّم مكتوفاً الي معاوية،2.

ص: 342

1- الشيعة و الحاكمون ص 63-62.

ليغتتم معاوية الفرصة للانتفاضة منه ومن ثمّ اطلاق سراحه متظاهراً بالحلم والعفو، ما ذمّ علي أهل بيت النبي و بني هاشم، لتحطيم شخصية الإمام الحسن عليه السلام و محبوبيته في النفوس و هيئته و جلالته و مقامه في المجتمع و من ثمّ تصفيته جسدياً.

و من الطبيعي، فان الضربة التي ستؤججه نتيجة لذلك الي اهل الحق ستكون قاصمة موجعة، و سيمنع ذلك من تمهيد الارضية لثورة الإمام الحسين عليه السلام.

7 - إنّ الإمام الحسن عليه السلام لو كان قد بقي حيّاً بعد هلاك معاوية، لكان قد ثار كما ثار الإمام الحسين عليه السلام إذا فرض تحقق نفس الظرف، و لأمتنع عن بيعه يزيد كما إمتنع الحسين عليه السلام، بل لو كان الحسن عليه السلام حيّاً و شهد إستخلاف معاوية ليزيد، لثار ضد معاوية و ما تسنّى ذلك لمعاوية، و لذا و كما ورد في المصادر التاريخية أن معاوية عندما جاء الي المدينة و استشار العبادلة في ولاية عهد يزيد، تيقن أنّ هذا الأمر مستحيل مع وجود الإمام الحسن عليه السلام و من ثمّ اخفي معاوية ذلك العهد و الاستخلاف الي ان قتل الإمام عليه السلام بدسّ السّم اليه، و بعد ذلك أعلن للناس استخلافه ليزيد و اخذ البيعة منهم بالقوة و الاكراه.

8 - روي ابن شهر آشوب إن أهل القبلة قد أجمعوا علي أن النبي صلي الله عليه و آله قال:

«الحسن و الحسين امامان قاما أو قعدا»(1).

و هذا الحديث دال علي سلامة و شرعية كلّ عمل يصدر من الامامين عليهما السلام باعتبارهما إمامين تجب إطاعتهما، و إنّ ما يقوم به إنما هو امتثال للتكليف الالهي الخاص بهما لاقتضاء المصلحة ذلك، و انهما في حربهما و صلحهما و ثورتها و سكوتها و سائر أحوالهما ماموران بالامر الالهي، و إنّ كلاً منهما في عصره حامٍ4.

ص: 343

للدين و الشريعة و امامٌ للناس و سفينة نجاتهم.

إنَّ الإمام الحسن عليه السلام قام بما قام به جدُّه رسول الله صلي الله عليه و آله أيام وجوده في مكة، و قام به أبوه أمير المؤمنين عليه السلام أيام حكومة ابي بكر و عمر و عثمان، و إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قام بما قام به جدُّه رسول الله ايتام وجوده في المدينة المنورة و ما قام به أبوه عليه السلام في السنوات الخمس التي جاهد فيها الناكثين و القاسطين و المارقين.

و في الرواية، أن جابر بن عبد الله الانصاري، اقترح علي الحسين ان يهادن كما هادن أخوه الإمام الحسن عليه السلام، فاخبره الحسين عليه السلام أن الحسن عليه السلام صالح بامر الله و رسوله، و انه أيضاً يقوم بامر الله و رسوله صلي الله عليه و آله (1).9.

ص: 344

1- المجالس الحسينية ص 19.

كل حركة ونهضة تهدف تشكيل مؤسسة جديدة و تبديل نظام بنظام أو إيجاد إصلاحات روحية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو أي هدف آخر، سيكون لها تأثير خاص في الفكر الاجتماعي العام و حتي في حياة الناس الميدانية، و سواء كانت تلك الحركات تحريرية إصلاحية حقة، أو كانت ضيقة محدودة بحدود المنافع و كسب الامتيازات الشخصية و المادية و الطموحات السياسية.

و طبيعي أن نجاح و انتصار حركة سياسية تهدف الي نيل المكاسب الدنيوية السلطوية الضيقة، إنما يكون بقهر الخصم و ابعاده عن مراكز القرار، و بالسيطرة علي المقام المقصود، و إلا كانت تلك الحركة فاشلة مندحرة. و في حالة الفوز و الغلبة يكون انتصاره محدوداً بحدود الفردية، و بتلك البرهة الزمنية التي يتزعم بها ذلك المنصب و المقام.

و أما نجاح و ظفر المصلحين الحقيقيين، و الثائرين من أجل الحق و المثل و المصالح العليا، فهو في اقرار الحق و تحكيمه، و تأمين العدالة الاجتماعية و محو الظلم و الفساد، و إستبدال الفوضي بالنظام، و التمرد علي القوانين بتطبيقها.

و هؤلاء المصلحون و حتي لو خسروا المعركة مادياً و فشلوا في ابعاد الخصم و إزالته، و حتي لو كلفهم قيامهم بذل أنفسهم في سبيل الحق، لا يُفشلون روحياً، و سيكون لاقدامهم أثرٌ في جذب النفوس السليمة الي أهدافهم، و القلوب الي

فتضحياتهم وفداؤهم وعلو همتهم يبعث الانظار الي الاتجاه صوبهم و الي الخير و الصلاح و طلب الحق و العدالة، فيصيرون أسوة و مثلاً يُحتذى به في مستقبل الاجيال، و يتسببون في إعلاء كلمة الحق و تضعيف و إزهاق كلمة الباطل و اهله.

و لأن هؤلاء ينتفضون من أجل الحق و المصالح العليا للمجتمع و نجاة البشرية، فانهم لن ينكسروا و لن يُهزموا أبداً في معركتهم التي بداوها و حتي لو لم يتحقق لهم النصر الآن، فانهم هم المنتصرون حقيقةً، لان قيامهم للحق، و الحقُّ باقٍ و ثابت و خالد، فتخلد حركاتهم بخلوده، بخلاف المنتفضين من اجل المنافع و المصالح الخاصة الضيقة، فانَّ أعمارهم القصيرة اذا انتهت انتهت معها تلك الانتصارات المحدودة.

فظفر المصلحين الحقيقيين، دائمي خالد، و غلبة الدنيويين عمرها قصير مؤجل.

إذن، فمن الناحية النفسانية و من الناحية التاريخية أيضاً، لا يمكن انكار حقيقة أن نتائج و آثار الحركات الاصلاحية و التحررية، هي آثار ايجابية خالدة، و كذلك كانت تأثيرات ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في الامة بل المجتمع العالمي، و إنَّ ما قام به كان منسجماً و محققاً لأهدافه، و إنه ليس فقط لم يخسر المعركة بل إنه حقق مكاسب عظيمة و كثيرة لا يُحصيها إلا الله تعالى، كما أنَّ الثابت في مواجهات الحق ضدَّ الباطل، إنَّ الناس يرون أنَّ أهل الحق هم المنتصرون، و انهم يتمنون ان يكونوا في جملة طلابة و في سجلهم.

و منذ حادثة كربلاء الاليمة، لم نعهد أحداً تمني ان يكون من أنصار شمير و

حرملة و ابن زياد، أو أنه قيل بفعالهم ولم يشمئز من ذكرهم.

وفي المقابل، تجد ملايين الناس تمنوا أن يكونوا ممن قاتل في صف الحسين عليه السلام و انصاره.

و بامكاننا و بمقايسة بسيطة و بضرب مثل واحد أن نثبت أن المنتصر في عاشوراء هو الحسين عليه السلام و أن الخاسر هو يزيد و حزبه.

و التاريخ يحدثنا أن رجلين جاءا معاً لقتال الحسين عليه السلام و كلاهما من بلد واحد و لهما سوابق و شهرة قتالية، احدهما تخلي في وسط الطريق عن كل امتيازاته و القابه و مناصبه و الجوائز و الهبات التي كانت بانتظاره، و أدار ظهره للدنيا و زخارفها و زيارتها، و باع نفسه لله. و الثاني ازداد في تعلقه بالدنيا، و بقي علي عدائه لاهل البيت عليهم السلام و استمات في الدفاع عن ظلم بني امية و باطلهم و قساوتهم، اسم الاول هو الحر بن يزيد الرياحي و اسم الثاني هو شمر بن ذي الجوشن.

فالحر كان قد إنخرط في صفوف بني امية و جاء لحرب الحسين طمعاً بالجائزة و إمرة الجيش و الارتقاء في المراتب العسكرية، و لو فرض انه بقي علي اصراره لعدة ساعات أخر و لم يتخل عن عمر بن سعد، و ارتكب افعال حرملة و شمر و سنان، لما حصل من ذلك إلا علي لعنة التاريخ و الملائكة و الناس أجمعين كشمير و حرملة و من لف لفهم. و لكنّه، كان معهم بجسمه فقط، و اماروحه فلم تكن من سنخ ارواحهم، و هذه الروح العالية هي التي جعلته من اصحاب الحسين عليه السلام، فلقد أدبر عن الدنيا و المنافع المادية و اهتز هزة عرجت به من الدنيا الي الآخرة و من الظلمة الي النور و من الباطل الي الحق و من الكفر الي الإسلام، فاوصل نفسه الي السعادة الابدية، و اجبر التاريخ علي تسجيل اسمه في الخالدين امثال زهير و حبيب و مسلم بن عوسجة و رفاقهم.

ولو كان الحرُّ قد أصرَّ علي حرب الحسين عليه السلام كما أصرَّ الشمرو وغيره، لما حصل إلا علي دراهم و حطام ينتهي و يفني بموته أو قبل موته، و لكنك اليوم اذا سألت عن المنتصر، هل هو الحرُّ أم الشمرو؟ لقليل لك بلا تأمل: إنه الحرُّ، انتصر و نال العزَّ و الفخر، و أمَّا الشمرو فهو الخاسر المبتلي بالذلِّ و العار و الشنار و اللعنة الابدية.

وقس علي ذلك سائر اصحاب الحسين عليه السلام بمقارنتهم بقيادة جيش الكوفة، فستجد أن المنتصر هم أصحاب الحسين عليه السلام و أن الخاسر هم أهل الكوفة الذين لازالت اللعنة تلاحقهم أبداً.

فاين مسلم بن عوسجة و أين شبث بن ربعي؟ و أين حبيب بن مظاهر و أين عمرو بن الحجاج؟ و ابن عمرو بن قرظة الانصاري و أين أخوه الذي كان في جيش ابن سعد؟ انها مقايسة الخلد بالفناء و النور بالظلمة و الطُّهر بالرجس.

فاسم حبيب و مسلم و عمرو بن قرظة و سائر أصحاب الحسين عليه السلام هي أسماء حبيبة الي القلوب، و أمَّا اسماء اولئك الملعونين فهي في عداد أسماء أبي جهل و امية و الكفار و الاشقياء.

فلا شك إذن، في تحقق نتائج تضحيات أولياء الله و لا في ظفرهم و موقفيتهم، و هذا حكم فطري و عقلي و شرعي مسلّم، لا يمكن إنكاره بحال من الاحوال، و بذلك نال هؤلاء الفوز في الدنيا و الآخرة:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ»⁽¹⁾

و نحن و ان كنا قد أشرنا الي بعض نتائج الثورة الحسينية، و لكن، و لكي يتَّسق هذا البحث مع هيكلية هذا الكتاب، نذكر بعض نتائج الثورة محاولين0.

ص: 350

بقدر إستطاعتنا وقصورنا، اكمال البحث، و لانه يرتبط بالمطالب السابقة، فنعتذر مسبقاً عن التكرار في بعض الموارد:

1 - التقرب و الارتقاء

إن من أهم نتائج ثورة الحسين عليه السلام هو ثمرة القرب و ارتقاء الدرجة العالية التي نالها الحسين عليه السلام عند الله عزوجل.

فقد ورد في الأحاديث و الاخبار، أن تضحيات و فداء الحسين عليه السلام و تحمّله للرزايا و المصائب في سبيل الله و احياء دينه، كان لها بركات و ثمرات كثيرة يعجز القلم و اللسان عن بيانها و تعدادها، و فضل ان يتتبعها القاري العزيز في كتب الحديث و المقاتل ككتاب العوالم، البحار، نفس المهموم و غيرها من الكتب المدونة في عدة لغات، ليقف علي تلك الاخبار التي تتضمن فضيلة الثورة و بركاتها و الثواب الجزيل الذي يناله الحسينيون و زوّار الحسين عليه السلام و الباكون في مصيبتة و انشاد الشعر في رثائه، و حتي استذكار عطشه و عطش عياله و أطفاله و أصحابه حين سُرب الماء، و كلّ ذلك الثواب هو من بركات الثورة الحسينية و للتبرك و التيمن نذكر واحداً من تلك الاحاديث:

روي الشيخ الصدوق باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان النبي صلي الله عليه و آله في بيت ام سلمه فقال لها: لا يدخل عليّ أحد. فجاء الحسين عليه السلام و هو طفل فما ملكت معه شيئاً حتي دخل علي النبي صلي الله عليه و آله فدخلت ام سلمه علي اثره فاذا الحسين عليه السلام علي صدره و اذا النبي صلي الله عليه و آله يبكي و اذا في يده شيء يقلبه و قال النبي صلي الله عليه و آله يا امّ سلمه إنّ هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول و هذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك فاذا صارت دمماً فقد قتل حبيبي، فقالت ام سلمه يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه

ص: 351

قال قد فعلت فأوحى الله تعالى أن له درجة لا ينالها احد من المخلوقين وأ «له شيعه يشفعون فيشفعون وأن المهدي عليه السلام من ولده فطوبى لمن كان من أولياء الحسين عليه السلام وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة. (1)

2 - نجاه الإسلام

و من أهم نتائج الثورة الحسينية، إنقاذ الإسلام من مخالب مخططات بني امية(2).

ولكي نقف علي إن حفظ بقاء الإسلام والشريعة واستمراريتها وتكريم القرآن الكريم، مرهون بتضحيات الحسين عليه السلام لا بد من تذكر المخاطر التي كانت تهدد الإسلام من جهة بني امية، ومن خلال مطالعة سيرة هذه العائلة والشجرة الخبيثة.

فكل من طالع تاريخ الإسلام متبعاً لمخططات بني امية في الجاهلية والإسلام، سيؤمن بأن الإسلام كان في طريقة الي الزوال والطمس والاضمحلال بفعل بني امية.

ص: 352

1- نفس المهموم ص 24 حديث 24.

2- قد يقول قائل ان بني امية اقل قدراً من محو الإسلام، لقوله تعالى: «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» وقوله تعالى: «ياأي الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون» فكيف يدعي ان الدين كان في معرض الزوال وان الحسين عليه السلام هو الذي حفظه؟ والجواب: ان الله سبحانه وتعالى أبي أن تجري الامور إلا بأسبابها والحسين عليه السلام من تلك الاسباب لاجراء مشيئة الحق جلّ وعلا، كما كان النبي صلي الله عليه وآله باني اساس التوحيد بامر الله ومؤسس الدولة الاسلامية وهكذا فان علي بن ابي طالب عليه السلام هو حافظ الدين والمدافع عنه والذاب عن حريمه، ولو لم يكن سيف علي عليه السلام لما كان هذا الدين قائماً، وكذلك الحسين عليه السلام بمظلوميته وفدائه حمي هذا الدين فكلهم اسباب لاجراء المشيئة الربانية لحفظ الدين.

فمنذ بداية البعثة النبوية الي حين اجتماع دار الندوة(1) و هجرة النبي صلي الله عليه و آله، و مروراً بحرب أحد و غزوة الاحزاب وفتح مكة، تجد أن لبني امية دوراً فاعلاً في ايجاد المخاطر المحدقة بحياة النبي صلي الله عليه و آله، و رسالة التوحيد و دين الإسلام، سواءً بشكل مباشر أو بواسطة، و لقد كانت دار أبي سفيان مركز قيادة العمليات التخريبية السياسية و العسكرية ضد الدعوة و الإسلام.

و لقد كان أبوسفيان و زوجته هند و اخته حمالة الحطب، و اولاده حنظلة و يزيد و معاوية، و ابو زوجته عتبة و عمّ زوجته شيبة، و اخو زوجته الوليد، و ابن عمّه الحكم و مروان و باقي افراد هذه العائلة الملعونة، ليس لهم همّ في الجاهلية و في عصر الإسلام إلا ايجاد المخاطر لدين الله، و إنّ حقدّهم الجاهلي الدفين لم يخرج من صدورهم أبداً حتي بعد الإسلام.

فالنبي الاكرم صلي الله عليه و آله كان يعرف أخطار بني امية علي الإسلام و الدين، من خلال معاشرته لهم أيام حياته و إبان دعوته الناس الي الإسلام، مضافاً الي ما كان يُوحى اليه من السماء بمخاطر هذه الشجرة الملعونة و عواقب امورها و هو ما كان يُخبر به مراراً و تكراراً كما إنّ الله عزوجل قد أخبر في كتابه الكريم بخطر هؤلاء عندما وصفهم بالشجرة الملعونة).

ص: 353

1- و خلاصة القصة: إنّ قريشاً اجتمعت في دار قصي بن كلاب و هو محل المشورة و اتخاذالقرارات السياسية المهمة و يسمي بدار الندوة، و قرروا تصفية النبي صلي الله عليه و آله حسدياً للتخلص من الإسلام الي الابد، فاخبر الله عزوجل نبيه بذلك و امره بالهجرة الي يثرب و ترك علي عليه السلام ليبيت تلك الليلة في فراشه فاديا له بنفسه، و لذلك مكر الله و الله خير الماكرين. و دُفع شرّ المشركين عن النبي صلي الله عليه و آله و كان ابو سفيان و عتبة و شيبة من جملة المتآمرين في دار الندوة علي النبي صلي الله عليه و آله (سيرة ابن هشام ج 2 ص 93).

ولقد أفضّل النبيّ صلي الله عليه وآله بعون الله و لطفه، كلّ دسائس هؤلاء و تجيشهم الجيوش و تخزيهم الاحزاب لدفن الإسلام، و لم تمرّ إلاّ ايام قلانل حتي تهدمت كل قلاع الكفر و الشرك و انتصر جند الله علي قوي الشرّ و الصّدّال، و تلاحت الفتوحات الاسلامية، فتيقنَ بنو امية بضعفهم و عجزهم عن مواجهة الإسلام و جهأ لوجه، و عرفوا أنّ حمل راية الشرك لم تعدّ نافعة و لا ناجعة، و أنّ عهد الوثنية قد ولى و أنّ الدعوة الي التوحيد و الاخوة و المساواة قد شغفت العالم بحبّ النبي الاكرم صلي الله عليه وآله، و انه يستحيل عكف القلوب من التوحيد الي الشرك و من الاخوة و العدالة و المساواة و الحرية الي التسلط القبلي و الفئوي و الفردي، فلم يجدوا سبيلاً للنيل من الإسلام إلاّ ارتداء عباءة النفاق و التظاهر بالاسلام.

فلم يعدّ للدعوة الي الشرك و مواجهة النبي صلي الله عليه وآله اذنٌ صاغية اذ كان الناس قد ذاقوا حلاوة دعوة التوحيد فلم يعدّ بالامكان استبدالها بعلقم الكفر و التمايز الطبقي، و لم يعدّ بالامكان استبدال الآمال الرائعة للايمان، بكوابيس عصر الجاهلية الموحشة.

فالقائد الربانيّ، متواضعٌ، حرّ شريف، رؤوفٌ عطوف، بسيط في عيشه، يواسي ابسط الرعية، و القوانين السماوية للدين الجديد، تطبّق علي الجميع بلا استثناء، و النبيّ الاعظم يجالس الفقراء و المساكين و يُصاحبهم، و كانت اخلاقه الرفيعة قد اجتذبت القلوب اليه و الي كتابه السماوي، و أنساهم اللات و العزّي و مناة الثالثة الاخري، و أنساهم أبا سفيان و ملاّ قریش.

لقد وعي بنو امية هذه الحقيقة جيداً، و عرف أبو سفيان و بطانته أنّ فكرهم و مبادئهم قد قُضيَ عليها الي الابد، و أنّ الفكر التوحيدي قد غزاهم في عُقر دارهم، فلم يشأ أبو سفيان تضييع الوقت لنلا يتأخّر عن قافلة رفاقه الذين سبقوه في

الوصول الي هذه الحقيقة بثمانية أعوام، ولذا اظهر اسلامه مكرها مضطراً.

وما أن وضع أول قدم له في هذا العالم الجديد، حتي بدأ يحيك المؤامرات و الدسائس، و يُشعل الفتن و يحاول إحباط العزائم و الهمم، مُتحيناً الفرصة لظعن الإسلام من الخلف، و قلع جذور شجرة التوحيد الغصّة.

وما أسرع ما فُجع العالم الإسلامي برحيل النبي الأعظم محمد صلي الله عليه و آله، و اظلت المجتمع غمامة تشنّج فكري كاد معها البعض ان يرتدّ، و اختلف القوم في الخلافة، و أقصي بنو هاشم الذين كانوا يرون في علي عليه السلام الخليفة المنصوص عليه و المعين من قبل النبي صلي الله عليه و آله، و استولي آخرون علي سدة الحكم.

و هنا حاول ابو سفيان التصيّد في الماء العكر، سعياً في إشعال الفتنة و القضاء علي الإسلام و اعادة الجاهلية الي الجزيرة العربية.

ولو أن ابا سفيان كان قد نجح في ذلك اليوم في اثاره الفتنة و الحرب الداخلية و كانت السيوف قد شهرت في المدينة و قاتل المسلمون بعضهم البعض، لارتدّ الناس بابشع صور الارتداد، إذ أن أكثر الناس كانوا حديثي عهد بالاسلام و لم تكن الشريعة و الايمان قد تركزا في نفوس اهل القرى و البوادي و القبائل العربية البعيدة عن المدينة، أضف الي ذلك أن نفس رحيل النبي الاكرم صلي الله عليه و آله قد هزّ القلوب، و شكك ضعفاء الايمان، بمستقبل الإسلام.

و في مكة بلغ الوضع حداً من التوتر جعل عتاب بن أسيد والي مكة يتواري عن الانظار، و راح البعض يفكر في تحصيل الامارة و الحكم لو لا خوف تقسيم الدولة الإسلامية و هدم وحدة المسلمين و ردّة المجتمع الي الكفر.

في تلك اللحظات الحساسة، كان سلّ السيف مساوقاً لسقوط الإسلام، و كانت ابواب الفتنة و الامتحان مفتوحة علي مصراعيها بوجه المسلمين.

ولما كان أبو سفيان واقفاً تماماً علي دقائق هذه المسائل، فكّر جاداً في استغلال الظرف لاشعالها فتنة داخلية، و من الواضح إنه في الحالة تلك يلتزم بني هاشم و انصارهم و خاصة علي بن ابي طالب عليه السلام لقربه من رسول الله صلي الله عليه و آله و لمحبوبيته و شهرته، و لانه الاحق بالخلافة من غيره، و قد أُقصي عنها، مضافاً الي عدم اعتراف فاطمة الزهراء و بنت رسول الله و سيدة نساء العالمين عليها السلام، بحكومة ابي بكر، مما حادي ببني هاشم الي الامتناع عن البيعة و التجمهر للاحتجاج في المسجد و دعوة ابي بكر الي التراجع و التخلي عن الخلافة لعلي عليه السلام.

فجاء أبو سفيان الي علي عليه السلام و قال: «مُدَّ يَدَكَ لِأَبَايَعِكَ فَوَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَأَمَلْتُهَا عَلَيْهِمْ خَيْلاً وَرَجَلاً.»(1)

و قد لا يكون ابوسفيان مبالغاً في عرضه بتجيش الخيالة و الرّجاله، اذ إنّ مكّاراً مثله، كان قادراً علي اعداد ذلك لعلي عليه السلام الذي له من السوابق في الايمان و الجهاد و العلم ما يسهل مهمّة ابي سفيان.

و لكن علياً عليه السلام لم يكن ليرضي بذلك، خاصة من أبي سفيان الذي حرّب الاحزاب لحرب النبي صلي الله عليه و آله و الإسلام، فكيف يرضي علي عليه السلام أن يستعين بجيش يقوده أبو سفيان لضرب المسلمين بعضهم ببعض، و لقد اراد أبو سفيان بذلك ان يُعيد الاحزاب ثانية بثوبٍ جديد و لكن علياً و هو امام اهل الحق و عشاق الحقيقة، لم يكن طيلة حياته مائلاً الي الدنيا و حبّ السلطان و الانتفاع الشخصي و لو بمقدار ذرة او مثقال ذرة، فما كان منه إلا ان يصفع ابا سفيان بكلمات اعادته خائبا الي ادراجه.7.

ص: 356

لقد كان علي عليه السلام مأموراً من قبل النبي صلي الله عليه وآله باتخاذ موقفٍ ما حدّ عنه قيد أنملة.

كان علي عليه السلام يعلم جيداً أن شَهر السَّيف بوجه أناسٍ لا يعبأون بالفتنة الداخليّة، ولا تَهْمُهُم المصلحة الاسلاميّة العليا، لا يُثمر إلاّ هدم الإسلام و كان علي عليه السلام يعلم جيداً أنّ أولئك القوم سيحاربونه بكل ما أُوتوا من قوة و لن يتنازلوا عن مخطّطهم و أنّ النتيجة مهما كانت فهي في ضرر الإسلام.

ولذا، و لَمّا كان علي عليه السلام عارفاً باخلاقية الخصم و حرصه علي الزعامة و طمعه بالملك، أظهر حِلماً و عَمَدَ سيفه، و جلس في داره، و طرد ابا سفيان و خاب املُ ابي سفيان في توجيه ضربة قاصمة للإسلام، و بقي يتحَيَّن الفرصة، حتي وُلِّيَ عثمان الحكم و اعتلي بنو اميَّة (أعداء رسول الله) سدّة الحكومة و الادارة، و لذا دخل الي مجلس عثمان و قال قولته الكافرة المعروفة.

و لم يكن ما قام به عثمان طيلة مدة خلافته إلاّ ما يُقرُّ عينيّ ابي سفيان و موافقا لمقاصده و خطوة في طريق تحقيق مخطّطه، فلقد فسح عثمان المجال لبني اميَّة في التدخل بكل شؤونات الخلافة، و فتح لهم بيت المال يغترفون منه ما شاءوا و ولّاهم الولايات، و إستوزر مروان بن الحكم، طريد رسول الله صلي الله عليه وآله و وُلِّيَ الوليد الفاسق السكير، الكوفة، و استقل معاوية علي الشام بلا رقيب و لا حسيب.

و عندما قتل عثمان بعد الثورة عليه، رفع معاوية قميص عثمان و استشعر به، مع أن المنتفع الاوّل من قتل عثمان هو معاوية ابن ابي سفيان الذي خلّي بين عثمان و بين الثائرين عليه و لم يحاول ايصال المدد اليه و نصرته، و خرج علي الخليفة المنتخب الحق، و اشعل نار تلك الفتنة، و قتل اصحاب رسول الله صلي الله عليه وآله و ثار لقتلاه ببدر و غيرها، من المهاجرين و الانصار.

وعندما اغتصب الخلافة بالمكر والاحتيال، استهان بالاحكام الشرعية و التعاليم الاسلامية، وروج سب أمير المؤمنين عليه السلام علي المنابر التي اشادها علي عليه السلام بسيفه، و سلط زياد ابن أبيه علي الكوفة فعاث الفساد بأهلها و هتك الحرمات و نهب الاموال، ولكي يبقي الحكم في دائرة عائلته الضيقة المشنومة، استخلف ولده يزيد الرجس و المعاصي و الفجور، و لقد كان يزيد باراً بأبيه حينما اتم ما بقي ناقصاً من جرائم معاوية و هتكه لشعائر الله.

تري كيف سيكون مصير الإسلام، اذا اتكي علي مسند الخلافة صبي متهتك فاسق، سكير كيزيد بن معاوية؟

هذا الغلام الذي يتهم علناً و بكل وقاحة، نبي الإسلام العظيم باللعب بالملك، و بالكذب؛ خاصة و إن الإسلام لا يفصل بين الحكم و الدين و إن القائد السياسي هو نفسه القائد الديني؟

فمن الواضح إن الإسلام سيضيع و يندثر و تُقرأ فاتحته، و لا شك في أن هذه الفعال القبيحة سيكون لها أثر داخل و خارج الدولة الاسلامية مما يؤدي الي ضعف ايمان الناس و تزلزل اعتقاداتهم.

فاذا كان الخليفة يحتسي الخمر علناً، و يقيم مجالس اللهو الطرب و المجون، و يلعب بالقردة و الكلاب، و يرتكب الكبائر، و يستهزأ بدين الله، و يستخف بالاحكام، فعلي الإسلام السلام.

فاراد الحسين عليه السلام أن يحد من تحقق كل تلك الاثار السلبية لهذا الاستخلاف المشنوم و أن يمنع الانحراف الخلاقي و العقائدي عند الناس، و أن يفهم العالم معني الدين و الخلافة و الحكم الاسلامي و اهداف دعوة جدّه الاكرم صلي الله عليه و آله.

لقد قرّر الحسين عليه السلام تعظيم الدين و اعلام الناس بان الإسلام هو الاغلي و انه

يستحق التصحية بكل غال ونفيس من الاموال والاولاد والاصحاب والنفس وانه اعزُّ من كل شي.

وقرر أن يلفت انظار الناس عملياً الي ضرورة تعظيم الفرائض والواجبات الدينية ورعايتها والي أهمية الذنوب والمعاصي.

وقرر أن يعلم الناس درساً في التدبُّن والاستقامة والثبات ومقارعة الظالمين والكفر والكافرين.

وقرر حفظ الإسلام من الاندثار، و احياء الكتاب والسنة ولم يكن هناك طريق لذلك، إلا الثورة والامتناع عن البيعة و سلب اعتبار افعال يزيد المنكرة و سلوكه المنحرف و ذنوبه الكبيرة، دليلاً علي بطلان خلافته و حرمة مبايعته، و لقد ثبت و اصرَّ الحسين عليه السلام علي ذلك حتي استشهد و فدي الدين بنفسه.

و لقد كان المجتمع يعلم جيداً أنَّ الدين و احكام الإسلام التي صارت لعبة بيد يزيد يلعب و يهزأ و يستخفُّ بها، لهي عزيزة الي درجة ان شخصا كالحسين عليه السلام يضحي بنفسه و اهله من اجل حفظها و اعزازها.

لقد زعزع الحسين عليه السلام يزيداً و حكمه، و فضح شخصيته المتهتكة الاجرامية وانه بعيدٌ كلَّ البعد عن القرآن و الدين و القيم و المثل، و انه عنصر الخبث و الشرِّ، المتلوث بلوث الفحشاء، و الغارق في بحر الفجور، و انه عدو للإسلام و نبيِّه و اهل بيته.

و لقد عجز بنو امية بعد استشهاد الحسين عليه السلام من توجيه ضربة قاصمة للإسلام و طعنة في ظهره، فلقد إتضح للجميع أنَّ بني امية لا يمثلون للإسلام، و انهم ثلَّة مجرمة مستبدة، تسلطت علي رقاب الامة الاسلامية بالقوة و بريق السيوف و الرُّشا و أنَّها خائنة للإسلام و متربصة به الدوائر.

لقد اثارت قضية كربلاء احساس و عواطف الناس، الي درجة انهم ازدادوا تعلقاً بالدين و احكامه، و كبر التزامهم بالشيعة علي الرغم من سياسة بني امية المحاربة للدين.

و من هنا فلا نبالغ اذا ما قلنا كما قال الشاعر الهندي الكبير «معين الدين الاجميري» بان الحسين عليه السلام هو المؤسس الثاني للدين و باني قصر الإسلام العظيم و مجدد هيكـل التوحيد و الوحدانية.

3 - إيقاف الشعور الديني

كان الشعور الديني عند عامة المسلمين قد ضعف نتيجة لاعلام معاوية و منهجه و خطط ولاته، و ابتعاد الناس عن عصر الرسالة و تعطيل الاحكام و منع نشرها و منع التبليغ الديني الصحيح، و اقضاء الاخير و التخب و العلماء. و قد وصل انحطاط الشعور بالمسئولية الي درجة الخنوع و الخسوع و الاستسلام لسياسة الحكم الاموي.

فلقد سري الاحساس بالذلّ و المهانة و الظلـيمة في المجتمعات الاسلامية، سريان السرطان المنتشر، و عمّ الاسترخاء و الضعف و الخواء الفكري في هيكـل المجتمع، فاقعده عن التأثر بالمنكرات و المظالم فضلاً عن التأثير لاصلاح الامور فاصبحوا يساقون كما تساق الانعام و كما قال عبد الله بن همام السلولي:

فان تأتو برملة أو بهندئبايعها أميرة مؤمنينا

فكان بنو امية يولون من يشاؤون علي رقاب الناس، و لو أنّهم ولّوا نساءهم و جواريتهم و قرودهم، لما اعترض عليهم احدٌ خوفاً من السجن و القتل و مصادرة الاموال.

إنَّ صفات الكمال التي كان يتحلي بها المسلمون أيام رسول الله، كالخلوص و الفداء و الشجاعة و الاقدام و عدم الخوف من الموت، أصبحت كلها في خبر كان الناقصة، و لم يبق من أبطال الايمان و رواد الفضيلة الذين كانوا يتسابقون الي الشهادة في سبيل نصره الدين، الا عدة قليلة استشهدت مع الحسين عليه السلام في كربلاء، أو بقيت بعيدة عن ساحة الاحداث، أو رُجَّ بها في غياهب السجون.

إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام و اصحابه البررة، أيقظ ضمير الامة السابت، و احبب الخصال الإنسانية عندها، و علّم المسلمين دروس البطولة و الالباء و الاستقامة و الفداء، الي درجة أن بني امية كلّموا اخمدوا ثورة من الثورات التي إندلعت ضدّهم ببركة دمائه الحسين عليه السلام و اهله، لم تخمد تلك الروح الرسالية الاستشهادية المتأججة عند المسلمين حتي عاد القتل في سبيل القيم و الحق فخراً يعتزّ به المسلمون.

لما نظر مصعب بن الزبير الي حليلته سكينه عليها السلام مكتئبة حزينة قال لها: «لَمْ يَبْقِ أَبُوكِ لِابْنِ حُرَّةٍ عُدْرًا»

و انشد قائلاً:

وإنَّ الأولي بالطفِّ من آل هاشمٍ تأسوا فَسَنُوا للكرام التأسيا

4 - ازدياد محبة اهل البيت عليهم السلام و بقيّة السيف

«إنَّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات سيَجعلُ لهم الرَّحمنُ وُدًا»(1)

ذكرنا أنّنا إنّ الله سبحانه و تعالي أودع قلوب الناس محبة اهل بيت النبي صلي الله عليه و آله

ص: 361

فلا تجدُ مسلماً مؤمناً يحبُّ نبيَّ الإسلام صلي الله عليه وآله ولا يحبُّ عزيزته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام وريحانتاه الحسن والحسين وإخاه وابن عمِّه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام وقد أكدَّ هذا المعنى الإمام السجاد عليه السلام في خطبته في مسجد الشام عندما عدَّ ما خصَّهم الله به من الخصائص التي من جملها: «والمحبَّة في قلوب المؤمنين».

وكان من جملة بركات النهضة الحسينية وآثارها، ازدياد تلك المحبة وترسيخها في القلوب، ولاغرو في أنَّ الشجاعة وصدق الحديث، والثبات علي المبادي، والبطولة، والمظلومية ومقارعة الظلم والظالمين تُعدُّ من الصفات الحبيبة والتي تقرَّب المتصفيين بها الي القلوب.

ومن خلال قراءة اللوحات الشعرية التي انشدت بعد استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام في رثائه ومدحه ومدح آل علي، يظهر لنا بوضوح مدي عمق التأثير الذي تركته مظلومية الحسين عليه السلام في قلوب المسلمين، فإنَّ بعض تلك الأشعار تتضمن معاني الحبِّ والولاء الصادقين بدرجة الهيام والذوبان.

ومهما أسهنا في شرح ذلك الحبِّ والارتباط الروحي للمسلمين بالحسين عليه السلام، فهو قليلٌ في جنب الواقع. فهذه المراسم والشعائر التي تقام في الهند والباكستان والعراق وإيران ولبنان وسورية والبحرين والاحساء وأفغانستان ومصر وفي دول عديدة في أوربا وحتى في أمريكا وأستراليا، خاصةً في بعض الليالي والايام الخاصة كيوم عرفة والنصف من رجب وشعبان وال عشرة العاشوراءئية والاربعين، كلُّ ذلك يدلُّ بوضوح علي أنَّ الحسين عليه السلام قد ملَّك القلوب الي درجةٍ تحيِّرُ العقول ودخل عشقُه وحبُّه حتي في قلوب الاجانب من غير المسلمين، فلا تنحصر هذه المراسم في مرقد الحسين عليه السلام الطاهر وحواليه، بل تقام في

كل المقامات المنسوبة اليه أو الي احد ابنائه أو اخوته أو بناته.

و اذا ما حضرت الي البقعة المنسوبة الي رأس الحسين الطاهر في القاهرة، يوم عاشوراء، و ليالي الاثنين في «مشهد السقط» بالقرب من حلب و مشهد السيدة رقيه بنت الحسين عليه السلام في دمشق عاصمة الحكم الاموي، و مشهد السيدة زينب و مقام راس الحسين في مسجد دمشق، و مقام السيدة زينب في مصر، لوقفت علي عمق الحبّ الذي تركه استشهاد الحسين عليه السلام في قلوب مسلمي تلك البقاع، فان المراسم في بعضها لا يقلّ كثافة و حماساً عن المراسم التي تقام في كربلاء و بالقرب من مضجعه الطاهر.

حجّ هشام بن عبد الملك فلم يقدر علي استلام الحجر الأسود من الزحام، فُنُصِبَ له منبر مجلس عليه و اطاف به اهل الشام فيبينما هو كذلك اذ اقبل عليّ بن الحسين عليه السلام و عليه ازار و رداء من احسن الناس وجهاً و اطيهم رائحةً، بين عينيه أثر السجود فجعل يطوف فاذا بلغ الي موضع الحجر تنحّي الناس حتّي يستلمه، هيبه له، فقال شاميّ: من هذا يا أمير؟

فقال هشام: لا أعرف (غَضَباً و حَتَقاً علي اهل البيت عليهم السلام) لئلا يرغب فيه اهل الشام. فقال الفرزدق و كان حاضراً: لكّني أنا أعرفه، فقال الشاميّ: من هو يا أبا فراس؟

فانشأ الفرزدق قصيدة طويلة في مدح أبي الحسن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، منها:

يا سائلي أين حلّ الجودُ و الكرمُ

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التّقيّ الطاهر العلم

إذا رأته قرئش قال قائلها

ومنهُ يُعرف مَدِي حُبِّ النَّاسِ وَتَعَلُّقُهُمْ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعِزَّةُ وَعِظْمَةُ الْإِبْنِ الْوَحِيدِ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَقِيَّةِ السَّيْفِ الْأُمَوِيِّ
الَّذِي لَمْ يَرْحَمْ حَتَّى الرُّضْعِ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ.

كما يستفاد من هذه الحكاية، شدّة عطش الناس الي ذكر فضائل اهل البيت عليهم السلام فالفرزدق كان يعلم أنّ إنشاء تلك القصيدة في ذلك المجمع و بمحضر هشام الغاضب، سيكلفه غالياً، فلم يمنعه ذلك من الاعلان عن مقام وفضل اهل البيت عليهم السلام.

و هذه هي الحقيقة التي عبّر عنها أمير المؤمنين علي عليه السلام بكلمة قصيرة حينما قال:

«بِقِيَّةِ السَّيْفِ أَبْقِي وَأَكْثَرُ وُلْدًا»⁽¹⁾

فموجبات البقاء و الكثرة و العزّة و العظمة، توفرت لاهل البيت عليهم السلام من خلال تضحياتهم و صبرهم و جهادهم و صدقهم مع الله،
بعكس اولئك الخانعين الاذلاء للظلمة.

و طبقا لما رواه حمد الله المستوفي، فإنّ يزيد بن معاوية كان له ثلاثة عشر 4.

ص: 364

1- نهج البلاغة ج 3 ص 169. ك 84.

ولد(1)، و لكنك اليوم لا تجد احداً ينتسب الي يزيد!! ولو وجد ذلك الأحد، فانه سيستكف عن نسبه الوضيع هذا و لا يصرح به خوفاً من العار و يُخفيه خوفاً من ان تلحقه لعنة اللاعنين.

و لم يبق للحسين عليه السلام من اولاده الذكور، يوم عاشوراء إلا علي بن الحسين عليه السلام و لكنك اليوم تجد عشرات الملايين من السادات و الشرفاء من اولاد زين العابدين عليه السلام، مشهورين و معروفين و منتشرين في الاصقاع و الممالك الاسلامية، و الذين يُكَنُّ لهم المسلمون - بسنتهم و شيعتهم - كلَّ احترام و تجليل و تبجيل، و يتبركون بهم.

5 - مدرسة عاشوراء

و من جملة ثمرات استشهاد الحسين عليه السلام التي لازالت الاجيال و علي مرَّ العصور تنتفع بها، تلك المراسم و الشعائر التي تقام لاحياء ذكراه، و ذكر مصائبه و نواب اهلته و عيالاته، و علي طول ايام السنة(2).

ص: 365

1- حجة السعادة ج 2 ص 3. مروج الذهب ج 3 ص 36.

2- للمستشرق الفرنسي المعروف، الدكتور رينو (جوزيف)، بيانٌ وافي في كتابه «الإسلام و المسلمون» تناول فيه بعمق فلسفة الشعائر الحسينية بكل أشكالها من الناحية السياسية و الاخلاقية و تربية النفوس و تكميلها مشيراً الي تمركز هذه الشعائر عند الشيعة في ايران، معتبراً انه السرّ في بقاء و قوة شوكة الشيعة في المستقبل و تنامي نهجهم و تزايد عددهم. و اشار المستشرق المذكور الي الاوقاف الشيعية و الحقوق الشرعيّة التي يصرفها الشيعة في احياء مراسم عاشوراء و اقامة مجالس العزاء علي الحسين عليه السلام و قال: ان ما سوي الشيعة من المذاهب الاسلامية، لا يبذلون ما يبذله الشيعة من الاموال في الدعوة الي الدين، و قد يعادل بذل الشيعة ثلاثة أضعاف بذل الاخرين في نفس السبل، و لو أنّ شيعياً كان يعيش بعيداً عن اهل ملّته و في ابعد نقاط العالم، فانه سيقوم لوحده مجلس احياء ذكر الحسين عليه السلام و ينفق علي الفقراء و يُطعم الطعام، و يكون بذلك داعية في الواقع الي الدين. و للمنبر و الوعظ و الارشاد و الخطابة، دور مهم في تربية الخطباء و الوعاظ و المتحدثين الاكفء لتعريف الناس و تعليمهم المعارف و الأخلاق الرسالية. فالمنبر يتناول مختلف المسائل الدينية و العقائدية و الفكرية و الاخلاقية، بالبحث و الدراسة، بنحو يكون الفرد الشيعي اعلم من اقرانه من سائر المذاهب، في تلك العلوم و المعارف. و لو القينا نظرةً الي الاقطار الاسلامية، لم نجد كالشيعة سباقاً في الميادين العلمية و الصناعية و الاقتصادية، فالاستعداد للابداع و الترقى و كسب العلوم الحديثة، اوضح عند الشيعة من غيرهم، كما ان اليد العاملة الشيعية اقدر من مثيلاتها من سائر الفرق، و اكثر عدداً بالقياس الي نسبة نفوسهم. و ان الشيعة لم ينشروا مبادئ مذهبهم و فكرهم، عن طريق القوة و السلاح، بل فعلوا ذلك بقوة التبليغ و الفكر و الأخلاق. ان اهتمام الشيعة باحياء هذه الذكري و ما يظهر من كرامات في تلك المجالس ادي الي ان يشترك ثلثا المسلمين بل و الهنود و المجوس أيضاً، في تلك المراسم. و من هنا، يمكننا الحكم بان عدد الشيعة سيزداد في المستقبل القريب و قد يفوق عدد اتباع المذاهب الاخرى، و قد استطاع التشيع من النفوذ الي الملل و اهل المذاهب الاخرى، و تمكن الشيعة من تبليغ و إيصال اصول مذهبهم الي الاخرين، و قد حققوا ما يحلم ساسة الغرب به، بما يبذلونه من اموال طائلة لنشر المسيحية. ثم يتطرق المستشرق الي «مواكب الحسينية و الرايات و علائم العزاء، و يشرح بالتفصيل تأثيراتها و نتائجها و فلسفتها، و علاقة الشعائر بالاتحاد و الوحدة الشيعية و الاستقلالية و روح التحرير، و يقول: من الامور الفطرية و الطبيعية التي تدعم فكر الشيعة هو ان الطبع البشري و الفطرة الإنسانية ميّالة الي نصر المظلوم و كراهية الظالم». ان هؤلاء الكتاب و المفكرين، يدعون لحقيقة مظلومية الحسين عليه السلام و اصحابه، و طغيان و وحشية قتلهم، و لا يذكر قتلة الحسين عليه السلام إلا باقبح الاسماء و الالقاب، اذ لا شي يكبح الشعور الفطري و الادراك الوجداني، و يقف حائلاً دون تقدم

المذهب الشيعي ورُقِيَّه. وهذه المقالة، طويلة مفصلة، و من اراد المزيد فليراجع كتاب «ذكرى الحسين» ج 2 ص 204-208. تاليف العلامة مهاجر العاملي. و لقد نقلنا ملخصاً مضغوطاً لبعض تلك المطالب هنا ليعلم القاري العزيز أنَّ المستشرقين المنصفين و المفكرين و اهل النظر من علماء الملل الاخرى قد اقرّوا بنتائج و ثمرات هذه المراسم الحسينية، و تأثيراتها في المبادي الوطنية و الاستقلال و الحرية. و ليس هذا المستشرق هو الوحيد الذي التفت الي هذه الحقائق، بل هناك العديد منهم ممن يعتقد بدور ثورة الحسين عليه السلام الكبير في تثبيت دعائم الإسلام و نشره في العالم، من جملتهم المستشرق الألماني (مارين) الذي يعتقد بنفس الشي في سياسة الحسين عليه السلام و طلبه للحق، و يمتدح معتقدات الشيعة. و لكن بعض اعداء الإسلام و مرتزقة الاستعمار و ذوي الاقلام المأجورة، الذين يخافون من وقوف الشعائر و المراسم المذهبية في وجه اطماعهم الاستعمارية في الدول الاسلامية و الحدّ من نفوذهم و تحكّمهم برقاب المسلمين، خلافاً للمذاهب الاخرى و من هنا فانهم يحاولون التقليل من اهمية الثورة الحسينية، بل و يتجرأ بعضهم علي إتهامها بالفشل و عدم الفائدة. و علي العموم فان هؤلاء يحاولون الاستخفاف بكل ظاهرة من شأنها أن تقوّ شوكة المسلمين و ترفع شأنهم و توحد صفوفهم، و يحاولون تعطيل و منع هذه الشعائر و الظواهر، او الحدّ من انتشارها علي اقل التقادير، كما نرى ذلك بوضوح في دولة مصر، حيث حاولت الحكومة المصرية منع الشعائر الحسينية التي كانت تقام في عدة ارجاء من مصر و بشكل مهيب و رائع حتي زمان الملك فؤاد الذي كان تحت رعاية و حماية الانجليز، حيث منعها. و في العراق، و ان حاول الحكام منع تلك الشعائر بين فترة و اخرى و لكن، و لعلّ همة الشيعة و عزمهم و غيرتهم علي الدين، و تضحياتهم بقيت مراسم عاشوراء و الاربعين تقام بشكل رائع و مهيب يشترك فيها كل طبقات المجتمع. و قد تشرفتُ بزيارة كربلاء المقدسة قبل اعوام، و في ايام عاشوراء، فلفت انتباهي، هبة عزاء شكّلها اساتذة و طلاب الجامعات العراقية جاءوا من بغداد و الموصل و البصرة، فكان مشهداً رائعاً ليُنمُّ عن عمق تأثير الثورة الحسينية في ضمائر المثقفين. فلقد كانت تلك الهيئة موكباً مميزاً من بين المواكب الحسينية، فإن اقامة الشعائر الحسينية من خلال نافذة العلم و المعرفة، يكون أوقع في التأثير و التأثير، فلقد اثبت هؤلاء بقصائدهم هتافاتهم و راياتهم السوداء و الحمراء التي رفعوها، ان الطريق الانجح لنشر مبادي الحسين عليه السلام و تحقيق اهدافه هو سبيل الشعائر المبتنية علي اليقين و المعرفة، و في الوقت الذي اثبتوا فيه اشتراكهم مع الهيئات و المواكب الاخرى، اعلنوا عن استقلالهم و رشدهم الفكري و دركهم لحقيقة و فلسفة الشعائر الاسلامية و تعظيمها، و عدم تأثرهم بالاعلام الاستكباري الساعي الي تسخيف هذه الشعائر و الانتقاص من دورها. أجل، نحن نرى اليوم، و في المجتمعات التي تدعي التحضر و المدنية ان مراسماً تقام و في مناسبات عديدة، لا تمتُّ الي الروح الإنسانيّة و الي العقل و السيرة العقلانية، و مع ذلك لا ينتقدها احدٌ، لان اولئك الذين يقيمون هذه المسابقات هم من أهل القدرة و المال و الذين يشجعون الناس علي حضور مسابقة الملاكمة و يجبرون رجلين أو امرأتين ينتميان الي النوع البشري الكريم، علي ضرب احدها الآخر حتي الادماء و الطرح أرضاً، بلا فائدة روحية أو جسدية مرجوة من مثل هذا النزال. فكم من عين قد فقئت و اذن قد صمّت، بل و كم من إنسان مات في هذه المسابقات الفارغة، و العجب انهم يفتخرون بذلك و يهدون الجوائز للاشدّ قسوة و وحشية، و يصفقون له فرحاً بنصره!! ان التبذير و الاسراف و البذخ اليوم يعمُّ العالم الغربي، بدءاً من اعياد كانون و انتهاءً بوصايا الاموات و مراسم التجهيز و الدفن. و التي تدلّ مضافاً الي الاسراف و التبذير، علي السخف و السفاهة و خفة العقل و قلة التدبير. سبق و ان قرأت في احدي الجرائد المشهورة، ان شجرةً في أميركا، يُقدّسها الناس و يفدون لزيارتها، و ذكر المقال: ان عدد زوّار هذه الشجرة في تلك السنة قد بلغ ثمانية ملايين زائر. و المبالغ المالية التي تصرف في فرنسا و ايطاليا و دول اخرى، علي الرمالين و الفوّالين و الكهنة و قرّاء الكف و الفناجين و السحرة، كبيرة قد تعدل ميزانية احدي الدول الشرقية!! و مع كل هذا، لا تجد عاقلاً ينقض عليهم و يردعهم. و بعض المغترّبين المبهورين بحياة الغرب، يصرف علي تجهيز و دفن كلبه، اموالاً تكفي لتأسيس مستوصفٍ في قرية نائية، و يبذر المال في مراكز القمار و الطرب و الرقص، و يعتبر ذلك تمدناً و حضارة و ثقافة!! في حين ان ابناء قريته في وطنه بامسّ الحاجة الي القنوات المائية و ماء الشرب و اشباع بطونهم من الجوع. و نفس هؤلاء، و لعدائهم للإسلام و شعائره، يستخدمون اقلامهم و سنتهم المأجورة للنيل من اهتمام المسلمين بتعظيم شعائر الدين و الالتزام بالاداب و الاحكام الشرعية، منتقدين مراسم احياء ذكرى الحسين عليه السلام. و لكن، و لله الحمد، لم يُعد

لهؤلاء المستعمرين هُوة، فضلاً عن الانصار و ان الجيل الجديد من شباب الإسلام، و عي تلك الاحاييل و عرف تلك الحيل و الخدع الاعلامية المسمومة، و عرف ان اقامة هذه الشعائر و الاقتداء بسيد الشهداء، يُحيي المجتمع و يبعث روح التضحية و الفداء من اجل المبادي الفاضلة. إنَّ اقامة عزاء الحسين عليه السلام اضحي معجوناً بدماء الشيعة و رمزاً لهويتهم و استقلالهم، و أنه يستحق البذل منّا بكل غالٍ و نفيس، و علي الجميع أن يساهموا في ذلك، و يشتركوا، كما ان علي الخطباء و المبلغين ان يعرفوا الشباب و الجامعيين المثقفين، علي فلسفة ثورة الحسين عليه السلام و مبادئه ليحصّنوهم من الإعلام المضاد، و يحفظوا استقلالية العالم الاسلامي. و اذا ما رام الشيعة و المسلمون عامة، ان يطووا مراحل الترقّي و التطور، فعليهم ان يتلمذوا في مدرسة العشق و الشهادة الحسينية فهذه المراسم العاشورائية، ليست مضادة للتطور العالمي و التكنولوجي و الاكتشافات و الاختراعات و غزو الفضاء و سائر مظاهر المدنية الحديثة، بل هي موافقة تماماً و انها من جملة السبل الكفيلة بالوصول بالانسان الي مدارج الرقيّ و التقدم.

وقد يتصور البعض خطأً، أنّ الشيعة يبذرون الاموال حينما يصرفونها في اقامة مثل هذه الشعائر؛ ولكن الواقع يُشير الي غير ذلك، فالاستفادة المعنوية من هذه المراسم، و تأثيرها في تربية و تهذيب المجتمع واضحة الي درجة القطع بخطأ هذه المقولة، بل هذه المراسم و الطقوس هي من أفضل و انجح سبل الاصلاح و انها مدارس تربية و تعليم للقيم و المبادئ الاسلامية الرفيعة، و إنّها وسائل إحياء أمر اهل البيت، و رمز بقاء التشيع و فكره الاصيل، بل بقاء الإسلام و الدين.

و لو خصّصت آلاف الملايين من الاموال و عائدات الاوقاف لترويج

ص: 369

التعاليم الاخلاقية والاجتماعية، وكانت صفوفها دائرة عامرة علي طول ايام السنة، لما حققت ما حققته المجالس الحسينية ولما استطاعوا المحافظة علي استمراريتها لكل هذه القرون المتمادية.

ولكنَّ الحسين عليه السلام و برأسمال الفضيلة و الخلق الرفيع و بتضحياته في سبيل الحق، اسس مدرسة منذ اكثر من ثلاثة عشرة قرناً من الزمان لازالت صفوفها دائرة عامرة علي طول ايام السنة، متزايدة شعبها و تشعباتها، و فنونها و علومها، يرتادها الرجال و النساء و الشباب و الشيوخ و الاطفال و كل طبقات المسلمين الفكرية و الاجتماعية، ليتعلموا دروس الحقيقة و الفداء.

إنَّ قراءة و استماع تاريخ تضحيات الحسين عليه السلام، و نهضته و ثباته و ثبات أصحابه، يقوِّي ايمان الانسان و يرسخ معتقداته الصحيحة و يعلو بهمة و ارادته.

إنَّ هذه المراسم التي تقام كلَّ سنة في المساجد و الحسينيات و البيوت و المنتديات، لَهِيَ ادوات المبارزة مع الظلم و الظالمين و الوقوف بوجه سلاطين الجور، و الكفر و الشرك، و إعلان إنتصار الحسين عليه السلام!

إنَّ احد أنجح الوسائل و السبل لترغيب الناس بالمبادي و القيم، هو ضرب الامثلة الحية الواقعية لهم، و حكاية تاريخ المتميزين في هذه المجالات، و ايُّ تاريخ و ايُّ نموذج و ايُّ قدوة أفضل من الإمام الحسين عليه السلام علي مرَّ التاريخ؟

إنَّ مجالس عزاء الحسين عليه السلام هي افضل مجالس التبليغ و الدعوة الي الإسلام.

ففي تلك المجالس، يتعرف روادها علي المعارف القرآنية و أصول و فروع الدين و التفسير و الحديث و سيرة النبي صلي الله عليه و آله و الأئمة و الصحابة، و المواعظ و الحكم و الأخلاق و علوم الاجتماع و التربية مضافاً الي الحقائق الكونية و الطبيعية.

و في مجالس الحسين عليه السلام يتعلم الفرد منهج التربية الاسرية و الاجتماعية و

الواصر التي تربط الانسان ببني نوعه.

ولا شك في أن ذلك من أفضل السبل لتحقيق هذا الغرض، فالحسين عليه السلام قوة مغناطيسية تجذب الجميع اليها، وإن محبوبة الحسين عليه السلام في القلوب تدفع الجميع للارتباط والاقتران به وتسجيل أسماءهم في سجل انصاره وذرف قطرات الدموع الساخنة علي مصابه.

ولو انك اقترحت علي الناس ان يبذلوا شيئاً من المال للامور الخيرية وإعانة الفقراء، فانك ستحصل علي مبالغ لا تُعدُّ شيئاً بالقياس الي المبالغ التي يصرفونها تطوعاً وبلا اقتراح من أحد، في إقامة مجالس الحسين عليه السلام فما أعظم الحسين عليه السلام وسيلةً للإصلاح و تقويم شؤون المجتمع الحياتية و هداية الشبيبة ينبغي أن نستفيد منها و ان نترجم تلك الاحاسيس و المشاعر و عواطف الملايين من المسلمين، الي موقفٍ موحدٍ لنصرة الدين و الحق.

إن الأمة التي تمتلك مثل الحسين عليه السلام رمزاً و قدوةً و مثلاً، أمةٌ ينبغي ان يُحتدي بها في طريق الحرية و العدالة الاجتماعية.

وإن أمةً أعلن قائدها:

«لا أري الموت إلا سعادةً و لا الحياة مع الظالمين إلا برماً» و بقيت كلمته هذه خالدة في مسامع التاريخ، لا ينبغي لها ان تستلم لظالم و تعين طاغ.

وإن أمةً تعلن يزيد بن معاوية و تعدُّ خيانتته و مهادنته الكفار، ذنباً و خيانةً للإسلام، عليها أن تجتنب مهادنة الكفار و التذلل لهم.

و ليس في زمننا الحاضر، منبرٌ تبليغي أفضل من منبر الحسين عليه السلام فاذا ما استفدنا منه و أحسننا إستغلاله، فسنصل الي أفضل النتائج و المغانم.

و نعتقد أن مجالس الحسين عليه السلام في ايران، افغانستان، باكستان، الهند، العراق،

لبنان، سورية، البحرين، القطيف، قطر، اليمن، مصر وباقي ارجاء العالم، هي اكثر فائدة من سائر المؤسسات الثقافية و الارشادية العامة التي أسست للاصلاح و التغيير.

و كمثال لذلك: الخطباء و المدّاحين الذين ينتشرون في البلدان و يدورون علي مدار النسبة في البيوت و المنتديات و يحتكّون بالناس و ينشدون الاشعار و المراثي و المدائح، و لو أمكن جمعهم و تنظيمهم و منهجة برامجهم من قبل العلماء و الحوزات العليمة و مراجع الدين و تعبئتهم و زرعهم بالمعلومات و توعيتهم سياسياً و إجتماعياً و تحليل الاوضاع السياسية و ما يهّمّ الناس و المجتمع لهم، لا يمكن الوصول الي الاهداف بشكل اشرع و انجع. اذ يمكن التاكيد في كل فترة علي واحدة من الحالات الاجتماعية و الاخلاقية و تناولها من قبل الجميع باسهاب و دقة و تخصص، فان ذلك سيؤدي الي ارتفاع المشاكل و الأمراض الاجتماعية و الحالات المعوّجة في المجتمع، الواحدة بعد الأخرى للوصول الي المجتمع المثالي.

و في السنوات الاخيرة، ازداد عدد الطلاب و فضلاء الحوزات العلمية الذين ينتشرون في المدن و المحافظات و القرى و الارياف، أيام شهر محرم و صفر و شهر رمضان المبارك و المناسبات الاخرى، لاقامة الجماعات و الوعظ و الارشاد و الخطابة و التوجد الديني و السياسي و الاجتماعي، مما حدي بالناس الي تقديرهم و شكرهم.

و هؤلاء، أيدهم الله يقومون اضافة الي الارشاد و التبليغ و ردّ الشبهات و تعليم الاحكام الشرعية، بالامور و الفعاليات الاجتماعية و الخدماتية كعمارة المساجد و تأسيس المؤسسات الخيرية الاجتماعية.

و اكرّر ثانية: إنّ الانصاف، هو أنّنا لم نستفد بعدُ كل الاستفادة من مائدة

الحسين عليه السلام، فإنَّ أحد أهم عوامل إنتشار مذهب التشيع والإسلام في الهند، و باعتراف المَطلعين، هو إقامة شعائر الحسين و كما يقول «ماريين»: إنَّ عدد الشيعة لم يكن يتجاوز عدد الاصابع و لكنهم اليوم و ببركة مجالس الحسين عليه السلام يعتبرون من الطوائف المعتدِّ بها عددًا في الهند.

اذن، يمكننا القول:

كما انَّ استشهاد الحسين عليه السلام ساهم في الحفاظ علي الدين من الانحراف، فإنَّ مجالس عزاء الحسين عليه السلام هي الاخري لها الدور الكبير في بقاء الدين و استمراريته و هداية المجتمع الي الحق. (1) فسلام الله عليك يا أبا عبد الله

6 - إدانة بني امية

لقد حفر بنو امية قبورهم بقتلهم الحسين عليه السلام و ازاحوا الستار عن شنائع أفعالهم و مقاصدهم المشؤمة، و اشتروا بذلك غضب و نفرة المجتمع الإسلام ضدَّهم.

و كما أشرنا في فصل سابقٍ (انعكاسات مقتل الحسين عليه السلام) فإنَّ المجتمع

ص: 373

1- إنَّ رثاء الحسين عليه السلام و البكاء عليه، و زيارته قد ابتدأت في نفس سنة 61 هـ. ق و استمر اقامة تلك المجالس عليه في العصور المختلفة من قبل الائمة و اتباعهم و عامة المسلمين. فقد أنشد كبار الشعراء القصائد في ثورة الحسين عليه السلام و مصائبه و تضحياته و من جملتهم شاعر اهل البيت دعبل الخزاعي. و للاطلاع علي تاريخ عزاء الحسين عليه السلام راجع: الدلائل و المسائل ج 1 ص 113. ذكرى الحسين ص 8-5.

الاسلامي إستقبل حادثة كربلاء بحزنٍ و ألمٍ عميقين و قد أدان كلَّ المسلمين هذه الجريمة النكراء في حق سبط رسول الله صلي الله عليه و آله و رهطه و آل بيته، و توالى الاعتراضات الانتقادات من أقرباء بني امية أنفسهم قبل أعدائهم.

يقول المستشرق الالمانى «ماريين»: إنَّ من اكبر أخطاء بني امية التي محت إسمهم من صفحة العالم، هو قتلهم الحسين عليه السلام.

و هذه حقيقة يدعن لها كلُّ مورخ و مَطَّلَع علي تاريخ الإسلام، و لقد كان لذلك الاستنكار و الاعتراض العام علي حكم بني امية فوائده الكبيرة و الكثيرة. اذ يؤس بنو امية من محاربة الإسلام و طعنه في ظهره، بعد أن عرف الناس حقيقة هذه العائلة الخبيثة و مخططاتهم الاجرامية و انكشف زيفهم و كفرهم للجميع، فقد فضح قتل الحسين عليه السلام بتلك البشاعة و الشناعة و سبي بنات رسول الله صلي الله عليه و آله، حقيقة بني امية.

و عاد التعاون مع بني امية و الدخول يسلكهم و سلطانهم، عاراً يفرُّ منه الناس.

و لولا بريق السيوف و رؤوس الاسنة و الرماح التي يُهدد بها بنو امية الناس، لهدم الناس علي رووس بني امية دورهم و لقطعوهم إرباً إرباً، و مثّلوا بجثثهم كل تمثيل.

و أنّك لتجد في شعر عبد الله بن همام السلولي، ترجمةً لتلك الاحاسيس الغاضبة عند عامة المسلمين، حين يقول:

حُسَيْنَا الْغَيْصَ حَتَّى لَوْ شَرَبْنَا دِمَاءَ بَنِي أُمَيَّةَ مَا رُوِينَا

و يقول احد علماء مصر الذي صنف فهرست كامل ابن الأثير:

«ان الجيش الذي تولي محاربة الحسين و قتله لهو أقسي قلوب العالم و ليس

فيه آثار الرحمة و الانسانية بل هم جمادات متحركة شريرة سجّلوا لأنفسهم في التاريخ أكبر العار و أسوء الاعمال و أفضع الافعال عاملهم الله بجرائمهم أشدّ العقاب.(1)

و يقول الشيخ عبد الوهاب النجار، أستاذ قسم التخصص في الازهر، في ملاحظاته علي الكامل:

«لعن الله الفسق و الفساق لقد سؤدوا صحائف التاريخ و سجّلوا علي أنفسهم الجرائم الكبرى التي لا تغتفر و لا تنسي مدي الدهر فأنا لله و إنّا اليه راجعون و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم.(2)

7 - توالي الثورات علي بني أمية

من جملة نتائج نهضة الحسين عليه السلام و مظلوميته، تلك الحركات التحريرية و الانتفاضات و الثورات التي توالى لاسقاط الحكم الاموي، و في عدّة أرجاء من العالم الاسلامي.

و من ابرز عوامل تلك الثورات هو الدعوة الي الأخذ بدم الحسين و الثار من بني امية.

إنّ ثار الحسين عليه السلام أصبح شعاراً يرفعه المظلومون و المقهورون من حكم بني امية.

و هذه الثورات، و إن أُخمد اكثرها و قضى عليها علي يد السفّاحين أمثال

ص: 375

1- فهرست الكامل ج 3 ص ح و ط.

2- الكامل ج 3 حاشيه ص 297.

مسلم بن عقبة و الحصين بن نمير و الحجاج، دفاعاً عن اركان الحكم الاموي المتزلزلة، و لكن توالي تلك الثورات، يحكي عن شدة نفرة المسلمين من هذا الحكم، و يسيرُ بالحكم نحو الزوال و الانقراض تدريجياً و يضعف مخططات بني امية.

و من الواضح، أن مثل هذه الحكومة التي لا- تستند في قوامها و قوتها إلا- الي بعض الاراذل من المرتزقة و المأجورين، بينما يعتبرها سائر الشعب حكومة غاصبة جائرة، لا يمكنها أن تدوم طويلاً في الحكم بالحديد و النار، فنفس إخماد تلك الثورات بالقمع، كان يبعث الروح القتالية الاستشهادية من جديد في نفوس الناس.

و أول ثورة حدثت (بعد عدة حركات صغيرة مثل حركة الكوفة و حركة عبد الله بن عفيف) بعد نهضة الحسين عليه السلام هي ثورة المدينة، التي اشرنا اليها سابقاً، و التي قضى عليها مسرف بن عقبة بأمر يزيد، بتلك الوحشية و القساوة و هتك حرمة المدينة الطيبة.

يقول الطبري: بعد مقتل الحسين عليه السلام قام نجدة بن عامر الحنفي في اليمامة، و ابن الزبير في مكة(1).

و من اكبر الثورات المهمة التي إندلعت بعد ثورة الحسين عليه السلام هي ثورة التوَّابين بقيادة الصحابي «سليمان بن صُرد الخزاعي» و التي اشترك فيها عدد من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و من أعيان الشيعة، و كان شعارهم «يا لثارات الحسين» و لقد ابلو بلاءً حسناً و كانوا من الصادقين في شعورهم بالندم و الأسي علي إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام بين ظهرائهم.

و لقد كانت حُطَب و أشعار و كلمات هؤلاء الجماعة تدلّ بوضوح علي7.

ص: 376

1- تاريخ الطبري ج 4 ص 367.

إستقامتهم و ثباتهم و روحهم الاستشهادية، و مضافاً الي إنَّ هذه الثورة كانت من عجائب التاريخ و نموذجاً لهيجان الروح الطاهرة و الزكية و ليقظة الضمير، فهي تعكس بجدّ تأثيرات ثورة الإمام الحسين عليه السلام و مظلوميته و استشهاده، و ندم الناس علي عدم الالتحاق بركبه.

عندما، نودي بشعار «يا لثارات الحسين» كان عبد الله بن حازم جالساً مع زوجته و ابنته و كانت زوجته جميلة و عندما سمع النداء قام و حمل سلاحه و امتطر جواده و قالت له زوجته أجننت يابن حازم قال: لا، لكنّ منادي الله ينادي و لا يجوز القعود و لا بد من الانتقام لدم المظلوم بكر بلاء أو أن أقتل في هذا الطريق فقال له زوجته، و ماذا عن ابنتك قال: اوكلها الي الله، ثم التفت الي السماء و قال الهي أودعتك أهلي و أولادي فاحفظني لهم و اغفر لي تقصيري في نصرة ابن بنت نبيك. (1) و أول ما قام به التوابون بعد خروجهم هو التوجه الي قبر الحسين عليه السلام لزيارته و تجديد البيعة له، و باتوا ليلتهم عند مرقد الطاهر، محيين الليل بالبكاء و العويل، و الاعتذار و الوعد بالسير علي نهجه، و التوبة من خذلانهم له، و كانوا يقولون:

«اللهم ارحم حُسينا الشهيد بن الشهيد المَهديّ بن المهدي الصديق بن الصديق اللهم انا نشهد انا علي دينهم و سبيلهم، و أعداء قاتليهم، و أولياء محبيهم، اللهم انا خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مَضِي مِنّا، و تب علينا فارحم حُسينا و أصحابه الشهداء و انا نشهد انا علي دينهم و علي ما قتلوا عليه و ان لم تغفر لنا، و8.

ص: 377

ترحمنا لنكوننّ من الخاسرين.(1)

والحق، إنّ التوابين قد أثبتوا وفاءهم و بطولتهم و بأسهم و محبتهم و ولايتهم لاهل البيت عليهم السلام بقتالهم بني امية في «عين الوردة» و بذلك سجّلوا إسمهم في صفحة الفخر و العزّ من تاريخ الامة الاسلامية. و لقد كانت قصتهم عبرة حقيقية و درساً تربوياً لكل الناس.

نسأل الله ان يقبل توبتهم، و يحشرهم في زمرة انصار الحسين عليه السلام.

و بعد هذه الثورة، اندلعت ثورة المختار الثقفي. و بقيت الثورات تتوالي حتي انقرض حكم بني امية.

و لم تمرّ الايام طويلة حتي عوقب كل من اشترك في جريمة كربلاء علي يد الثوار، أو ابتلاه الله بما اخزاه دنياً و آخرةً.

يقول الزهري: لم يبق احدٌ ممن اشترك في قتل احسين عليه السلام إلا نال عقابه في الدنيا قبل الاخرة.(2)

8 - التحور الفكري

من جملة الامراض الفكرية الخطيرة التي ابتلي بها المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي صلي الله عليه و آله و التحاقه بربه، هو ضعف الارادة، و اللامبالاة و عدم الانفعال بما يجري حولهم، حتي لو كان ما يجري مخالفاً لخير و مصلحة الامة و لتعاليم الإسلام و احكامه، و كانوا يعتبرون كلّ من يستلم الحكم هو الخليفة المفروض عليهم طاعته!

ص: 378

1- الكامل لابن الاثير ج 2 ص 341.

2- حفيده الرسول ص 53. اسعاف الراغبين ص 192.

و هذا الاستسلام، فسح المجال لكثيرين في استغلال المسلمين و القفز الي السلطة و المراكز الادارية في الدولة، و تمرير مخططاتهم، و الاستبداد بقراراتهم، و لم يكن إلا السيف و القوة اساساً لاستلام الحكم.

و هذا الاسلوب في الاستيلاء علي الحكم، كان هو المحكم في زمن الجاهلية، و في بعض البلدان المتخلفة، و حتي في بعض الدول التي تدعي التطور و المدنية، بنسب متفاوتة.

و أما في المجتمع الاسلامي الذي أسس علي اساس أرقى التعاليم و المقررات السماوية، فقد كان مثل ذلك المنهج غريباً و عجبياً، ذلك أن هذه الحكومات المستبدة، ليس فقط لا يمكنها هداية المجتمع الي الاهداف التي رسمها الإسلام، وإنما يتسبب ذلك في إساءة فهم الإسلام و إتهامه من قبل الاجانب بالخواء و فقدان الانظمة الاجتماعية و السياسية.

فالممارسات المستبدة للحكومات الواصلة الي السلطة عن طريق القوة و الارهاب، و حتي لو أبدت بعض الليونة، لا يستطيع المسلم الحقيقي و الانسان الواعي و المتمدن الواقعي، أن يتحملها و يسكت عليها، و إن استحقار الامم و الشعوب بهذه الطريقة أمرٌ يستحيل قبوله ممن له ادني إدراكٍ بشري.

و أكثر أتباع مدرسة اللأبالية و الخنوع، هم من ضعاف النفوس و الماجورين و المغرضين أمثال عبد الله بن عمر (1) الذين يعتذرون علي سكوتهم بان7.

ص: 379

1- نقل ان الحجاج بن يوسف، عندما جاء الي مكة المكرمة و قضى علي عبد الله بن الزبير، جاءه عبد الله بن عمر و قال له: مدّ يدك لابايعك! فاني سمعت رسول الله يقول: من مات و لم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية. فمدّ له الحجاج رجله و قال له: ان يدي مشغولة. فقال له ابن عمر: اتهاذي بي؟ قال الحجاج: يا أحمق بني عدي، أين كنت يوم بيعة علي بن ابي طالب؟ الم يكن علي امام زمانك؟ و الله انك لا تباع امتثالاً لقول رسول الله و انما تباع خوف هذا الجذع الذي صلب عليه ابن الزبير: الكني و الالقاب ج 1 ص 357.

مخالفتهم للحكم يوجب التفرق و شق عصا المسلمين و اختلال النظام، و قد يلتمس هؤلاء أحياناً إعتذارهم من خلال بعض الروايات الداعية الي وجوب إطاعة ولاة الأمر، لذا فهم يسكتون عن كل الجرائم و الانحرافات الاخلاقية و السياسية و الاجتماعية و يعتبرون أن السكوت اولي من المواجهة!!

إنّ مؤيدي الحكام الغاصبين و ابواقهم الاعلامية و من أجل اسكات مخالفيهم و إستغلال المجتمع و إحكام قبضتهم، يقولون بانهم الناصحين و الاصلاحيين باثارة القلاقل و الفتن و بالا خلال بالنظام و شقّ عصا المسلمين.

و من الواضح، إنّ طلاب الدعة و الراحة من ضعاف القلوب و ممن يضحي بالمصلحة العامة من أجل مصلحة الشخصية و لا يأبه للدين و شرف الامة و عزّتها، كانوا يستسلمون لهذه الاحايل الموافقة لمزاجهم، تهرباً من المسؤولية.

و نتيجة ذلك، فسح المجال للظلمة يفعلون ما يشاؤون، بلا رادع و لا رقيب، و ينتهي الأمر الي وجوب تقديم الطاعة ليزيد و الحجاج و الوليد كما تجب طاعة الإمام العادل الصالح، و يكون الخروج علي الظالم، إشعالاً للفتنة و شقاً لعصا المسلمين!!

إنّ نسبة هذا الحكم الي الإسلام زوراً و بهتاناً و إفتراءً، أتاح للظلمة إرتكاب جرائمهم و تصفية القوي المعارضة لهم.

صحيح أنّ الآيات و الروايات توجب إطاعة أولي الأمر و تحرّم مخالفتهم و الخروج عليهم، و لكن الادلة تقصد أولي الأمر الذين يطبقون الشريعة بحذافيرها و

يدعون الناس الي الصلاح ويسعون الي تحقيق الاهداف الاسلاميه و يظهرون عزة الإسلام. فكيف تكون إطاعة حكومة كحكومة يزيد الفاسق و أمثاله من الظلمة واجبة علي عامة المسلمين؟!

لو أن مظلوماً جُلد جلدَةً واحدةً ظلماً، كان كلُّ المسلمين الذين يعينون تلك الحكومة مسئولين، «الظالمُ والمُعِينُ لَهُ والرَّاضِي بِهِ شُرَكَاءُ ثَلَاثٌ»

وفي منطق الإسلام و مدرسة الانبياء عليهم السلام، لا يعدُّ الخروج طلباً للحق، و الامرُ بالمعروف و النهي عن المنكر و نصيحة الحكام و الدعوة الي الخير و الصلاح، إخلالاً بالنظام و لا تفريقاً للمسلمين، بل إنَّ ذلك عينُ النظام و وحدة المسلمين.

إنَّ زوال النَّظْم القائمة علي أساس الظلم و الباطل و التعدي علي حقوق الناس و الاستبداد و خنق الحريات و تكبيل المجتمع، أفضل من بقاءها، و النظام القائم علي التمييز الطبقي و الاستعلاء و إذلال المجتمع و نهب ثروات و خيرات الشعب، هو عينُ اللانظام و إنَّ النَّظْم الذي يسمح ليزيد و ابن زياد و شمر و الحجاج بان يكونوا هم مصدر التشريع و التقنين، و يزيج بالمفكرين و العلماء و الصالحاء في غياهب السجون، ليس نظاماً بل هو فتنةٌ و اضطراب، و إنَّ الخروج علي مثل هذا النَّظْم و حلِّه، هو خروج لاحلال النَّظْم الواقعي الصالح، قال تعالي:

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينَ لِلَّهِ»(1)

فطبقاً لهذه الآية الشريفة، تكون كلُّ النَّظْم، شرّاً و فتنةً إلاَّ النَّظْم المرتبط بالسماء، و تكون الحكومات كلها، انفلاتاً و هرجاً و مرجساً و بلاءاً علي الناس، إلاَّ3.

ص: 381

فانه اذا كان ما قام به بنو امية في المدينة الطيبة من سفك الدماء و هتك الاعراض و إهانة المقدسات نظماً، فسيكون ما قام به فرعون و نمرود و جنكيز خان و سائر الظلمة و المستبدين، نظماً أيضاً

و علي هذا الحساب الخاطي جداً، سيكون نبي الله ابراهيم و موسي بل و كل الانبياء و رواد الاصلاح، مشاغبين! نعود بالله.

إن الاعتقاد بوجوب إطاعة كل حاكم و لي زمام أمور المسلمين و لو بالقوة و الارهاب، هو أسخف رأي و معتقد يثير العجب و الدهشة من أولئك الذين يؤيدون هذا المسلك الباطل.

لقد حارب الحسين عليه السلام هذا الفكر الخاطي الخطير، و تبه الناس الي حرمة إطاعة الحكومات الجائرة كحكم يزيد و بني امية قاطبة، و افهمهم أن القيام و الخروج علي مثل هذه الحكومات، واجب شرعي و إن لزم تقديم التضحيات و الفداء.

و بعد ثورة الحسين عليه السلام، إتضح للناس، أن الحكومة التي يجب علي عامة المسلمين اطاعة مقرراتها و نظمها هي الحكومة التي تجسّد العدالة الإسلامية شكلاً و مضموناً، و تطبق القوانين و الاحكام الشرعية تطبيقاً صادقاً دقيقاً.

9 - الاثر الخالد

إن اثر ثورة الحسين عليه السلام بقي خالداً في صفحات التاريخ و كان و لازال الدافع و المحفّز لأبطال الاصلاح و مجاهدي طريق الحق و الحقيقة و حماة العدالة و الفضيلة.

إنّ جهاد الحسين عليه السلام لم يكن لشخص يزيد اللئيم بشمائله النحسة و شكله

القيح، وانما كان جهادُ الحسين عليه السلام للمنهج الذي تجسّد في يزيد عصر الحسين عليه السلام بفساده و استبداده و رذالته و اراقتة للدماء البريئة و فسقه و مجونه و عدائه للاسلام و الايمان و طغيانه و تمرده علي الله و الرسول و خطره علي الدين و القرآن. و الحسين عليه السلام جاهد ذلك المنهج اينما كان و في يزيد ايّ عصر و زمان تجسّد.

و علي الشيعة و الاحرار في كل العالم ان يتعلموا هذا الدرس من الحسين عليه السلام و يعلموا أن ثورة الحسين عليه السلام لازالت قائمة مستمرة علي اليزيديين في كل عصر و مكان، فما دام هناك شركٌ و كفرٌ و جهلٌ و باطلٌ و ظلمٌ و استبدادٌ و استعبادٌ للناس و غصبٌ للحقوق الإنسانية، فهناك حسين عليه السلام يترصد تلك الانحرافات و يقف بوجهها بنفس العزم و نفس الصمود و نفس الاباء و نفس البأس.

و علي كل شخصٍ أن يميّز طريقه و يختار جبهته، جبهة الحسين ام جبهة يزيد؟ و هل هو في صف الظلمة و اعداء الإسلام، أم إنّه في صفّ الحسين عليه السلام و أصحاب الفضيلة و انصار الحق و العدالة؟

و كم من الناس، ظاهرهم أنّهم من موالي الحسين عليه السلام و انصاره، و لكن باطنهم يدلّ علي أنّهم من حزب يزيد و بني امية.

و اقولها أسفًا، كم من قلمٍ و لسانٍ و فعالٍ و خصال، تركت الحسين عليه السلام و الإسلام غريباً و حيداً و التحقت بمعسكر قتلة الحسين عليه السلام و مخالفي منهجه و اهدافه.

و لو يكن في الدنيا، رجالٌ أبطال حق و فداء كالحسين عليه السلام و اصحابه الذين فدوا آخرتهم بديانهم و روحهم بأموالهم و الحقّ بالباطل و الحقيقة بالمجاز، لضعفت القيم الإنسانية و بهت ضياؤها و خبث جذوتها، و لساد حبّ الدنيا علي حبّ الآخرة و الغزائر الحيوانية علي الكمالات الإنسانية و لتحقق مصداق قوله تعالي:

«يعلمون ظاهراً مِنَ الحياةِ الدُّنيا و هُم عن الآخرة هم غافلون»(1)

وأما شهادة الحسين عليه السلام و تضحيات أصحابه و أسرِ أهله و عياله فقد عكس جمال الحقيقة الإنسانية، و ساق الانظار الي عالم السمو و المعني و افهم الجميع ان الإنسانية معني سام لا يتحدد بهذا القالب الجسماني الظاهري، فليست الإنسانية لحمياً و دماً و عظماً، فلو سار الانسان في وادي الأدمية و وصل الي مملكة الإنسانية فسوف يتجلي فيه الشرف و الرفعة و الكرامة الي درجة لا تتمكن معها أية قوة مادية من السيطرة و التسلط عليه، و لا يمكن استبدالها بكل الحظوظ الحيوانية و المقامات الدنيوية.

و هذا الاثر، خالدٌ و مستمر، و كلما كثرت مجالس عاشوراء و مراسم ذكر الحسين عليه السلام و مصائبه، و كلما إزداد التأمل و الغور في أسرار النهضة الحسينية، كلما إزداد تأثيرها في القلوب و كبر شوق الناس الي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و ترسخت المفاهيم الاصلاحية و حماية المظلومين و نصرة الضعفاء و المحرومين و الايثار بالمال و المتاع الدنيوي من أجل المصالح العليا.

و لو انَّ القوي المستعمرة و اعداء الإسلام، قللوا من عدائهم للمنهج الحسيني و خللوا بين المسلمين و بين هذه الحقائق السامية، و قام الوعّاظ و العلماء و الخطباء ببيان أسرار النهضة و أهدافها، لاقتلعت جذور الظلم و الفساد و استبدلت بشجرة الايمان و التوحيد و العدالة و الفداء و الاقتداء بالحسين عليه السلام و أهدافه.

ان الشعراء الذين انشدوا في الحسين عليه السلام كالكميت و دعبل و ابن الرومي و حتي ابي العلاء المعري، و في الازمنة الصعبة التي حكم فيها أعداء الحسين عليه السلام، 7.

ص: 384

الذين بذلوا الأموال والهدايا والهبات لتمتلكي السلطان، أنشدوا تلك القصائد البليغة الساحرة، لان ذوقهم الرقيق وشعورهم المرهف قد لمس جمال الإنسانية الكريمة في تاريخ حياة الحسين عليه السلام وأولاده. مثلهم كمثل الشاعر المسحور بجمال الطبيعة الخلابة والطيور والرياحين والصحاري والسماء والنجوم، ولكن شعراء الطف، سُحروا بجمال فضيلة و حقيقة الحسين عليه السلام وأصحابه البررة، فانشدوا بالبداهة تلك القصائد الرائعة.

نعم، لقد كان الحسين عليه السلام من أعظم آيات الله، وإنَّ تجلي الايمان والعبودية للحق تعالي والحقيقة والشجاعة والشهامة والفداء في شخصيته، كان أوضح من تجلي الشمس والقمر.

فمن وصف من الشعراء الحسين عليه السلام كان شعره هو الاوفر حظاً في الروعة والجمال واللطافة وهذه التأثيرات لشهادة الحسين عليه السلام في النفوس، وانفعال الارواح وتفاعلها معها، سيبقي خالداً علي مرّ التاريخ. ولذا وجدنا كيف فشل الجيّارون كالمتموكل العباسي، حينما أرادوا الحدّ من تأثيرات ثورة الحسين عليه السلام في نفوس الناس فازداد إقبال الناس علي تعظيم الشعائر الحسينية وإزداد إخلاصهم للحسين عليه السلام.

فتحقّق بذلك مصداق هذا البيت:

لقد وقفوا في ذلك اليوم موقفاً الي الحشر لا يزداد إلاّ معاليا

فسلام الله وصلواته عليك، وعلي أولادك، واهل بيتك واصحابك، وأنصارك يا سيّد الشهداء، ويا أبا الأحرار ويا سفينة النجاة، ويا منقذ الإسلام، تقبّل منّي هذا القليل، ولا تُؤاخذني بما فرّطت في خدمتك، فما في هذا الكتاب من الحسنات والكلمات اللائقة بجنابكم فمنكم وما فيه مما هو دون مقامكم الرّفيع فهو منّي ومن جهلي، وقصور معرفتي فانظر إليه يا مَولاي بعين العناية والقبول فانكم

أهل البيت لا يخيب مَنْ رجاكم، ولا يحرم من أتاكم.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِحَقِّ النَّبِيِّ وَاهْلِ بَيْتِهِ أَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَيَغْفِرَ لِي وَلِوَالِدِيَّ وَلِأَسَاتِذَتِي وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَأَنْ يَحْشُرَنِي فِي زَمْرَةِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ الْحُسَيْنِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

ص: 386

مصادر الكتاب من كتب العامة

- 1 - ابو الشهداء عباس عقاد
- 2 - الأخبار الطوال ابو حنيفة دينوري
- 3 - احياء الميت بفضائل اهل البيت سيوطي
- 4 - اسباب النزول واحدي
- 5 - الإستيعاب في اسماء الاصحاب ابن عبد البر قرطبي
- 6 - اسد الغابة ابن اثير الجوزي
- 7 - اسعاف الراغبين محمد الصبّان
- 8 - الإكليل سيوطي
- 9 - الإتحاف بحب الاشراف شبراوي
- 10 - الإسلام و الاستبداد السياسي محمد غزالي
- 11 - الإصابة ابن حجر عسقلاني
- 12 - الإمامة و السياسة ابن قتيبة
- 13 - البدء و التاريخ مطهر مقدسي يا أبو زيد بلخي
- 14 - بطلة كربلاء الدكتوراه بنت الشاطي
- 15 - بنات النبي صلي الله عليه و آله الدكتوراه بنت شاطي
- 16 - تاج العروس مرتضي الزبيدي

- 17 - التاريخ الكبير ابن عساكر
- 18 - تاريخ الامم و الملوك الطبري
- 19 - تاريخ اليعقوبي اليعقوبي
- 20 - تاريخ الخلفاء السيوطي
- 21 - تاريخ ابن اعثم احمد ابن اعثم
- 22 - تذكرة الخواص سبط ابن الجوزي
- 23 - تفسير الطبري الطبري
- 24 - الجامع الصغير السيوطي
- 25 - الحاوي السيوطي
- 26 - الحسن و الحسين سبطا رسول الله صلي الله عليه و آله محمد رضا رشيد
- 27 - حلية القرآن ابو نعيم الاصفهاني
- 28 - حفيدۃ الرسول صلي الله عليه و آله الشرباصي
- 29 - حياة الحيوان الدميري
- 30 - خصائص النسائي
- 31 - الخصائص الكبرى السيوطي
- 32 - دائرة المعارف فريد وجدي
- 33 - الدر المنثور السيوطي
- 34 - ذخائر العقبي محب الدين الطبري
- 35 - السيرة الحلبية علي الحلبي الشافعي
- 36 - سمو المعني في سمو الذات أو اشعة من حياة الحسين عليه السلام العلائلي
- 37 - سنن الترمذي

38 - سنن ابن ماجه

39 - سيره ابن هشام

40 - السيدة زينب عليها السلام لجنة نشر العلوم و المعارف الاسلاميه

41 - السيرة النبوية السيد احمد زيني

42 - شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد

43 - شرح نهج البلاغة محمد عبده

44 - صحيح البخاري

45 - صحيح الترمذي

46 - صحيح مسلم أبو الحسن مسلم

47 - الصواعق المحرقة ابن حجر

48 - العدالة الاجتماعية في الإسلام سيد قطب

49 - عقد الفريد ابن عبد ربه

50 - غرائب القرآن حسن بن محمد قمي النيشابوري

51 - فرائد السمطين الحمويني

52 - الكامل في التاريخ ابن الأثير

53 - كفاية الطالب الكنجي الشافعي

54 - كنز العمال علي المتقي الهندي

55 - كنوز الحقائق المناوي

56 - المحاسن و المساوي ابراهيم بن محمد البيهقي

57 - المختصر في أخبار البشر ابو الفداء

58 - مسند احمد احمد بن حنبل

59 - مصابيح السنة البغوي

60 - مطالب السؤل محمد بن طلحة الشافعي

61 - معاوية بن ابي سفيان في الميزان عباس العقاد

62 - مقاتل الطالبين ابو الفرج الاصفهاني

63 - مقتل الحسين عليه السلام الخوارزمي

64 - مودة القربيسيد علي الهمداني

65 - النصايح الكافية لمن تولي معاوية سيد محمد بن عقيل

66 - النزاع و التخاصم المقريزي

67 - نظم درر السمطين الزرندي

68 - نور الابصار الشبلنجي

69 - نهاية الارب في انساب العرب القلقشندي

70 - ينابيع المودة القندوزي

وكتب اخري

ص: 390

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباه اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

